

كتاب السيون

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بجرب الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق كاسر

عبد السلام محمد هارون

مكتبة يوسف الألكترونية
لنشر وترويج الكتب pdf
يوسف الرميض

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثق — في

٢ جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْخَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ
نَسْبًا ، وَبَيْنَ الصِّدْقِ سَبَبًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ في أمرِكَ ، وأدلَّ عَلَى
مقدارِ وزنِكَ ، وعلى الحال التي وضعتَ نفسك فيها ، ووسمتَ عرضَكَ
بها ، ورضيتها لدينِكَ حظًّا (٢) ، ولمروءتِكَ شِكْلًا ؛ [فقد انتهى إلى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلُكَ عَلَيْهِ ، وَطَعْنُكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقُّصُكَ
لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدَيْكِ وَمِحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ
السُّكْلِ وَمُضَارَّهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجَمْعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبَعَهُ
وَنَظَمِهِ ، وَمَنْ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمَ فِيهِمَا . ثُمَّ عَيْتَنِي بِكِتَابِ حَيْلِ
اللُّصُوصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعَيْتَنِي بِكِتَابِ الْمُلْحِ وَالطَّرْفِ ،
وَمَا حَرَّ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرَّدَ ، وَمَا عَادَ بَارِدَهُ (٣) حَارًّا لِفَرَطِ بَرْدِهِ حَتَّى

(١) في ط : « البر واليقين » . وما أثبتته في ل ، ١٠ س وهو الصواب .

(٢) كذا في ل ، ١٠ س وهو تصحيح ما في ط « ورضيتها لعرضك حظا » .

(٣) في ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبتني بكتابِ احتجاجاتِ البخلاء ،
ومناقضتِهم للسَّمحاء ، والقولِ في الفرقِ بين الصدقِ (١) [إذا كان ضارًّا
في العاجل ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجِل ، ولمَ جعلِ الصدقُ أبداً
محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقِ بين الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ،
وبين الإفراطِ في الحميَّة والأنفَةِ ، وبين التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ
الاكتراثِ لسوءِ (٢) القالةِ ؛ وهل الغيرةِ اكتسابِ وعادةِ ، أم بعضُ ما يعرضُ
من جهةِ الديانةِ ، ولبعضُ التزئدِ فيه والتحسنِ به ، أو يكونُ ذلكِ في طباعِ
الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانتِ العقولُ سليمةِ ، والآفاتِ منفيةِ (٣)
والأخلاقُ معتدلةِ .

وعبتني بكتابِ الصِّرحاءِ والمُهجناءِ ، ومفاخرةِ السُّودانِ والحرمانِ ،
وموازنةِ ما بينِ حقِّ الخنولةِ والعمومةِ ؛ وعبتني بكتابِ الزرعِ والنخلِ
والزيتونِ والأعنانِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛
وبكتابِ فضلِ ما بينِ الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بينِ الذكورِ والإناثِ ،
وفى أيِّ موضعِ يَغلبنِ ويفضُلنِ ، وفى أيِّ موضعِ يَكُنُّ المغلوباتِ والمفضولاتِ ،
ونصيبِ أيِّهما في الولدِ أوفرُ ، وفى أيِّ موضعِ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأيِّ
عملٍ هو بهنَّ أليقُ ، وأيِّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغُ .

وعبتني بكتابِ القحطانيَّةِ و [كتابِ] العدنانيَّةِ في الردِّ على

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ما عدل و م .

(٢) في ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال في القاموس « ما أكثرث له :
مأبالى به » وقال الزبيدي : الأصل فيه ألا يستعمل إلا في التني وشذ ، استعماله
في الإثبات .

(٣) هذا ما في ل . وفي ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

الفحطانية ، وزعمت أني تجاوزتُ فيه حدَّ الحمية إلى حدِّ العصية ،
وأني لم أصل^(١) إلى تفضيل العدنانية إلا بتنقُّص^(٢) الفحطانية . وعبتني ٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بخست الموالى حقوقهم ، كما أني أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبتني بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القولَ
في فرقِ ما بين العرب والعجم ، هو القولُ في فرقِ ما بين الموالى والعرب ،
ونسبتني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المعاد من
الخطَل ، وحمل الناسِ المؤن .

وعبتني بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إيَّها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبادة البُدَّة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديانين إلفالما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبَّدوا له^(٦) ،
وأظهرهم جدًّا ، وأشدَّهم على من خالفهم ضيغنا ، وبما دانوا ضينًا^(٧) ،
وما الفرق بين البُدِّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) في ط : « بتنقيص » والمثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتنقصه :
يقع فيه ويذمه » .

(٣) في ط : « العلة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « عبادة البدة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبدة: جمع بد
- بضم الباء - وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بدة وأبداد .

(٥) في ل : « أشد الناس إلفالما دانوا به » .

(٦) في ط : « وشغفا لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشئ إذ
علق قلبه به .

(٧) في ل : « صباية وعجبا » .

الدُّمِيَّة والجُنَّة ، ولمَّ صَوَّرُوا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صَوَّرَ
عظماهم ورجالِ دَعوتهم ، ولم تَأَنَّقُوا في التَّصوِير ، وتَجَوَّدُوا^(١) في إقامة
التَّركيب ، وبالغوا في التَّحسين والتَّفخيم ، وكيف كانت أَوْلِيَّة تلك
العبادات ، وكيف اقترفت تلك النَّحل ، ومن أَىِّ شَكل كانت خُدَع تلك
السَّدنة ، وكيف لم يزلوا أَكثَرَ الأَصنافِ عدداً ، وكيف شَمِل ذلك المذهب
الأَجناسَ المُختلفة .

وعبَّنتي بكتاب المعادن ، والقولِ في جواهر الأرض ، وفي اختلاف
أَجناس الفِلِيزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف
يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبْطِئُ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ
الألوان يَصْبُغ ولا يَنْصَبُغ ، وبعضها يَنْصَبُغ ولا يَصْبُغ ، وبعضها يَصْبُغ
ويَنْصَبُغ ، وما القولُ في الإكسير والتلطيف .

وعبَّنتي بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين
الجنِّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنِّ ، وكيف القولُ في معرفة
الهدهد واستطاعة العفريت^(٢) ، وفي الذي كان عنده عِلْمٌ من السَّكَّاب ،
وما ذلك العِلْم^(٣) ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

(١) في ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه ما في ل . وتجوّد : فعل الجيد .

(٢) في ط : « وكيف القول في استيلاء العفريت على سليمان وفي الهدهد » ، وهو
كلام مشوه محرف وضعت بدله ما في ل . ومعرفة الهدهد هي التي يشير إليها
القرآن الكريم بآية « وجنتك من سبأ نبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو
ما في قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك » .
يعني عرش بلقيس .

(٣) في ط : « وما الذي هو ذلك العِلْم » وهو تحريف صوابه في ل .

وعبّنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإنفاقات
[وكيف أسباب التثمير والترقيح ^(١)] ، وكيف يَجْتَلِبُ ^(٢) التجار الحرفاء ،
وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التَسبُّبُ إلى الوصايا ، وما الذي يوجب
لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذُكِرْنَا غَشٌّ
الصناعات والتجارات ، وكيف التَسبُّبُ إلى تعرف ما قد سترُوا وكشف
ما مَوَّهُوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنى برسائلي]
وبكلِّ ما كتبت [به] إلى إخواني وخُلَطَّائي ، من مَزْحٍ وجِدِّ ، ومن إفصاح
وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال مِيسَمُه باقياً ، ومدبِّح
لا يزال أثرُه نامياً ؛ ومن مُلَحٍّ تُضحِكُ ، ومواعظٌ تُبكي .

٤

وعبّنى برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ،
وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهارى لها في أتم حلية . وزعمت أنّي
قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال في
التشيع والاعتقاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أنّ مقالة
الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
وزعمت أنّ في أصل القضية والذي جرّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأوّلُه
صغير ، وأنَّ كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول
الراجز ^(٥) :

(١) ترقية المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) في ط : « تجرد » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « خطبة مقالة الرافضة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما في ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز في المحاسن والأصداد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ

وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنْ الْفَسِيلِ

وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ

وَقُلْتُ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٢) :

فَاعِلِمٌ بُنِيَ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيحُ لَهُ الْعَظِيمُ

وَقُلْتُ : وَقَالَ الْآخِرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحَتْ بِهِ رَبِّ جِدِّ سَاقَهُ اللَّعْبُ

وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الْآخِرِ (٣) :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبٌ (٤)

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبٌ

وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدٍ يَكْرَبُ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل . مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلّموا أمه . . ماتنظرون : أي تنظرون .

جَدَعَمَ بَعْدَ اللَّهِ آئِفٌ^(١) قَوْمِهِ بَنِي مَازَنَ أَنْ سَبَّ رَاعِيَ الْمُحَزَّمِ^(٢)
وَقَالَ الْآخِرُ^(٣) :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ حِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ
وَتَقُولُ [الْعَرَبُ] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصْبَةِ ، وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً^(٤) » .
وَعَبَتَ كِتَابِي فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَشْبُهَةِ
وَعَبَتَ [كِتَابِي] فِي الْقَوْلِ فِي أَصُولِ الْفِتْيَا وَالْأَحْكَامِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي ه
فِي الْإِحْتِجَاجِ لِنِظْمِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ وَبَدِيعِ تَرْكِيبِهِ . وَعَبَتَ مَعَارِضَتِي
لِلزَيْدِيَّةِ وَتَفْضِيلِي^(٥) . الْإِعْتِرَالَ عَلَى كُلِّ نَحْوَةٍ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ ، وَكِتَابِي عَلَى النَّصَارِيِّ وَالْيَهُودِ^(٦) . ثُمَّ عَبَتَ جَمَلَةَ كِتَابِي فِي الْمَعْرِفَةِ
وَالْتَمَسْتُ تَهْجِينَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ، وَصَغَّرْتُ مِنْ شَأْنِهَا ، وَحَطَّطْتُ مِنْ قَدْرِهَا ،
وَاعْتَرَضْتُ عَلَى نَاسِخِهَا وَالْمُنْتَفِعِينَ بِهَا ، فَعَبَتَ كِتَابُ الْجَوَابَاتِ ، وَكِتَابُ
الْمَسَائِلِ ، وَكِتَابُ أَصْحَابِ الْإِلْهَامِ ، وَكِتَابُ الْحِجَّةِ فِي تَثْبِيثِ النُّبُوَّةِ ،
وَكِتَابُ الْأَخْبَارِ ، ثُمَّ عَبَتَ إِنْكَارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وَبَصِيرَةِ كُلِّ
جَاهِدٍ وَمُلْحِدٍ ، وَتَفْرِيقِي بَيْنَ اعْتِرَاضِ الْعُمَرِ^(٧) ، وَبَيْنَ اسْتِبْصَارِ الْحَقِّ ، وَعَبَتَ

(١) فِي ط : « آئِفٌ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَأَنْفٌ يَجْمَعُ عَلَى أَنْوْفٍ
وَأَنْفٍ وَأَنْوَافٍ .

(٢) فِي ط ، ل ، س ، ١٠ س : « الْمُحَزَّمِ » بِالْخَاءِ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْخَزْرَانَةِ
بِضِطِّ الْبَغْدَادِيِّ ٣ : ٧٧ . وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْبَاتِ سِتَّةِ رَوَاهَا الْبَغْدَادِيُّ وَذَكَرَ لَهَا قِصَّةَ
طَوِيلَةَ طَرِيفَةٍ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسِ الْحَسَنِ بْنِ هَاشِمٍ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِينَ ٣ : ١٩٨ .

(٤) فِي ط : « حَيَّةٌ » وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفَ طَبَعٍ .

(٥) فِي ط : « تَفْضِيلٌ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٦) فِي ط : « النَّصْرَانِيِّ وَالْيَهُودِيِّ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل .

(٧) هَذَا مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَفِي ط : « الْقَمَرِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْعُمَرُ
الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات (١) ، وكتاب الفرق ما بين النبي والمنبى ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق (٢) ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة (٣) . ثمّ قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض (٤) على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، فزريت على نحتيه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في الغرض الذى إليه نزعنا ، والغاية التى إليها قصدنا (٥) . على أنه كتابٌ معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاج إليه المتوسّط العامى ، كما يحتاج إليه العالم الخاصى (٦) ، ويحتاج إليه الرّیض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّیض فللتعلم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبةً وطبقاتٌ معانيه منزلة . وأما الحاذقُ فلكفاية المؤنة ؛ لأن كلَّ من التقط كتاباً جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرّمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرّضه لمطاعن البُعَاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضِه عقله المسكودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفر بمثله صاحبُ علم ، أو هجمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافه ، ونشيطُ جام ،

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابها ما فى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغتاض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا ما فى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مؤوَنَةً جمعه وخزنيه ، وطلبه وتبَّعه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفلَّ الحدَّ ، وأدرك أفضى حاجته وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أن له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأمم ، وتشابهه فيه العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عربيًّا أعرايًّا ، وإسلاميًّا جماعياً ، فقد أخذَ من طُرفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتابِ والسنة ، وبينَ وجدانِ الحاسةِ ، وإحساسِ الغريزة . ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتكُ كما يشتهيه الناسكُ ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللهُو كما يشتهيه المجدُّ^(١) ذو الحزم ، ويشتهيه العُقلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفطن .

وعبَّتي بحكاية قولِ العُمانيَّة^(٢) والضَّرارية ، وأنتَ تسمعي^(٣) أقولُ في أوَّل كتابي : وقالتِ العُمانيَّة والضَّرارية ، كما سمعَني أقولُ : قالتِ الرافضة والزيدية ، فحكمتَ عليَّ بالنَّصْبِ لحكايتي [قولِ العُمانيَّة] ، فهلَّا حكمتَ عليَّ بالتشيعِ لحكايتي [قولِ الرافضة] !! وهلا كنتُ عندك من الغاليةِ لحكايتي حججِ الغالية ، كما كنتُ عندك من النَّاصِبَةِ لحكايتي قولِ النَّاصِبَةِ !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيَّةِ والصُّفُوريَّة ، كما حكينا قولَ الأزارقةِ والزيدية . وعلى

(١) في ل : « الجدي » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُمانيَّة » ، وكلمة « سر » هذه لوجود لها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعَني » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَتِ الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . والأكثرُ عندك من الخارجية ، كما صرنا عندك من الضَّرَّارِيَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رضيتَ بأن تكونَ أسرعَ من الشيعة ، أسرعَ إلى أعراضِ الناسِ من الخارجية^(١) ، اللهم إلا أن تكونَ وجدتَ حكايتي عن العُمانيَّةِ والضَّرَّارِيَّةِ أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحکم] ، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتني قد وهنتُ حقَّ أوليائك ، بقدر ما قويتُ باطلَ أعدائك ؛ ! ولو كان ذلك كذلك ، لساكن شاهدك من الكتابِ حاضرًا ، وبرهانك على ما ادعيت واضحا] .

وعبتني بكتاب العباسية ، فهلاً عبتني بحكايةِ مقالةٍ من أبي وجوبِ الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ النَّاسِ سُدىً بلا قيمٍ أَرُدُّ عليهم ، وهملًا بلا راعٍ أربحُ لهم ، وأجدرُ أن يجمعَ لهم ذلك بين سلامةِ العاجل ، وغنيمةِ الآجل ، وأنَّ تركهم نَشْرًا لا نظامَ لهم ، أبعُدُ من المفسادِ ، وأجمعُ لهم على المرشدِ ! ! بل ليس ذلك بك ، ولسكنه بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبظرك ، فلم تتجه للحجة وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية^(٢) ، ولم تعرف بابَ المخرج إذ جهلت بابَ المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياءِ أشنى لدائك ، وأبلغ في شفاءِ سقمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسانِ أحضرُ لذَّةً ، وأبعُدُ من النَّصَبِ ، ومن إطالةِ الفسكرة ، ومن الاختلافِ إلى أربابِ هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رضيتَ بأن تكون الشيعة إلى أعراضِ الناسِ أسرعَ من المارقة » .

(٢) في ط : « وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقابل وهي لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنتَ لعجزك ، [و^(١)] وصلتَ نقصك بتامِ غيرك ،
واستكفيتَ من هو موقوفٌ على كفايةٍ مثلك ، وحبيسٌ على تقويمِ أشباهك ٧
كان ذلكَ أزينَ في العاجِلِ ، وأحقَّ بالثبوتِ في الآجِلِ ، وكنتَ إنْ
أخطأتَكَ الغنيمَةُ لم تُخطِطِكَ السلامة ، وقد سلِمَ عليكِ المخالفُ بقدرِ ما ابتلى
[به] منكِ الموافق . وعلى أَنَّهُ لم يُبتَلِ منكِ إلا بقدرِ ما ألزمتَهُ من مؤنَّةٍ
تتقيفك ، والتشاغلِ بتقويمك . وهل كنتُ في ذلكِ إلا كما قال العربيُّ :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلا كما قال الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)

وهل حالنا في ذلكِ إلا كما قال الشاعر^(٣) :

مَاضِرٌ تَغْلِبَ وائِلٌ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتِ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ

وكما قال حسانُ بنُ ثابتٍ^(٤) :

مَا ابْلَى أَنْبًا بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَشِيمٌ

وما أشكُّ أَنكَ قد جعلتَ طولَ إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجهتَ حِلْمنا

عَنكَ إلى الخوفِ منكِ ، وقد قال زُفَرُ بنُ الحارثِ لِبعضِ مَنْ لم يرحقَّ

الصفح ، فجعل العفو سبباً إلى سوء القول :

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزاعة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنَّ عِدَّتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتِكَ مَسْنُونٌ^(١) الْغِرَارِ بْنِ أَرْزَقًا
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلِيَّ وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرَقَا^(٢)

وقال الأول :

وَضَعَانٍ دَاوَيْتُهَا بِضَعَانٍ حَتَّى شَفَيْتُ وَبِالْحُقُودِ حُقُودًا

وقال الآخر :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ وَفَكَ جُهَالًا بِجُهَالٍ^(٣)
فَاقْعَسَ إِذَا أَحْدَبُوا وَاحْدَبَ إِذَا قَعَسُوا وَوَأَزِنِ الشَّرَّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضَةٌ هُوَ لَاءُ الشَّرِّ
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ ، وَالْحِقْدُ بِالْحِقْدِ ، فَإِنَّ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ^(٤) :

فَمُسَا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلِمَا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنْ الْكِبْرِ^(٥)

(١) في ط : « مصقول » . و غرار السيف أى حده لا يوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكذا في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلي وأن تلمس العريض حتى يغرقا هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلا : الأعناق أو أصولها ، جمع ظلية أو طلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ رَقْمِكَ جُهَالًا بِجُهَالٍ
وصحناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمالي : « فاحشى الأقسام » وفي جمع الجواهر : « فاحشى الإنسان » . وفي ل ، س « ولا تمعجا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما في المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدلى^(١) فيكما غير واحد
فإن أنا لم أمرُ ولم أنه عنكما
وقال النمر بن تولب :

جزى الله عنى بجمرة ابنة نوفل
بما خبرت عنى الوشاة ليكذبوا
على وقد أوليتها في النوايب
جزاء مغل بالأمانة كاذب^(٣)
يقول : أخرجت خبرها ، فخرج [إلى^(٤)] من أحب أن يعاب عندها .

ولو شئت أن نعارضك لعارضناك في القول بما هو أقبح أثراً وأبقى
وسماً ، وأصدق قبلاً ، وأعدل شاهداً . وليس كل من ترك المعارضة فقد
صفح ، كما أنه ليس من عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن
فهمة فقد كفيئنا مؤنونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله^(٥) :

إن كنت لاترهبُ ذئبي لما
تعرِفُ من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي إذ أنا منصت
فيك لمسموع خناً القائل^(٦)
فالسامعُ الذمُّ شريكُ له
ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ

(١) في ط : «أولى» ، وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه
لو شئت اغتابكما عندي غير واحد .

(٢) في ط « يلح » بالخاء ، وأثبت ما هو في أمالي المرتضى ول ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا في ل ، ١٠ س وغل وأغل بمعنى خان وفي ط « مقل » وتحريفه ظاهر .

وفي س : « مخل » . وجمرة بالجيم اسم زوجته ، كما في الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيهما السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة
الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابي في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل ما بين العداوة
والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير في الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا في الخزانة وجميع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشي ٢ : ١٥٠ . وفي ل ، س
« فاخش سكوتي آذنا منصتا » . وآذنا : مصفياً .

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ
فلا تهجُ إن كنتَ ذا إرابةٍ حربَ أحمى التجربةِ العاقلِ
فإنَّ ذا العقلِ إذا هجته هجتَ به ذا خبيلِ خابِلِ
تُبصرُ في عاجلِ شدَّاته عليك غبَّ الضررِ الآجلِ

وقد يقال : إنَّ العفوَّ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعفوُّ عندَ لبيبِ القومِ موعظةٌ وبعضه لسفيهِ القومِ تدريبُ
فإن كُنَّا^(١) أساناً في هذا التفرُّعِ والتوقيفِ ، فالذي لم يأخذَ فينا بمُحْكَمِ
القرآنِ ولا بأدبِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام ، ولم يفرِّعَ إلى ما في الفِطْنِ
الصحيحةِ ، وإلى ما توجههُ المقاييسُ المطَّردةُ ، والأمثالُ المضرُوبةُ ، والأشعارُ
السائرةُ ، أولى بالإساءةِ وأحقُّ باللأئمةِ ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ
وَأَزْرَةَ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام : « لَا تَجْنِ
بِمَيْنِكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذي أنزلَ به الكتابُ ودلَّ
عليه من حُججِ العقولِ .

فأمَّا ما قالوا في المثلِ المضرُوبِ [« رَمَتْنِي بِدَأْمَهَا وَأَنْسَلَّتْ » ، وأمَّا]
قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لمن أخذَ إنساناً بذنبِ غيره ، وما ضربوا في ذلك
من الأمثالِ ، كقولِ النابغة حيث يقول في شعره :

وكلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوِي غيرُهُ وهو راتِعُ

(١) في ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، م ، ١٠ ، م .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرَّ كَوَوْا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقمُوا
الصحيحَ من غير أن يُبرِّثوا السقيم .

وكانوا إذا كثرتْ إبلُ أحديهم فبلَّغتِ الألفَ ، فقثُّوا عَيْنَ الفحلِ ،
فإنْ زادتْ الإبلُ على الألفِ فقثُّوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقأُ والمعنى اللذان
سمعتَ في أشعارِهِم .

قال الفرزدق :

غلبتكَ بالمفقأُ والمعنىُ وبيتِ المحتسبيِ والخافقاتِ (١)

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف (٢) والغارة ،

فقال الأول :

فقاتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ عِيافَةً^(٣) وفيهِنَّ رَعْلَاءُ المِسامِعِ والحامى (٣)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به
في هذا الموضوع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقأ » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن فقات عينك واجدا أبالك إن عد المساعي كدارم
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى يا جرير المكلف
و « بيت المحتسبي » إشارة إلى قوله :

بيتاً زارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عنى) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتى :

غلبتكَ (بالمفقأُ والمعنى) وبيت (المحتسبي) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعاء : التي تشقُّ أذنها وتترك مدلاة ، لسكرها] .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنيّة ، كقول الرجل : إذا بلغت
إبلي كذا وكذا وكذلك غنمي ، ذبحتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة .
والعتيرة من نُسك الرّجبيّة والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغت
إبلٌ أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنما قلتُ إني
أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان
شاءً كلّهُ ممّا يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حلزةَ الشكرى :
عنتاً باطلاً وظلماً كما تُعْتَبِرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيعِ الظُّبَاءِ
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
وكانوا إذا أوردوا البقرَ فلم تشرب ، إمّا لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ،
ضربوا الثورَ ليقْتَحِمَ الماء ، لأنّ البقرَ تتبّعه كما تتبع الشّولُ الفحل ، وكما
تتبع أنُ الوحشِ الحمار . فقال في ذلك عوفُ بن الخرج (١) :

تَمَنَّتْ طِيٌّ جَهْلًا وَجِبْنًا وَقَدْ خَالَيْتَهُمْ فَأَبَوْا خِلَافِي (٢)
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى كَضْرَبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظُّمَاءِ
وقال في ذلك أنس بن مدرك في قتله سليك بن السُّلَكة :

إِنِّي وَقَتْلِي سَلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقْرُ (٣)
١٠ أَنْفَتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى وَجَعَائِهَا الثَّقَرُ (٤)

(١) في ط : « عوض بن الخرج » ، وهو على الصواب الذي أثبتته ، في ل ، س

س ١٠ .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثغر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهيثبان الفهمي^(١) :

كَمَا ضُرِبَ الْيَعْسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرٌ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ بَاقِرٌ
ولما كان الثور أمير البقر ، وهي تطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سماه
باسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصدُّ الثيران عن الماء حتى تُمسِكَ البقرُ

عن الشرب حتى تهلك ، وقال في ذلك الأعشى :

فإِنِّي وَمَا كَلَّفْتُمُونِي - وَرَبِّكُمْ - لِأَعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا^(٢)
لِكَالثَّورِ وَالْجِنِّي يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ مَشْرَبًا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ بَاقِرٌ وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٣)
كأنه قال : إذا كان يُضْرَبُ أبدأً لأنها عافت الماء ، فكأنها إنما عافت الماء ليضرب .

وقال يحيى بن منصور الذهلي في ذلك :

لِكَالثَّورِ وَالْجِنِّي يَضْرِبُ وَجْهَهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتِ الْجِنُّ ظَالِمَةً
وقال نهشل بن حرّبي^(٤) :

أَتُرَكُّ عَارِضٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَتَغْرَمَ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاءُ
كِدَابِ الثَّورِ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي بِالْهَرَاوِي إِذَا مَا عَافَتِ الْبَقْرُ الظَّمَاءَ^(٥)
وكيف تكلف الشعري سهيلاً وبينهما الكواكب والسماء

(١) في الأصل : « الهيثبان » . وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » . وفي ط ، س :
« الفقمي » صوابه في ل .

(٢) في ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . . وما أثبتته عن ل .. يقال حاب بكذا :
أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفي القرآن الكريم « إنه كان حوباً كبيراً » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقير وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة في خزنة للبهادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) في الأصل : « بالبراي » ، صوابه من حماسة البحرى ٣٥٣ .

وقال أبو نُؤيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العَطْرَق (١) :

أبا يوسُفٍ لو كنتَ تعلمُ طاعِي ونُصْحِي إذْنُ ما بَعْتَنِي بِالْمَحْلَقِ (٢)

ولا ساقَ سَرَّاقِ العِرافَةِ صالِحٍ (٣) بَنِي ولا كَلَفْتُ ذَنْبَ العَطْرَقِ (١)

وقال خِداش (٤) بن زُهَير حين أخذَ بِدِماءِ بني مَحارِبِ (٥) :

أَكَلَفُ قَتَلِي مَعَشَرَ لَسْتُ مِنْهُمُ ولادارُهُمُ دارِي ولا نَصْرُهُمُ نَصْرِي

أَكَلَفُ قَتَلِي العِيسِ عِيسِ شواحِطِ وذلكَ أمرٌ لم تُثَفِّ لَهُ قِدرِي (٦)

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكَتَ عِجْلُ بنا ذَنْبَ طِيِّ عَرَكَنا بِتِمْ اللاتِ ذَنْبَ بَنِي عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِيُّ أَخا حَنْبِضِ (٧) الضَّبائِي في مَنزِلِهِ فَخَصَّاهُ فَماتَ ، وأخَذَ

حَنْبِضِ بَنِي عَبَسِ بِجَنائَةِ اليودِيِّ ، قال قيسُ بن زُهَيرٍ : أتأخِذُنا بِذَنْبِ

غَيرِنا ، وتَسألُنا العَقَلَ والقاتِلَ يهوديٍّ من أهلِ تِمْاءِ ؟ فقال : واللهُ أنْ لو

قَتَلْتَهُ الرِيحَ ، لودِيتُمُوهُ ! فقال قيسُ لبني عَبَسِ : الموتُ في بني ذُبَيانَ

خَيْرٌ من الحِياةِ في بَنِي عامرٍ ! ثم أنشأ يقول :

أَكَلَفُ ذَا الحُصَينِ إن كانَ ظالِماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطِناً (٨)

(١) في ط « العَطْرَف » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ما عدل و ١٠ س « إذْنُ هاديتي » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمحلَق الضبى ولاء الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلي ، من أشرف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عيص شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وثق القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ما عدل « أبا حنبض » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائبا .

خصاه امرؤ من آل تيماء طائر
ولا يَعدُم الإنسى والجنُّ كائنا (١)
فَهَلَّا بنى ذبيان - أمك هابِلُ -
رَهنتَ بفيفِ الرِّيحِ إن كنتَ رَاهِنًا (٢)
إذا قلتُ قد أفلتُ من شرِّ حنْبِضِ
أتاني بأخرى شره مُتَباطِنًا
فقد جَعَلتُ أكبادنا تجتوبِكُمُ
كما تجتوي سوقُ العِضاهِ الكِرازِنا (٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته - وهي صُحْرَأختُ لُقَيْمٍ - قال حين قتلها:
أَلَسْتُ امرأة ! وذلك أنه قد كان زوج عِدَّة نساء ، كلهنَّ خُتَنَه في أنفسهنَّ ،
فلَمَّا قَتَلَ أخراهنَّ ونزل من الجبل ، كان أوَّلَ من تلقاه صُحْرُ ابنته ، فوثبَ
عليها فقتلها وقال : وأنت أيضاً امرأة ! وكان قد ابتلي بأنَّ أختَه كانت
مُحَمِّقَةً (٤) وكذلك كان زوجها ، فقالت لإحدى نساء لُقَيْمَان : هذه ليلة
طُهْرِي وهي ليلتُك ، فدعيني أنامُ في مَضْجِعِك ، فإنَّ لقمانَ رجلٌ مُتَّعِبٌ ،

- (١) في ل : « من آل تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .
(٢) في الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح في الأغاني ١٥ : ٧٠ .
وأمثال الميدياتي ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .
(٣) الكرزون وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .
(٤) المحمقة والمحمق أيضا : المرأة تلد الحمق . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٦٧ :
وكانت تحت رجل أحمق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَى فَأُنَجِّبَ . فَوْقَ عَلَى أُخْتِهِ فَحَمَلَتْ بِلُقَيْمٍ . فَهُوَ قَوْلُ
النَّمِرِ بْنِ تَوْلَبٍ (١) :

لُقَيْمٌ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتٍ لَهُ وَابْنًا
لِيَالِي حَقِّ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغَرَّ بِهَا مُظْلِمًا (٢)
فَأُحْبِلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا (٣)
فَضْرِبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَّافٌ
ابْنُ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَّاشٌ يُدِبُّ لِي الْمَنِيَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ (٤)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أُذَيْنَةَ (٥) :

أَتَجْمَعُ تَهِيَامًا بِلَيْلَى إِذَا نَأَتْ وَهَجْرَانَهَا ظِلْمًا كَمَا ظَلَمْتَ صُحْرُ ١٢
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبَادٍ :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِئِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَأَثَلِي عَنْ حِيَالٍ (٦)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ هُوَ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأُظْنَهُ ابْنَ الْمُتَفَعِّعِ :

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٢) في ط « فغريه » . وغريها : خدع بها . ومظلمًا : في الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكيمًا ، ويقابله المحمق : الذي يلد الحمق .

(٤) في ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهّد لي المنيا » وفي ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة ويعبد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة في الأغاني .

٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حِيَالٍ : أي بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجلد .

فلا تَلُمُ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلومٍ ولمَّ يُذنبِ
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَأَمٍّ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ (١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض المملوك^(٢) لِسِنَّارِ الرومي ؛ فإنه لما
علا الخورنق ورأى بُنياناً لم ير مثله ، ورأى في ذلك المستشرف ، وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيانَ لرجلٍ آخرَ من المملوك ،
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك الكلبي^(٣) في شيء كان بينه وبين
بعض المملوك :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَصِّهِ الْبِنْيَانِ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ (٤)
فلما رأى البُنْيَانَ تَمَّ سُحُوقَهُ

وَأَصَرَ كَمِثْلِ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ (٥)
وظَنَّ سِنَّارٌ بِهِ كُلَّ حَبِوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمُودَةِ وَالقُرْبِ (٦)

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الهيثم بن علي : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن علي . وقال ابن الكلبي :
هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراويل الكلبي . وفي أمال ابن الشجري ١ : ١٠٢ :
أنه عبد العزى بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمد كجعفر وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، ويحرك .
وفي ثمار القلوب «عشرين حجة» وفي معجم البلدان «ستين حجة» .

(٥) في معجم البلدان «كمثل الطود والشامخ الصعب» .

(٦) في ل : «حبرة» بمعنى السرور .

فقال اقدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فَذَلِكَ لِعَمْرٍ اللهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ
وجاء المسلمون ، يروى خَلْفٌ عَنْ سَلْفٍ ، وَتَابِعٌ عَنْ سَابِقٍ ، وَآخِرٌ عَنْ
أَوَّلٍ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ زِيَادٍ (١) : « لَأَخُذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ،
وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :
إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
قال : وَقِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ : إِنَّ فُلَانًا لَمَّا قَدَّمَ رَجُلًا لِيُضْرَبَ عُنُقَهُ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَدُّ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قال :
فقال عَمْرٍو : مَا خَلَقَ اللهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

١٣

وَلَمَّا قَالَتِ التَّغْلِيْبِيَّةُ لِلْجَحَافِ ، فِي وَقْعَةِ الْبِشْرِ (٢) : فَضَّ اللهُ فَاكُ
وَأَعْمَاكُ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللهِ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهِنَّ
ثُدِيَّ ، وَأَسَافِلُهُنَّ دُمِيَّ ! ! فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ
سَبِيلَهَا ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : أَمَّا الْجَحَافُ فَجَدْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
قال : وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسِ السَّكَمَاءَةِ بِالسَّمَنِ ، فَقَالَ
عِنْدَ ذَلِكَ الْأَحْنَفِ : « رَبِّ مَذْمُومٌ لِأَذْنَبَ لَهُ (٣) » .

فَسَيِّئَةٌ السَّيْرَةُ سَرَتْ فِينَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٤) :

وإنَّ امْرَأَةً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه. والكلام في خطبته البتراء المعروفة. انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات. وانظر

المعجم والأغاني ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والعبر، وأرباب
النحل، والعلماء وأهل البصر، بخارج الملل، وورثة الأنبياء، وأعوان
الخلفاء، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء، وكتب الفراغ والخلفاء،
وكتب الملاهي والفكاهات، وكتب أصحاب الخصومات، وكتب
أصحاب المراء، وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية!! ألا أنهم
لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفح
العلماء، ولا لأئمة الأرباء^(١)، وشف الأكفاء، ومشتاة^(٢) الجلساء؟!
فهلأ أمسكت - يرحمك الله - عن عيبها والطعن عليها، وعن
المشورة والموعظة، وعن تخويف مافي^(٣) سوء العاقبة، إلى أن تبلغ حال
العلماء، ومراتب الأكفاء؟!

فأما كتابنا هذا، فسنذكر جُملة المذاهب^(٤) فيه، وسنأتي [بعد ذلك]
على التفسير، ولعل رأيك عند ذلك أن يتحوّل، وقولك أن يتبدل،
فثبتت أو تكون قد أخذت من التوقّف بنصيب، [إن شاء الله] .

(١) كذا في ل . وفي ط « ولائمة الأدياء » .

(٢) في ط : « شناة » وصوابه شناة، وأثبت مافي ١٠ س وأما في ل فهي « مساء » . والشف .

بالتحريك وكذا المشناة بمعنى، هو البغض .

(٣) في ل : « مافيه » .

(٤) في ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفِق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها في جملة التَّوَلِّدِ بجمادٍ ونامٍ . وكان حقيقة القولِ في الأجسام من هذه القِسْمَةِ ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنَّامَى اسماً ، لا تَبَعْنَا أثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهي إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ بجمادٍ ، كدلالةِ قولِهِمْ مَوَاتٍ . وقد يَفْتَرِقَانِ في مواضعَ بعضَ الافتراقِ . وإذا أخرجت (١)

من العالمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمرَ ، وجدتها غيرَ نامية ، ولم تجدهم يسمون شيئاً منها بجمادٍ ولا مواتٍ ، وليس لأنها تتحركُ من تلقاءِ أنفسِها لم تُسمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبِّرة ، ويجعلونها مسخرة غير مسخرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إنَّما يَحْيَا بإحيائها له ، وبما تُعطيه وتُعيِّره . وإنما هذا منهم رأْيٌ ، والأئمُّ في هذا كله على خلافِهِمْ ، ونحنُ في هذا الموضعِ إنَّما نعبِّرُ عن لُغَتِنَا ، وليس في لُغَتِنَا إلا ما ذكرنا .

والناسُ يسمون الأرضَ جماداً ، وربما يجعلونها مواتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ما عدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنبت قديماً ، وهى مَوَات الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَوَاتاً
فهي له .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمونها
حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لانضمام إلى النماء والحس .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماء والأرضُ والهواءُ
والنار ، والاسمان لا يتعاورانِ عندهم إلا الأرض .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النامي على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام :
شئٌ يمشى ، وشئٌ يطير ، وشئٌ يسبحُ ، وشئٌ يندسحُ (١) . إلا أن كلَّ
طائرٍ يمشى ، وليس الذى يمشى ولا يطير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يمشى
على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أن الحشراتِ
راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباعِ البهائمِ والسباع . إلا أننا فى هذا كله
نتبع الأسماءَ القائمةَ (٢) المعروفة ، البائِئاتِ بأنفسِها ، المتميِّزاتِ عند سامعِها ،
من أهلِ هذه اللغَةِ وأصحابِ هذا اللسان ، وإلما نُفرد ما أفردوا ،
ونجمَع ما جمَعوا (٣) .

(١) يندسح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإلما يفرد ما أفردوا ويجمع ما جمَعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وبهيمةٍ وهمجٍ . والسباعُ من الطيرِ على ضربين :
فمنها العتاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البعاثُ^(١) وهو كلُّ ما عظمَ من
الطيرِ : سبعاً كان أو بهيمةً ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ
المعقَّفةِ ، كالنُّسورِ والرَّخَمِ والغربانِ ، وما أشبهها مِنْ لثامِ السباعِ .
ثم الحشاشُ ، وهو ما لطفَ جرْمُه وصغُرَ شخصُه ، وكان عديمَ السلاحِ
[ولا يكونُ^(٢)] كالزَّرَقِ^(٣) واليُويؤِ^(٤) والبادنجارِ^(٥) .

فأما الهمج فليس من الطير ، ولكنه مما يطير . والهمج فيما يطيرُ ،
كالحشراتِ فيما يمشى .

والحياتُ من الحشراتِ ، وأىُّ سبعٍ أَدخَلُ في معنى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأفاعيِ والثعابينِ ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذواتِ
الأنيابِ وأكالةِ اللحومِ وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائمِ ، ولذلك تأكلُها
الأوعالُ^(٦) والخنازيرُ^(٧) والعتاقُ والعقبانُ^(٨) والشاهمركُ^(٩) ، والسنانيرُ ، وغيرِ
ذلك من البهائمِ والسباعِ . فَمَنْ جَعَلَ الحياتِ سباعاً ، وسماها بذلك عندَ
بعضِ القولِ والسببِ فقد أصابَ ، ومن جعلَ ذلك لها كالاسمِ الذي هو العلامةُ

(١) في القاموس ، البعاث مثلثة : طائرٌ أغبرٌ جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفترق إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليويؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط وس و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر
الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) في ط « الغريان » .

(٨) الشاهمرك : الفقى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه
ملك الطير . الديمري .

كالكَلْبِ والذئبِ والأسدِ فقد أخطأ :

ومن سباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سلاحُه المخالبَ كالعُقابِ وما أشبهها ، ١٥
وشئٌ يكون سلاحُه المناقيرَ كالذُّسورِ والرَّخَمِ والغُرْبَانِ ، وإنما جعلناها سباعاً
لأنها أكلةٌ لحوم .

ومن بهائمِ الطيرِ ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها ، ومنه
ما يكون سلاحُه الأسنانَ كالْبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها ، ومنه ما يكون
سلاحُه الصياصِي كالذِّيَكَّةِ ، ومنه ما يكون سلاحه السِّلْحَ (١) كالحِيارَى (٢)
والثعلبِ أيضاً كذلك .

والسَّبْعُ من الطيرِ : ما أكل اللحمَ خالصاً ، والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ
خالصاً . وفي الفنِّ الذي يجمعها من الخلقِ المركَّبِ والطبعِ المشتركِ ، كلامٌ
سنأتى عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترَكُ عندهم كالعصفورِ ؛ فإنه ليس بذئٍ مخلَبٍ معقَّفٍ ولا منسَرٍ (٣)
وهو يلقطُ الحبَّ ، وهو مع هذا يصيدُ النَّمْلَ (٤) إذا طار ، ويصيدُ الجرادَ ،
ويأكلُ اللحمَ ، ولا يَزِقُّ فِرَاخَه كما تزقُّ الحمامُ ، بل يُلْقِمُها كما تُلْقِمُ
السباعُ من الطيرِ فراخها . وأشباهُ العصافيرِ من المشتركِ كثيرٌ ، وسندُكُرُ
ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) السِّلْحُ والسلاحُ كغراب : النجو .

(٢) في ط « كالجاري » والصواب « كالحيارى » كما في ل . وهي من الطيور التي
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كجلس ومنبر : متقار الطير الجراح .

(٤) في ط « النحل » والصواب « النمل » كما في ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض
له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجعلانُ والجحُلُ
واليعاسيبُ والدبابُ والزَّناييرُ والجرادُ والنملُ والفراشُ والبعوضُ والأرضيةُ
والنحلُّ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكور
والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ
أَطِيرٌ (١) ، والمثلُّ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تطيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستُ
من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء ،
وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس
بالريشِ والقوادمِ (٢) والأباهرِ (٣) والحوافِ (٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه
يسقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الحفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمرطينِ
ليس لهما ريشٌ ولا زغبٌ ولا شكيرٌ ولا قصبٌ (٥) وهما مشهورانِ بالحمل
والولادة ، وبالرضاع ، وبظهور حَجْمِ الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامةُ
ذاتُ ريشٍ ومنقارٍ وبيضٍ وجناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عامٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من
معانيه . ألا ترى أنَّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ الماء ، وخزيرَ الماء ؛
وفيه الرُّقُّ (٦) والسَّلْحَفَاةُ ، وفيه الضَّمْدَعُ وفيه السرطان ، والبَيْدَنِيْبُ (٧) ،

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرنا .

(٢) القوادم والقدايم - كحبارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الحوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من
صغار الريش .

(٦) قال الدميري : بكسر الراء وبالقف : ضرب من دواب المساء يشبه التمساح . والرُق
أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهو في ط « التبتل » وفي ل « البتيل » وفي س « التبتل »
وصوابه في الدميري قال : « على وزن فيعيل سمك بحري معروف عند أهل البحر » .

والتَّمَسَاحُ والدُّخَسُ والدُّلْفَيْنُ واللَّحْمُ والبَنبِكُ^(١) ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوْسَجُ والدُّلْحَمُ ، وليس للكوسج أب يُعرَف . وعامَّةُ ذَا يَعِيشُ في الماء ،
ويبيت خارجاً من الماء ، وَيَبْيِضُ في الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقِيضُ
وَعِرْقِيٌّ ، وهو مع ذلك ممَّا يكون في الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمناً قطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يتكلَّم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويثغو ، ويهق ،
ويصهل ، ويشحج ، ويحور ، ويبغم ، ويعوي ، وينبح ، ويزقو ،
ويضعو ، ويهدر ، ويصفر ، ويصوي ، ويقرقي ، وينعب ، ويزار ،
وينزب^(٢) ، ويكش ، ويعجج^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهُ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعير التي تسمى لطيمة ،

(١) في الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المملوك
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنيك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع
الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) في ط « يترب » وفي ل « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاء ، والبهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحج
للبعال ، والحوار لثيران ، والبغام للظباء ، والعماء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقاء للديكة ، والضغاء للسنائير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ،
والصوصاة للجراء ، والتوقأة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ،
والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدته بجلودها .
والمعجج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفتح » والفتح صوت الأفاعى
تحدته بأفواهاها .

وكالظُّعَن ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا وَجَدَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، أَوْ أَخَذَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، سُمِّيَتْ بِأَنْبَهِ النُّوعَيْنِ ذِكْرًا ، وَأَقْوَاهَا . وَالْفَصِيحُ هُوَ الْإِنْسَانُ ، وَالْأَعْجَمُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ لَا يَفْهَمُ إِرَادَتَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلِعَمْرِي إِنَّا نَفْهَمُ ^(١) عَنِ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ وَالسَّنَّورِ وَالْبَعِيرِ ، كَثِيرًا مِنْ إِرَادَتِهِ وَحَوَائِجِهِ وَقَصُودِهِ ^(٢) ، كَمَا نَفْهَمُ إِرَادَةَ الصَّبِيِّ فِي مَهْدِهِ وَنَعْلَمُ ^(٣) - وَهُوَ مِنْ جَلِيلِ الْعِلْمِ - أَنَّ بَكَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ضَحِكُهُ . وَحَمَمَةٌ الْفَرَسِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْخِلَاطَةِ ^(٤) ، عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَمَمَتُهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْحِجْرِ ، وَدُعَاءُ الْمَهْرَةِ الْمَهْرَ خِلَافُ دُعَائِهَا لَوْلَدِهَا ، وَهَذَا كَثِيرٌ .

وَالْإِنْسَانُ فَصِيحٌ ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ أَوْ بِالْهِنْدِيَّةِ أَوْ بِالرُّومِيَّةِ ، وَلَيْسَ الْعَرَبِيُّ أَسْوَأَ فَهْمًا لِطَمَطَمَةِ الرَّومِيِّ [مِنَ الرَّومِيِّ] لِيَانِ لِسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ يُقَالُ لَهُ فَصِيحٌ ، فَإِذَا قَالُوا : فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِهِمْ أَعْجَمٌ ، وَإِذَا قَالُوا الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَلَمْ يَلْفِظُوا بِفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى يَرِيدُونَ ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَفْهَمُ عَنْهُ . وَقَالَ كَثِيرٌ :

فَبُورِكَ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى بِنْدِيَّةً وَصَامَتْ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى وَنَاطِقُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . . وَفِي ط « إِنْ التَّمِيمِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَقُصُورِهِ » بِالرَّاءِ وَلَمْ يَظْهَرِ مَعْنَاهُ ، فَكَتَبْتُ مَكَانَهُ « قُصُودِهِ » جَمْعُ قُصِدَ .

(٣) فِي ط : « وَنَفْهَمُهُ » . وَانظُرِ الْبَيَانَ ١ : ١٦٢ .

(٤) فِي ط « الْفَحْسَلُ » وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ . وَالْوَجْهُ مَا فِي ل ، وَوَرَدَ فِي ط زِيَادَةٌ

« مِنْ » قِيلَ « حَمَمَةٌ » وَإِثْبَاتُهَا يَفْسِدُ التَّرْكِيبَ .

ويقال « جاء بما صأى ^(١) وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى ^(١) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شىء سوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شىء يجعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشىء يجعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشىء العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكلُّ مُستدلِّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال ^(٢) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً .
ثمَّ جعل للمستدلِّ سببٌ يدلُّ به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد ^(٣) ، وإشارة ،

- (١) فى ط « صأى » بالضاد، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
- (٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .
- (٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسمين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمَكِينُهُ الْمَسْتَدِلَّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ
مِنْ (١) فَفَكَرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا اسْتُخْزِنَ مِنَ الْبِرْهَانِ ، وَحُشِيَ (٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ،
وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْحُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ
الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرَبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ
وَالْحِكْمَةِ ، نَجْرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْهَزَالَ
وَكُسُوفَ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّصْرَةِ ، عَنْ
حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيبٌ] :

فَعَاجُوا فَانْتَبَهُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتُكَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال آخر :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ مُتَخَبِّرَكَ الْعَيُونَ عَنِ الْقُلُوبِ

وقد قال العُكْلِيُّ (٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذَّنْبِ وَفِي شِدَّةِ حَسِّهِ وَاسْتِرْوَاخِهِ :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مَقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ (٤)

وقال عنترة ، وهو يصف نعيبَ غراب :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَانَ لِحْيَ رَأْسِهِ جَلْمَانٍ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ (٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَكُلُّ » وَأَصْلُهَا الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ تَوْجِيهٌ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدِّينِيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانظُرِ السَّلْسَلَةَ (مَجْر) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمَقْرَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْقِعُ : الْمَحَدُّدُ .

(٥) فِي ط « حَرِقُ » بِالْهَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْحَرِقُ : الْأَسْوَدُ ، شَبَّهَ لِحْيَهُ بِالْجَلْمَانِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَخْبِرُ

بِالْغُرْبَةِ وَالْفَرْقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلْمَانُ » . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيْقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقْمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ مِنْهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ بَعْدَهُمْ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه^(١) : سَلَ الْأَرْضَ ، فَقَلُّ : مَنْ شَقَّ
أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَّارَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ حِوَاراً ،
أَجَابَتْكَ عِبَاراً .
فموضوعُ الجسمِ ونصَبته ، دليلٌ على مافيهِ وداعيةٌ إليه ، ومنبهةٌ^(٢) عليه .
فالجمادُ الأَبْكُ الأَخْرَسُ من هذا الوجه ، قد شاركَ في البيانِ الإنسانَ الحيَّ
الناطقَ . فَبِنَ جَعَلَ أَسْمَاءَ الْبَيَانِ خَمْسَةً ، فَقَدْ ذَهَبَ أَيْضاً مَذْهَباً لَهُ جَوَازٌ فِي اللُّغَةِ ،
وشاهدٌ في العَقْلِ . فِهَذَا أَحَدُ قِسْمَي الْحِكْمَةِ ، وَأَحَدُ مَعْنَى^(٣) مَا اسْتَخْرَنَهَا^(٤) ١٨
اللهُ تعالى من الوديعَةِ .

(ما يمجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوانِ ، مِنْ ضُرُوبِ^(٥)
المعارفِ ، وفَطَرَهَا عليه من غريبِ^(٦) الهداياتِ ، وسَخَّرَ حَنَاجِرَهَا لَهُ مِنْ
ضُرُوبِ النَّعْمِ الموزونةِ ، والأصواتِ المَلْحَنَةِ ، والخارجِ الشَّجِيَّةِ ،
والأغاني المطربةِ ؛ فَقَدْ يُقَالُ إِنَّ جَمِيعَ أَصْوَاتِهَا مَعْدَلَةٌ ، وموزونة مَوْقَعَةٌ ،
ثمَّ أَلَذَى سَهَّلَ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ العَجِيبِ فِي الصَّنْعَةِ ، مِمَّا ذَلَّلَهُ اللهُ تَعَالَى
لِنَاقِرِهَا وَأَكْفَهَا ، وَكَيْفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ المَعْرِفَةِ عَلَى قَدْرِ مَا هَيَّأَ لَهَا
مِنَ الآلَةِ ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثِيراً مِنْهَا مِنَ الحَسِّ اللطيفِ ، والصَّنْعَةِ
البديعةِ ، مِنْ غيرِ تَأْدِيبٍ وَتَثْقِيفٍ ، وَمِنْ غيرِ تَقْوِيمٍ وَتَلْقِينٍ ، وَمِنْ غيرِ
تَلْرِيجٍ وَتَمْرِينٍ ، فَبَلَغَتْ بَعْفُوهَا وَبِمَقْدَارِ قُوَى فِطْرَتِهَا ، مِنَ البَدِيهِةِ

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب الثنية .

(٤) في الأصل « استخزنها » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدَرُ عليه حُدَّاقُ رجالِ
الرأى ، وفلاسفة علماء البشر ، بِيَدِ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ
أَكْمَلُهُمْ خصالاً وَأَتَمَّهُمْ خِلالاً ، لا مِنْ جِهَةِ الاقتضاب والارتجال ، ولا مِنْ
جِهَةِ التعسّف والافتقار ، ولا مِنْ جِهَةِ التقدّم فيه ، والتأثّي فيه ، والتأثّي له .
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المعينة عليه . فصار جهد^(١) الإنسان
الثاقب الحسّ ، الجامع القوى ، المتصرف في الوجوه ، المقدم في الأمور ،
يعجز عن عفو كثير منها ؛ وهو ينظر إلى ضروب ما يجيء منها ، كما
أعطيت العنكبوت ، وكما أعطيت السُرقة ، وكما علم النحل ، بل^(٢)
وعرّف التنوّط من بدیع المعرفة ، ومن غريب الصنعة ، في غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم^(٣) العجز في أنفسهم في أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الهمج والحشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين^(٤) ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأثّي والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة^(٥) ، والمتبصر شأن العاقبة ،
متى أحسن شيئاً كان كلُّ شيءٍ دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل
سائر الحيوان ، وإن كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحدق الناس متى
أحسن شيئاً عجيباً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل
منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسان جعل

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجد لهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » وجهه ما في ل لتم المقارنة بقوله بعد :

« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنت هذه الأجناسُ
بلا تعلم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩
لا يطمع فيه ، ولا يحسدها ؛ إذ لا يؤمل اللحاقَ بها . ثم جعل تعالى وعزاً ،
هاتين الحكمتين بإزاء عيون الناظرين ، ومجاهة أسماعِ المعتبرين ، ثم حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازديجار ، وعلى التعرف والتبيين ،
وعلى التوقف والتذكُّر ، فجعلها مذكرةً منبهةً ، وجعل الفطر تُنشئ^(١)
الخواطر ، وتجوُّلُ أهلها في المذاهب . ذلك الله رب العالمين ، ﴿ فتبارك الله
أحسنُ الخالقين ﴾ .

(مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقهٍ وتنبيةٍ . وأراك قد عيته قبل أن
تقف على حدوده ، وتفكر في فصوله ، وتعتبر^(٢) آخره بأوله ، ومصادره
بموارده ، وقد غلظك فيه بعض ما رأيت [في أثنائه] من مزج لم تعرف
معناه ، ومن بطلالة لم تطلع على غورها ؛ ولم تدر لم اجتلبت ، ولا لأى
علة تُسكِّفت ، وأى شيء أريغَ بها ، ولأى جدِّ احتُمِل ذلك الهزل ،
ولأى رياضةٍ مُجشِّمت تلك البطلالة ؛ ولم تدر أن المزاج جدُّ إذا اجتلب
ليكون علةً للجدِّ ، وأن البطلالة وقارٌ ورزانة ، إذا تُسكِّفت لتلك العاقبة .
ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما قول . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تفكر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ
مِثْلَ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ
عَلَى مَرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ
مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مِنْ تَجَرُّدٍ لِلْعِلْمِ ، وَفَهْمٍ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ
مِنْ عِزِّهِ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطَّوْلُ مِنَ السَّكَدِ ، وَالسَّكْرَةِ
مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادَ إِلَى حِظِّهِ بِالسَّوَابِجِرِ (١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ،
وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نعت الكتاب)

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِيْنَهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ
إِلَى أَنْ عَبْتِ وَضَعْتَ الْكُتُبَ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَتْ (٢) بِهَا
الْوَجُوهَ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِمَا عَلِمَ ، حَتَّى عَبْتِ السَّكْلَ
بِمَا عَلِمَ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصْبِ الْحَرْبِ
فَعَبْتِ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّخْرُ وَالْعَقْدَةُ (٣) هُوَ ، وَنَعِمَ الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ
النُّشْرَةُ وَالزَّهْمَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأَنْبَسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ
الْمَعْرِفَةُ بِبِلَادِ الْغَرْبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالذَّخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ .
٢٠ وَالْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) في الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : ما فيه بلاغ الرجل وكفايته .

إِن شئتَ كَانَ أَبِينُ من سَحْبَانِ وَاثِلٍ ، وَإِن شئتَ كَانَ أَعْيَانِ من بَاقِلٍ ، وَإِن
شئتَ ضَحِيكَتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَإِن شئتَ عَجِبْتَ من غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِن
شئتَ أَهْلَتِكَ طَرَائِفُهُ ، وَإِن شئتَ أَشَجَّكَتَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظِهِ مُلْهُ ،
وَبزَاجِرِ مُغْرٍ ، وَبِنَاسِكِ فَاتِكِ ، وَبِنَاطِقِ أَحْرَسَ ، وَبِبَارِدِ حَارٍ . وَفِي الْبَارِدِ
الْحَارُّ يَقُولُ الْحَسَنُ بنُ هَانِيٍّ (١) :

قُلْ لَزُهَيْرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلٌ أَوْ أَكْثَرُ فَانْتَ مِهْدَارُ (٢)
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَا سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ (٣)
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ التَّلِجُ بَارِدٌ حَارٌ (٤)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبٍ (٥) أَعْرَابِيٌّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٌّ ، وَبِفَارَسِيٍّ (٦)
يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ (٧) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْحَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالرَّضِيعَ ، وَالغَثَّ وَالسَّمِينِ ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضَدَّهُ .
وَبَعْدَ : فَتِي رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُدُنٍ (٨) ، وَرَوْضَةً تُقَلُّ (٩)

- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط
« مهذار » بالدال .
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أخذته أبو نواس من مذاهب حكام
الهند ، فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حاراً . وقالوا :
إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .
(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٧) في ط « ممتع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتع » .
(٨) الردن : أصل السم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في السم نفسه .
(٩) في ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلام مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي
المحاسن « تقلب » .

في حجرٍ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لَكَ
بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمِنُ مِنَ الأَرْضِ ،
وأَكْمُ للسِّرِّ من صاحب السِّرِّ ، وأحفظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،
وأحفظُ لما استُحفظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المعربين^(١) ، بل مِنْ
الصَّيَّانِ قَبْلَ اعْتِراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بتمييز الأشخاص ،
حينَ العنايةِ تامَّةٌ لم تنقُصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقسِمْ ، والإرادةُ وافرةٌ
لم تتشعبْ ، والطَّيْنَةُ لَيِّنَةٌ ، فهي أقبلُ ما تكونُ للطبائِعِ ، والقَضِيبُ
رطبٌ ، فهو أقربُ ما يكونُ من العُلوقِ ، حينَ هذهِ الخصالِ لم يخلُقْ
جديدها ، ولم يوهنْ غرُّها ، ولم تتفرَّقْ قُواها ، وكانت كما قال الشاعر^(٢) :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
وقال عبدة بن الطبيب^(٣) :

لَا تَأْتَمُّوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيَّهُمْ بَيْنَ القَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُدْشَعُ^(٤)
ومن كلامهم : التعلُّمُ في الصَّغَرِ كالنقشِ في الحجر . وقد قال جرَّانُ العودِ^(٥) :

[تُرْكَنَ برجلةِ الروحاءِ حَتَّى تَنْكَرَتِ الدِيَارُ عَلَى البَصِيرِ]
كُوْحِي فِي الحِجَارَةِ أَوْ وُشُومِ بَأَيْدِي الرُّومِ بِأَقْيَةِ النَّشُورِ
وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القدوس :

وَإِنَّ مَنْ أَدَّتْهُ فِي الصَّبِيِّ كَالْعُودِ يُسْقَى المَاءَ فِي غَرَسِهِ

- (١) في ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .
- (٢) هو مجنون بنى عاعر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
- (٣) البيت ساقط من ل . . وفي ط « نيرة بن الطبيب » والتصحيح من س .
- (٤) نشع الصبي وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .
- (٥) شاعر نمري اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :
خذنا حذرا يا جارقي فإنني رأيت جرَّان العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي قَد كَانَ فِي يُبْسِهِ (١)

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدِّبُ وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيبُ وَالرَّأْسُ أُشَيْبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّة (٢) لعيسى بن عمر (٣) : أكتب شعري ؛ فالكتاب أحبُّ
إليَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابيَّ ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ،
فيضعُ في موضعها كلمةً في وزنها ، ثم يُنشدها الناسَ ، والكتاب لا ينسى
ولا يُبدلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا حليطاً أنصفَ ، ولا رفيقاً
أطوعَ ، ولا معلماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جنابةً ، ولا
أقلَّ إملاً وإبراماً ، ولا أحفلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خيلاً وإجراماً ، ولا
أقلَّ غيبةً ، ولا أبعدَ من عَصِيبة (٤) ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرفاً ، ولا أقلَّ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ،
إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن
البحري والمعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفاً
ذهبت كلها ، وكان يتقعر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،
أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مال أراكم تكأكم على
كسكأكم على ذئب جنة ؟ ! افرنقموا عني » . وأتمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه
نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضه
عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العصية : الكذب والإفك والبهتان .

تصليفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مراي ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهّد في جدال ،
 ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريباً أحسن موافاةً ، ولا أعجل
 مكافاةً ، ولا أحضر معونةً ، ولا أخف مثونةً ، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا
 أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مجتنى ، ولا أسرع إدراكاً ، ولا
 أوجد في كل إبان ، من كتاب . ولا أعلم نتاجاً في حدائق سنه وقرب
 ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير العجيبة
 والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ،
 ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة^(١) ، والتجارب الحكيمة ، ومن
 الإخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتنازحة ، والأمثال السائرة ، والأمم
 البائدة ، ما يجمع لك الكتاب . قال الله عزّ وجلّ لنيه عليه الصلاة
 والسلام ﴿ إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم ﴾ فوصف نفسه ،
 ٢٣ تبارك وتعالى ، بأن علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتدّ بذلك
 في نعمة العظام ، وفي أياديه الجسام . وقد قالوا: القلم أحد اللسانين ، وقالوا :
 كلُّ من عرف النعمة في بيان اللسان ، كان بفضل النعمة في بيان القلم
 أعرف . ثم جعل هذا الأمر قرآناً ، ثم جعله في أول التنزيل
 ومستفتح الكتاب .

(كون الاجتماع ضرورياً)

ثم أعلم ، رحمة الله تعالى ، أنّ حاجة بعض الناس إلى بعض ، صفة
 لازمة في طبائعهم ، وخلق قائمة في جواهرهم ، وثابتة لاتزائلهم ، ومحيطة
 بجماعتهم ، ومشملة على أذنهم وأقصابهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم -

(١) في الأصل « القديمة » بالدال .

مَّا يُعِيشُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ ، وَيُمْسِكُ بِأَرْمَاقِهِمْ ، وَيُصَلِّحُ بِهِمْ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَإِلَى التَّعَاوُنِ فِي دَرْكِ ذَلِكَ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَيْهِ - كَحَاجَتِهِمْ إِلَى التَّعَاوُنِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَى مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الِارْتِفَاقِ بِأُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تَغِبْ عَنْهُمْ ، فَحَاجَةُ الْغَائِبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجَةِ الشَّاهِدِ ، لِاحْتِيَاجِ الْأَدْنَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَقْصَى ، وَاحْتِيَاجِ الْأَقْصَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدْنَى ، مَعَانٍ مُتَضَمِّنَةٌ ، وَأَسْبَابٌ مُتَّصِلَةٌ ، وَحِبَالٌ مُنْعَقِدَةٌ . وَجَعَلَ حَاجَتَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، كَحَاجَةِ [مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَى أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، وَحَاجَةِ [مَنْ يَكُونُ بَعْدَنَا إِلَى أَخْبَارِنَا ، وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْبَشَارَاتُ بِالرُّسُلِ ، وَلَمْ يَسْخَرْ لَهُمْ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، إِلَّا وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الِارْتِفَاقِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَجَعَلَ الْحَاجَةَ حَاجَتَيْنِ : لِإِحْدَاهُمَا قِيَامُ وَقُوتِ ، وَالْأُخْرَى لِدَّةٍ وَإِمْتَاعٍ وَازْدِيَادٍ فِي الْآلَةِ ، وَفِي كُلِّ مَا أُجْدَلَتِ النُّفُوسُ ، وَجَمَعَ لَهُمُ الْعِتَادُ ^(١) . وَذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنْ جَمِيعِ الصَّنْفَيْنِ وَفَقُّ لِسْكَثَرَةٍ حَاجَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ وَبُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ إِحْتِمَالِ ^(٢) طَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَقْطَعْ الزِّيَادَةَ إِلَّا لِعَجْزِ خَلْقِهِمْ عَنْ إِحْتِمَالِهَا ، وَلَمْ يَجْزِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْزِ ، إِلَّا بَعْدَمَ الْأَعْيَانِ ، إِذْ كَانَ ^(٣) الْعَجْزُ صِفَةً مِنَ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَنَعْتًا مِنْ نَعُوتِ الْعَبِيدِ .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ حَاجَتِهِ بِنَفْسِهِ ^(٤) دُونَ الِاسْتِعَانَةِ

(١) فِي ط : « الْمَعْتَاد » وَصَوَابِهِ فِي ل .

(٢) فِي ط : « اِعْتَار » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَقَعُ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ تَشْبِهَ هَذَا .

(٤) فِي ط : « بِنَفْسِهِ » وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ عَنْ ل .

بعض من سخر له ، فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم .
وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوقة في باب ، وأحوج السوقة إلى الملوك
في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده . ثم جعل الله تعالى كل
شيء للإنسان حوالاً ، وفي يده مُدَلَّلاً ميسراً^(١) إما بالاحتياج له والتلطف
في إراغته واستمالته ، وإما بالصولة عليه ، والفتك به ، وإما أن يأتيه
سهواً ورهواً . على أن الإنسان لولا حاجته إليها ، لما احتال لها ، ولا صال
عليها . إلا أن الحاجة تفرق في الجنس والجهة والجبلية ، وفي الحظ والتقدير .
ثم تعبد الإنسان بالتفكير فيها ، والنظر في أمورها ، والاعتبار
بما يرى ، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة ، وتلك
الحاجات اللازمة ، بالنظر والتفكير ، وبالتنقيب^(٢) والتنقيب ، والتثبت^(٣)
والتوقف ؛ ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها ، وتشاعرهم بمواضع
الحكم فيها بالبيان عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائق
حاجاتهم ، ومعرفاً لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن
أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة ، والأجسام
الجامدة ، والأجرام الساكنة ، التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكمة

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : والتثبت » .

وكنوز الآداب ، وينابيع العلم ، إلا بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر
النائم النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه
الفكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفُّظ من دواعي الهوى ؛ ولأنَّ
الشُّكْلَ أفهمُّ عن شكله ، وأسكنُّ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ في
أجناس البهائم ، وضروب السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُّ له ، وله آلفٌ
وإليه أنزع ، وكذلك العالمُ والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عزَّ وجلَّ
لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ * لأنَّ
الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون
موقع ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصنْفٍ واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرِّق ،
وكثُر ولم يقلِّ ، وأظهر ولم يُخفِّ ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون
معانيهم ، والترُّجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛
وفي خصلةٍ خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد
تبدلَ بجنسها الذي وُضعت له وصُرِّفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ،
والخطُّ ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجد من صحَّة الدلالة ،
وصدق الشهادة ووضوح البرهان ، في الأجرام الجامدة والصامته ،
والساكنة التي لاتتبيَّن (١) ولا تحسُّ ، ولا تفهم ولا تتحرَّك إلا بداخلٍ
يدخل عليها ، أو عند ممسِكٍ خَلَّى عنها ، بعد [أن] كان تقييده لها .

ثمَّ قسم الأقسام ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل
اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك الناظر واللامس في معرفة

(١) في ل : « لاتتبيس » ، أى تنطق . والتبيين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إلا بما فَضَّلَ اللهُ به نصيبَ الناظرِ في ذلك على قدرِ نصيبِ
اللامس . وجعلَ الخطَّ دليلاً على ما غابَ من حوائجِه عنه ، وسبباً موصولاً بينه
وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمنُ نسيانَه ، ممَّا قد أحصاه وحفظه ،
وأتقنه وجمعه ، وتسكف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائق نصيباً .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهندِ لضاع من الحسابِ الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت (١)
معرفةُ التضاعيف ، ولعَدِموا الإحاطةَ بالباوراتِ وباوراتِ الباوراتِ (٢) ،
ولو أدركوا ذلك لما أذَرَ كُوه (٣) إلا بعد [أن] تغلَّظَ المَثُونَةُ ، وتثَقِّصَ
المُنَّةُ ، ولصارُوا في حالٍ مَعْجَزَةٍ وحسور ، وإلى حالٍ مَضِيعَةٍ وَكَلالِ
حدِّ ، مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدلالةِ لسكان أربحَ لهم ، وأردَّ
عليهم ، أن يُصَرِّفَ ذلك الشغلُ في أبوابِ منافعِ الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحسابِ معلوم ، والخَلَّةُ في موضعِ فقدهِ معروفة . قال اللهُ تعالى :
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبيانِ عَرَفَ النَّاسُ الْقُرْآنَ . وقال اللهُ تبارَكَ وتعالى

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بحذفها .

(٣) في ط : « ولو أذكروا ذلك لما أذكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عِنْدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ فَأَجْرِي الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَسْكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ ^(١) ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلِكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلِكِ الْأَقْدَارِ .

(فصل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوّنة والأخبارُ المخلّدة ، والحكمُ المخطوطة التي تُحصّنُ الحسابَ وغيرَ الحسابِ ، لَبَطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ ، وَلَغَبَ سُلْطَانُ النَّسِيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْزَعٌ إِلَى مَوْضِعِ اسْتِذْكَارٍ . وَلَوْ تَمَّ ذَلِكَ لَحَرِمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْدَارَ حِفْظِ النَّاسِ لِعَوَاجِلِ حَاجَاتِهِمْ وَأَوَائِلِهَا ، لَا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا مَذْكَورًا وَلَا يُغْنِي فِيهِ غَنَاءٌ ^(٢) مَحْمُودًا . وَلَوْ كَلَّفَ عَامَّةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَصْطَنِعُ الْكُتُبَ ، الْأَيَّازِ حَافِظًا لِفَهْرَسْتِ كِتَابِهِ لِأَعْجَازِهِ ذَلِكَ ، وَالْكَلْفَ شَطَطًا ، وَلَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ . وَفَهْمُكَ لِمَعَانِي كَلَامِ النَّاسِ ، يَنْقَطِعُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فَهْمِ عَيْنِ الصَّوْتِ مُجَرَّدًا ، وَأَبْعَدُ فَهْمِكَ لِصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامِلِكَ وَالْمَعَاوِنِ لَكَ ، مَا كَانَ صِيَاحًا صَرَفًا ، وَصَوْتًا مَصْمُومًا وَنِدَاءً خَالِصًا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفَاهِمَةِ ، وَعُظْلٌ مِنَ الدَّلَالَةِ . فَجَعَلَ اللَّفْظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وضوايه المدكوكا في ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح
٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رَفَعُ الحَوَاجِبِ ، وكسْرُ
الأجفان ، ولى الشَّفَاهِ وتحريك الأعناق ، وقَبْضُ جِلْدَةِ الوجه ؛ وأبعدها
أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، مُجَاهَ عَيْنِ الناظر ، ثمَّ يَنْقَطِعُ عملُها ويدْرُسُ
أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كلِّ شَيْءٍ فَضْلٌ عن انتهاء مدَى الصوت
ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب . فأى نفعٍ أعظمُ ،
وأى مِرْفَقٍ أعونٌ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا !! وليس للعقدِ حظُّ
الإشارة في بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونوّه بذكره
في المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
كما أقسم بما يُحْطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشقُّ
غبارَه ولا يجرى في حلبته ، ولا يتكلف [بُعدًا] غايته . لكن لما أن
كانت حاجات الناس بالحضرة^(١) أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ،
وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجةً دائمةً واکدة ، وراهنَةً ثابتة ،
وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون في الغيبة وعند النائبة ، إلا
ما حُصِّت به الدواوين ؛ فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدّموا اللسان على القلم . فاللسان الآن إنما هو في منافع اليد^(١) والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حَظُّهَا وقِسْطُهَا من منافع الإِشَارَةِ ، ثم نَصِيْبُهَا في تَقْوِيمِ القَلَمِ ، ثم حَظُّهَا^(٢) في التَّصْوِيرِ ، ثم حَظُّهَا في الصَّنَاعَاتِ ، ثم حَظُّهَا في العَقْدِ ، ثم حَظُّهَا في الدَّفْعِ عن النَّفْسِ ، ثم حَظُّهَا في إِبْصَالِ الطَّعَامِ والشَّرَابِ إِلَى الفَمِ ، ثم التَّوَضُّؤُ والامْتِسَاحُ^(٣) ، ثم انتِقَادِ الدَّنَانِيرِ والدَّرَاهِمِ ولُبْسِ الثِّيَابِ ، وفي الدَّفْعِ عن النَّفْسِ ، وَأَصْنَافِ الرَّحْمِيِّ ، وَأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وَأَصْنَافِ الطَّعْنِ ، ثم النَّقْرِ بِالْعُودِ وتحريكِ الوترِ ؛ ولولا ذلك لبَطَلَ الضَّرْبُ كُلُّهُ أو عَامَّتُهُ . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضَرْبُ الطَّبْلِ والدَّفِّ ، وتحريكِ الصَّفَاقَتَيْنِ^(٤) ، وتحريكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ المِزَامِيرِ ، وما في ذلك من الإِطْلَاقِ والحَبْسِ . ولو لم يكن في اليَدِ إِلَّا إِمْسَاكُ العِنَانِ والزَّمَامِ وَالخِطَامِ ، لكانَ من أَعْظَمِ الحِظُوظِ .

وقد اضطرَبوا في الحَكْمِ بين العَقْدِ والإِشَارَةِ ، ولولا أن مغزانا في هذا الكتابِ سوى هذا الباب ، لقد كانَ هذا مِمَّا أُحِبُّ أن يعرفه إخواننا

-
- (١) في ل « إنما يوفى منافع اليد » .
(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .
(٣) في ط : « والتمسح » .
(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد
٢٦ الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتي ، من طريق
فضل^(١) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما
قصّدتنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين^(٢) ، وحساب الدواوين
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكتته ، وبلغ ما اسانطقته . ومن
لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،
ولا يُجوجك إلى التجمّل له والتندّم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل
زيارته غيباً ، ووروده خمساً ، وإن شئت لزوم ظلك ، وكان منك
مكان بعضيك .

والقلم مكتفٍ بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدّ لبيان اللسان
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك^(٣) خاصّ الخاصّ
إذا كان أخصّ الخاصّ قد يدخل في باب العامّ ، إلا أنه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفي خاصّ [الخاصّ] باللفظ عمّا أداه ، كما اكتفى عامّ العامّ والطبقات
التي بينه وبين أخصّ الخاصّ .

والكتاب هو المجلس الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لا يُغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيقُ الذي لا يَمَلُّكَ ، والمستَمِيعُ الذي لا يَسْتَرِيكُ (١) ، والجارُ الذي لا يَسْتَبْطِيعُكَ ، والصاحبُ الذي لا يريد استخراجَ ما عندَكَ بالملقِ ، ولا يعامِلُكَ بالمسكرِ ، ولا يخدَعُكَ بالنِّفاقِ ، ولا يَحْتالُ لك بالكذبِ . والكتابُ هو الذي إن نظرتَ فيه أطلَّ إِمْتاعَكَ ، وشحذَ طباعَكَ ، وبسطَ لسانَكَ ، وجوَّدَ بِنانَكَ ، وفحَّمُ أفاظَكَ ، وبيَّحَ (٢) نفسَكَ ، وعمَّرَ صدرَكَ ، ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصدَاقَةَ الملوكِ ، وعَرَفْتَ به في شهرٍ ، ما لا تعرفُهُ من أفواهِ الرجالِ في دهرٍ ، مع السلامةِ من العُرمِ ، ومن كدِّ الطلبِ ، ومن الوقوفِ بِيابِ المكتسِبِ بالتعليمِ ، ومن الجلوسِ بين يدي مَنْ أنتَ أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقاً ، ومع السلامةِ من مجالسةِ البُغضاءِ ومقارنَةِ الأَغبياءِ . والكتابُ هو الذي يُطِيعُكَ بالليلِ كطاعتهِ بالنهارِ ، ويَطِيعُكَ في السفرِ كطاعتهِ في الحضرِ ، ولا يعتلُّ بنومٍ ، ولا يعتريه كلالُ السهرِ . وهو المعلمُ الذي إن افتقرتَ إليه لم يُخْفِرْكَ ، وإن قطعتَ عنه المادَّةَ لم يقطعْ عنكَ الفائدةُ ، وإن عَزَلتَ لم يدعْ طاعتَكَ ، وإن هبَّتْ ريحُ أعادِيكَ لم يتقلبْ عليك ، ومتى كنتَ منه متعلِّقاً بسببٍ أو معتصماً بأذنى حبلٍ ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تَضْطَرَّكَ [معه] وحشةُ الوَحْدَةِ إلى جليسِ السوءِ . ولو لم يكن مِن فضله عليك ، وإحسانِهِ إليك ، إلَّا منعهُ لك من الجلوسِ على بابِكَ ، والنظرِ إلى ٢٧ المارةِ بك ، مع ما في ذلك من التعرُّضِ للحقوقِ التي تلزَمُ ، ومن فُضُولِ

(١) المستمع : طالب العرف . واسترأته : استبطأه . وفي ط : « يشتريك » . وفي ل :

« يشتريك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البجح محرّكة : الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحته تبيحها فتبيح : أي أفرحته ففرح .

النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ^(١) ، ومن ملاسة صغار الناس ،
وحضور ألقاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ،
وجهالاتهم المذمومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ،
مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخْفِ الْمُنَى وعن
اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه
أَسْبَغَ النِّعْمَةَ وَأَعْظَمَ الْمِنَّةَ .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفسكاهات
ساعات ليلهم ، السكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر
في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروعة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح
دين ، ولا في تمييز مال ، ولا في ربّ صديعة ^(٢) ولا في ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء في فضل السكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبيته في وصيته : يَا بَنِيَّ لَا تَقُومُوا
فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَاقٍ ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأتُ على شيخٍ شامئٍ كتاباً فيه من مآثر
عطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلا من السكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤي ^(٤) يقول : غَبَرْتُ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قَلْتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدا .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصي بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بُتْ [ولا اتسكأت] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى (١) .

وقال ابن الجهم : إذا غشيّني النعاس في غير وقت نوم - وبئس الشيءُ
النومُ الفاضلُ (٢) عن الحاجة - قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من
كتب الحكم ، فأجدُ اهتزازي للفوائد ، والأريحية (٣) التي تعزّيني عند
الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين (٤)
أشدَّ إيقاظاً من نهيق الحمير وهدة الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه
الفائدة ورأيتُ ذلك فيه - فلو ترانى وأنا ساعةً بعد ساعة أنظرُكم بقى من ورقه
مخافة استنفاده ، وانقطاع المادة من قلبه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم
كثير الورق ، كثير العدد - فقد تمَّ عيشي وكملَّ سروري .

وذكر العتيبي (٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرة ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً
بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلي . . وقد روى
الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان في بعض الليالي
بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعى المأمون ، فقال له اللؤلؤى :
نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده ! !
(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت .
وقال يعقيل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط : « الفاصل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحية » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التين » .

(٥) في ل : « القتيبي » وهو تصحيف ما في ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة
رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان قاضياً وتوفي
سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتيبي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب
الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة
الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يعنيه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : اسكني ما رغبتني فيه إلا الذي زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلاقني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتيبي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرٌّ مخيرٌ ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأراك زعم أنه قد فرغ من مقالة !! قال العتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال^(٢)] : إنما رغبتني^(٣) في العلم أتى ظننت أتى أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المواعيد ، فأنتي لا أريد العلم بشيء !!

= وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخليل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتيبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتمد واختص به حتى إن المعتمد لما مات سلمويه قال « سأخق به ، لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره من يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ انظر القفطي ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلی ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) في الأصل « رغبتني »

(السمع والكتابة)

فالإنسان لا يعلم حتى يكثُر سماعه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبه أكثرَ من سَماعِهِ ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَفُ [إليه] ^(١) ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوِّه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إنفاق عُشَّاقِ القيان ، والمستهزئين بالبيان ^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس يَنْتَفِعَ بإنفاقه ، حتى يُوَثِّرَ اتِّخَاذَ الكُتُبِ إِيثارَ الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يُوَمِّلَ في العلم ما يوَمِّلُ الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندی مرة : ودِدْتُ أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة ^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تَجْيِيزٍ ^(٤) الحبرِ الأسودِ المشرقِ البراق ، وعلى استجادة الخطِّ والإرغاب لمن يخطُّ ، فإنِّي لم أَرِ كورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتُ مالا عظيماً - مع حبِّي للمال وبُغْضِ الغُرم - كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهزئ : المولع بالشيء المهمك فيه . وفي ط : « ألدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستهزئين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل لتصح .

(٣) في ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما في ل . وحرصيص إنما يجمع على حرص - كرمان ،

وحرصاص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلمِ دليلٌ على شرفِ النفسِ ، وعلى السلامةِ من سُكْرِ الآفاتِ .
قلت لإبراهيم : إنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيلِ الكتبِ ، كإنفاقِ النصارى على
البيعِ ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفةٍ ، وكتبَ مقاييسَ
وسُنَنِ [و] تبيينٍ وتبيينٍ (١) ، أو لو كانت كتبُهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصناعاتِ ،
أو سُبُلَ التكبُّبِ والتجاراتِ ، أو كتبَ ارتفاعاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعضَ
ما يتعاطاهُ الناسُ من الفطنِ والآدابِ - وإنَّ كان ذلك لا يقربُ من غنى
ولا يُبعدُ من مآثمٍ - لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيمُ البيانِ ، والرغبةُ
٢٩ في التبيينِ (٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الديانةِ ، [و] على طريقِ تعظيمِ
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاقِ المحجوسِ على بيتِ النارِ ، وكإنفاقِ
النصارى على صُلبانِ الذهبِ ، أو كإنفاقِ الهندِ على سدنةِ البِدَّةِ . ولو كانوا
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمةِ لهم مبدولةً ، والطرقُ إليها سهلةً
معروفةً . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادةِ ، وباعثةٌ على الخشوعِ ، لبلغوا في ذلك بعفْوهم ،
ما لا تبلغه النصارى بغايةِ الجهدِ .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشقَ ، حين استجاز هذا السبيل ملكٌ من
ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنَّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوأنفسهم

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصحته بما ترى .

(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلما قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بالجلال ، وعَطَّاه بالكرابيس (١) ، وطَبَّخَ سلاسلَ القناديلِ حتى ذهب عنها ذلك التلاؤُّ والبريق ؛ وذهب إلى أن ذلك الصنيعَ مجانبٌ لسنة الإسلام ، وأنَّ ذلك الحسنَ الرائعَ والمحسنَ الدِّقَّاقَ ، مَذْهَلَةٌ للقلوب ، وَمَشْغَلَةٌ دونَ الخشوع ، وأنَّ البالَ لا يكونُ مجتمعاً وهناك شيءٌ يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذي يدلُّ على ما قلنا ، أنه ليس في كتبهم مثلُ سائر ، ولا خبرٌ طريف ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلامية ، ولا تعريفٌ صناعة ، ولا استخراجُ آلة ، ولا تعليمٌ فِلاحَةٍ ، ولا تدبيرٌ (٢) حرب ، ولا مقارعة (٣) عن دين ، ولا مناقلةٌ عن نِحْلَةٍ ، وجُلُّ ما فيها ذِكرُ النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافدُ العفاريت ، وذكرُ المصنيد ، والتَّهْوِيلُ بعمود السنخ (٤) ، والإخبارُ عن شقْلون ، وعن الهامة [والهامة] . و [كلُّه] هَذْرٌ وعِيٌّ وخُرَافَةٌ ، وسُخْرِيَةٌ وتكذُّبٌ ، لا ترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مؤثقاً ، ولا تدبيرَ معاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصَّة (٥) . فأىُّ كتابٍ أجهلٌ ، وأىُّ تدبيرٍ أفسدٌ من كتابٍ

(١) الكرابيس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيرهه لعزقة فعلال . والنسبة كرابيسي ، كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) في ط : « تدبر » والوجه ما في ل .

(٣) ما عدل : « منازعة » .

(٤) في ط « الصبح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصة » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل ..

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع^(١) بالديانة ، [لا^(٢)] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دينٍ !؟ والناسُ لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامةٌ سوقها [وإحضارٌ نفعها . وأما الدين فأقلُّ ما يُطعم في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يصوّر في صورةٍ مغلطة ، ويموه تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل^(٣) . فليس إنفاقهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [أختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشدَّ انتشاراً من اليهودية تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتب كلَّ ما تسمع ، فإن أحسنَّ ما تسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض^(٦) .

(١) في ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضها الكلام .

(٣) في ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلط فيه الكثير

ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجه العبارة من ل ، بهه أن حذف (لا) .

(٤) في ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدل « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما في ل . ويطلبه ما في المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر حيوان ٥ : ٢٤٨ . وفي

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن في ط : « من مكان » .

وقال الحليل بن أحمد : تكثّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير^(١) :

أما لو أعى كل ما أسمع وأحفظ من ذلك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقليل هو العالم المصقع^(٢)
ولكن نفسي إلى كل نو ع من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
وأحصر بالعى في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فمن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلّف ابن يسير الكتب ما ليس عليها . إن

الكتب لا تحي الموتى ، ولا تحوّل الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ،

ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول ، فالكتب تشحد وتفتق ،

وترهف وتشفى . ومن أراد أن يعلم كل شيء ، فينبغي لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبنى ريش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي

الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقلداً ، لم يفارق البصرة ،

ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،

وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الجاحظ

في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو

بدون نسبة في المحاسن والمساوي ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيءٍ اعتراه !! فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غير غفلٍ من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلاّ نسي ما هو أكثر منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدّثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى ، وفي بيت مدرسه (١) كتابٌ إلاّ وله ثلاثٌ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُه ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ البد ، إلاّ اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة ، وهم جلوسٌ على خيرة لهم (٢) ، وعندهم طنبورٌ . فسورنا عليهم (٣) في جماعةٍ من رجال الحى ، فإذا قفى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس كبير ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الحاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الحاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالبدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفترأ فيه شعر . فقال الذي سعى بهم : السَّوْعَة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ قَتَى أصحابه شيوخ ، وفي يده دفترُ علم ، ولو كان في ثوبه دمٌ يحيى بن زكرياء ! !

وأنشد رجلٌ يونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيِّعَه فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنانتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحه - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود كوفية ، ودقتين طائفيتين^(١) ، بخطٌ عجيب - فقيل له : لقد أضيع من تجودٍ بشعر^(٢) أبي الشمقمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ يعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي ، أو أجعله محفوظاً على ناظري ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيتُ السَّمَّاطين والرجالَ مُثولاً كأنَّ على رعوسهم الطير ، ورأيتُ فرشته وبرزته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقاطرُ والدفاترُ والمساطرُ والمخابر ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) في ط : « طائفين » والصواب ما في ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) في ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الخلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبدِ الله بنِ عمر ابنِ الخطَّابِ ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ يرى إلَّا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال : لم أرَ أوْ عَطَّ من قبر ، ولا أَمْنَعُ ^(١) من كتاب ، ولا أسلمَ من الوحدة . فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدَها للجاهل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعة الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تسكتب أعمالهم لسكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظُ نسيانًا ، ولسكنه تعالى وعزٌّ ، علم أن كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كدُّ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فاعل صحة ما هنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر ، وهو خطُ الحازي والعراف^(١) والزاجر . وكان فيهم
حليس^(٢) الخطاط الأسدي ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :
فأنتم عضاريط الحميس إذا غزوا غناؤكم تلك الأخطيط في الترب^(٣)
وخطوط آخر ، تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر ، كما يعترى المفكر
من قرع السن ، والغضبان من تصفيق اليد وتجيحظ العين . وقال تأبط شراً :
لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق
وفي خط الحزين في الأرض يقول ذو الرمة^(٤) :

عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع^(٥)
أخط وأمحو الخط ثم أعيده بكفى والغربان في الدار وقع
وذكر النابغة صنيع النساء ، وفزعهن إلى ذلك ، إذا سبين واغتربن
وفكرن ، فقال :

(١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة
في العرب . والراف : السكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :
جملت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفيان

(٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . وورد في ل برسم
« حليس » وفي ط برسم « جلس » .

(٣) المضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملابط ، وعضروط كمصفور ، قال في
القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، والثلثم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه
١٥٩ يهجو به تيمما وأسدا .

(٤) قال الثعالبي في الثمار ٢١٤ : ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرعا البيان !! ثم يخبر بما
يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :
عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع

وانظر المقدم ٦ : ١٤٩ .

(٥) في الثمار كما كتبت « بلقط » بالقاف بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وانظر
تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَحْطَبْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَانُ رُمَانَ الثَّدْيِ النَوَاهِدِ
وقد يفزع إلى ذلك الحجلُّ والمتعلُّ ، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسمِ
ابن أمية بن أبي الصلت :

لا ينقرون الأرضَ عند سُؤالِهِم لتلمسِ العِلَاتِ بِالْعِيدَانِ (١)
بل يبسطون وجوهَهُم فترى لها عند اللقاء كأحسنِ الألوانِ
وقال الحارث بن الكندي ، وذكرَ رجلاً سأله حاجةً فاعتراه العبتُ
بأسنانه ، فقال :

وَأَصَرَ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضِرْسًا يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعُ بَضْرُسِ
وربما اعترى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا في موضعِ حصى ، ولم يكونوا
في موضعِ تراب ، وهو قولُ امرئ القيس :

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعَدُّ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِي
وقال أمية بن أبي الصلت :

سَهْرًا جَارِيًا وَبَيْتًا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْمَكَارِمِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَمَهُمْ بَلْقَطِ حَصَاكَ (٢)
وقال الآخر ، وهو يصف امرأةً قُتِلَ زوجها ، فهي محزونةٌ تَلْقُطُ الحصى :
وَبِيضَاءِ مَكْسَالٍ كَأَنَّ وَشَاحَهَا عَلَى أُمَّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَذُولِ (٣)

(١) في ط : « ينكتون » ، وهو تصحيف ، وفي س « ينكتون » ، وفي ل وكذلك عيون
الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزباني ٣٣٢ « لا ينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب
١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعلها « براخ » كسحاب ، وأصل معناها الفسح من الأرض . و « تعلمهم »
هي في ط : « تعلقهم » وليس بشيء . وفي ل « تعلق لهم » وهو خطأ كتابي .

(٣) في ط : « المقتلين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقتلين يعني به الظبي .
والخذول من وصف أمه ، وهي التي خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ،
فهى فرعة ولها على خشفها ، وهي تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلَتْ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى
مع الصُّبْح ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ
يقول : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلًا عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورْثَهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاطِ
الْحَصَى . يَجِبُ أَنْهُ لِمَنْعَتِهِ ، لَا يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ .

(أقوال الشعراء في الخط)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ
قال : قال المَقْنَعُ الكِنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :
كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغِلَامِ أَجَادَهُ (١) بِمِدَادِهِ ، وَأَسَدٌ مِنْ أَقْلَامِهِ (٢)
قَلَمٌ كَخُرُطُومِ الْحَمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ
يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءِهَا مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمِدَادَ سُخَامِهِ
يَحْنَى فَيُقْصَمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ (٣) كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ
وَبَأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاعَمَ فَاسْتَوَى سُقَى الْمِدَادِ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ
مُسْتَعْجِمٌ . وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا (٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) في ط : « كتف » وفي ل « كف » والوجه ما كتبت من س .

(٢) في ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) في ط : « يحنى » وإنما هو « يحنى » بالخاء كما في ل ، أي يرق سته ، فيتعثر في الكتابة .
وهو مأخوذ من حفا القدم والحنف والحاfer .

(٤) في ط : « متعجم » وأثبت ما في ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ،
ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

واه تراجمه بالسنة لهم
ماخط من شيء به كتابه
وهجاؤه قاف ولام بعدها
ميم معلقة بأسفل لامه
ثم قال :

قالت لجارتها الغزِيلُ إذ رأت
قد كان أبيضَ فاعتراه أذمةٌ
كم من بُوزِلِ عامِها مهريّة
وهب الوليدُ برَحَلِها وزمامها (١)
فالعينُ تُنكره من أدْهِيامِها
وقورِيحِ عتدِ أَعْدَ لِنِيهِ
وكذلك ذاك برَحَلِهِ ، وزمامِهِ
وهب الوليدُ بسرَجِها ولجامِها
لبنُ اللُّقوحِ فعادَ مِلءَ حِزامِهِ (٢)
وكذلك ذاك بسرَجِهِ ، ولجامِهِ
أهدى المَنعَ للوليدِ قصيدةً
وله المآثرُ في قريشٍ كلِّها
كالسيفِ أرهفَ حدُّهُ بحسامِهِ
وله الخِلافةُ بعد موتِ هشامِهِ

٣٤

وقال الحسن بن جماعة الجذائي (٣) في الخط :

(١) في ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) التي بالكسر : الشحم . اللقويح : مصفر قارج ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل
من الإبل . العتد محرّكة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الحلق . اللقوح :
الناقة قد لقت . . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج
المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقتحة وما تستوى والورد ساعة تفزع
إذا هي قامت حاسرا مشمعة نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه باللجام ميسرا هنالك يجزيى بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرنى يابنت آل سعد أن حطبت لقتحة للورد
جهلت من عثانه المتد ونظرى في عطفه الألد

(٣) كذا في ل و س . . . وقد ورد « جماعة » بأخاء في ط .

إِلَيْكَ بِسْرَى بَاتَ يُرْقِلُ عَالِمٌ

أَصْمٌ الصلدى محرورف السن طائع (١)
بَصِيرٌ بما يُوحَى إليه وماله لسانٌ ولا أُذُنٌ بها هُوَ سامعٌ
كَأَنَّ ضميرَ القلبِ باحِ بِسرِّه لديه ، إذا ما حشحتُهُ الأصابع
له رِيقةٌ من غيرِ فرثٍ تمدُّه ولا من ضلوعِ صِدِّ قمتها الأضالِعُ (٢)

وقال الطائي ، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

وما برحتُ صُوراً إِلَيْكَ نوازِعاً أَعْنَتْها مُذْ راسَلتُكَ الرِسايلُ
لَكَ القَلَمُ الأعلى الَّذِي بَشابته يُصَابُ مِنَ الأَمْرِ الكَلْبِيِّ والمِفاصلُ (٣)
لَكَ الخَلواتُ اللاءِ لولا نَجِيئُها لما احتفلتُ للملِكِ تلكِ المِخافِلُ (٤)
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ وَأَرى الجَنى أَشْثارَتَهُ أيدٍ عَواسيلُ
له رِيقةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقعَها بِأَثارِها في الشَرقِ والغَربِ وابلُ
فصيحُ إذا استنطقتَهُ وهو راكِبُ وَأعجَمُ إنِ خاطبتَهُ وهو راكِبُ
إذا ما امتطى الحِمْسَ اللِّطافِ وأفرغتِ عليه شِعبُ الفِكرِ وهى حَوافِلُ
أطاعَتَهُ أطرافُ القِنا وتَقَوَّضتْ لِنِجَواهِ تَقَويضِ الخِيامِ الجِحاوِلُ
إذا استغزَرَ الذَهنُ الجَلِيَّ وأقبلتْ أَعاليهِ في القِرطاسِ وهى أسافلُ (٥)

(١) في ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصلدى : جسد الآدمي بعد موته . فهو بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصلدى كذلك : رجح الصوت ، فكان القلم ينطق في القرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنها » . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط : « بشابته » موضع بشابته ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا نجيئها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استغزر الذهن المجلي » وأثبت ما في ل .

وقد رَفَدَتْهُ الخِنْصِرَانِ وسَدَّدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامِلُ^(١)
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضَنِيٌّ وَسَمِيماً خَطْبُهُ وهو نَاحِلٌ^(٢)
أَرَى ابْنَ أَبِي مِرْوَانَ أَمَّا لِقَاؤُهُ فِدَانٍ وَأَمَّا الحِكْمُ فِيهِ فَعَادِلٌ
٣٥ وقد ذَكَرَ البُحْتَرِيُّ فِي كَلِمَةٍ لَهُ ، بَعْضَ كَهُولِ العَسْكَرِ^(٣) ، وَمِنْ أَنْبَلِ أبنَاءِ
كُتَّابِهِمْ^(٤) الحِلَّةُ فَقَالَ :

وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتُبِهِ

(الكُتَابَاتُ القَدِيمَةُ)

وَكَانُوا يَجْعَلُونَ الكِتَابَ حَفْرًا فِي الصَّخُورِ ، وَنُقْشًا فِي الحِجَارَةِ ، وَخِلْقَةً
مُرَكَّبَةً فِي البُنْيَانِ ؛ فَزَيْمًا كَانَ الكِتَابُ هُوَ النَّاتِي ، وَزَيْمًا كَانَ
السُّكُوتُ هُوَ الحَفْرُ ، إِذَا كَانَ تَارِيحًا لِأَمْرٍ جَسِيمٍ ، أَوْ عَهْدًا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ ،
أَوْ مَوْعِظَةً يُرْتَجَى نَفْعُهَا ، أَوْ إِحْيَاءَ شَرَفٍ يَرِيدُونَ تَحْلِيلَ ذِكْرِهِ ،
[أَوْ تَطْوِيلَ مَدَّتِهِ] ، كَمَا كَتَبُوا عَلَى قُبَّةِ عُمْدَانَ^(٥) ، وَعَلَى بَابِ القَيْرُوانِ^(٦) ،

(١) فِي ط : « وَقَدْ رَمَزْتَهُ الخِنْصِرَانِ وَشَدَّدْتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ لِ وَالدِّيوانِ .

(٢) فِي ط : « نَضَى » وَصَوَابُهُ مِنَ الدِّيوانِ وَ لِ .

(٣) هُوَ الحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ ، وَلَيْتَ شَعْرَى لَمْ يَصْرَحِ الجَاحِظُ بِاسْمِهِ ، مَعَ أَنَّ الجَاحِظَ لَهُ رِسَالَةٌ
إِلَى الحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ، فِي مَدْحِ النَّبِيِّ وَصِفَةِ أَصْحَابِهِ ، ذَكَرَ صَدْرًا مِنْهَا عَيْيِدَ اللَّهِ
ابْنَ حَسَانَ ، فِي كِتَابِهِ « الفِصُولُ المَخْتَارَةُ » انظُرْ هَامِشَ الكَامِلِ ١ : ٩٧ . وَالبَيْتُ
المَذْكُورُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيوانِ البُحْتَرِيِّ ٦٧ مَطْلَعُهَا :

مِنْ سَائِلِ المَعْدَلِ عَنِ خَطْبِهِ أَوْ صَافِحِ المَقْصَرِ عَنِ ذَنْبِهِ

(٤) فِي ط : « أَنْبَلِ ابْنِائِ كُتَّابِهِمْ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ لِ .

(٥) عُمْدَانَ : قَصْرٌ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَطَبِيبَةَ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِ بَنَانِهِ ، وَلَهُ صِفَةُ عَجِيْبَةٍ
فِي مَعْجَمِ البُلْدَانِ .

(٦) هِيَ المَدِينَةُ المَعْرُوفَةُ فِي إِفْرِيقِيَّةِ ، مَصْرَتْ فِي الإِسْلامِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ .

وعلى باب سَمْرَقَنْد^(١) ، وعلى عمود مأرب^(٢) ، وعلى ركن المشقر^(٣) ، وعلى الأبلق الفرد^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يعمِدُونَ إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ في أبعِدِ المواضع من الدُّثور ، وأمنعها من الدروس ، وأجدر أن يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمخالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبطلت العهودُ والشروطُ والسِّجِلَاتُ والصِّكَاكُ ، وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاقٍ ، وكلُّ أمانٍ ، وكلُّ عهدٍ وعقدٍ ، وكلُّ جوارٍ وحلفٍ . ولتعتظيمِ ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهليَّة مَنْ يكتبُ لهم ذكرَ الحلفِ والهَدْنَةِ ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيدياً من النسيان ، ولذلك قال الحارثُ بنِ حلِزَةَ ، في شأنِ بكرٍ وتغلب^(٦) :

واذكروا حلفَ ذِي المَجَازِ وما قُدِّمَ فيه العهودُ والكفلاءُ

- (١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالخيمرية . انظر المعجم .
- (٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .
- (٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفي ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمخاسن ٣ .
- (٤) قال ياقوت : هو حصن السموهل بن عاديء اليهودي ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .
- (٥) مدينة بالجزيرة .
- (٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا بيئنا أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الخون : الحيانة . ويروي : الجور » .

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْبَغُ قُضُّ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءِ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مهاريق حتى
تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، وميثاق ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البر
والغزول ، وأصحاب الساج وعامة المتاجر ، وليس بين الوسوم^(١) التي تكون
على الحافر كله والحف كله والظلف كله ، وبين الرقوم فرق ، ولا بين
العقود والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق ، وكلها خطوط ،
وكلها كتاب ، أو في معنى الخط والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعة
والمصوّرة من الصوت المقطع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوّرة من
السواد في القرطاس فرق .

٣٦ وَاللِّسَانُ : يَصْنَعُ فِي جَوْبَةِ^(٢) الْفَمِ [وَهَوَاتِهِ الَّذِي فِي جَوْفِ الْفَمِ]
وَفِي خَارِجِهِ ، وَفِي لَهَاتِهِ ، وَبَاطِنِ أَسْنَانِهِ ، مِثْلَ مَا يَصْنَعُ الْقَلَمُ فِي الْمَدَادِ وَاللِّقْمَةِ
وَالْهَوَاءِ وَالْقُرْطَاسِ ، وَكُلُّهَا صُورٌ وَعَلَامَاتٌ وَخَلْقٌ مُوَاثِلٌ ، وَدَلَالَاتٌ ،
فَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ فِي تِلْكَ الصُّورِ لِكثْرَةِ تَرَدَادِهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ^(٣) ،
وَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ مَصُورًا مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَانِ لِطَوْلِ تَكَرُّرِهَا عَلَى الْأَبْصَارِ ،
كَمَا اسْتَدْلُّوا بِالضَّحْكَ عَلَى السَّرُورِ ، وَبِالْبِكَاةِ عَلَى الْأَلْمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ
عَرَفُوا مَعَانِيَ الصُّوْتِ ، وَضُرُوبَ صُورِ الْإِشَارَاتِ ، وَصُورَ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ ،

(١) في الأصل «الرسوم» بالراء وإنما هي «الوسوم» جمع وسم .

(٢) ما عدل : «جوية» .

(٣) كذا في ل . ووردت محرفة في ط برسم «الاسماء» .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرُ
والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهديد^(١) ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ
الدابة مع رفع الصوت ، حتى إذا رأى سائسه محم . وإذا رأى الحمامُ
القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِّ الحبِّ ، قبل أن يُلقَى له مايلقطه . ولولا الوسومُ^(٢)
ونُقُوش الحواتم ، لدخل على الأموال الخللُ الكثير ، وعلى خزائن الناس
الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرُق^(٣) أو لها مُسَكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ
وبسط ، إلا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسُلطان والجباية ،
والديانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحساب المحكم ، ولا يخرج
الخطُّ من الجزم والمسند المنعم والسُمون^(٤) كيف كان ، قال [ذلك] الهيمُ
[ابن عدى] ، وأبن الكلبى .

(تخليد الأمم لما آثرها)

[قال] : فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاء ما آثرها ، وتحصين مناقبها ، على
ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهديد » وفي ط : « وردع المجنون الوعيد والتهديد »
أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع
« ردع » لتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .
(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .
(٣) الطرُق بالكسر : معناه هنا القوة .
(٤) بدله في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسى .

(تخليد العرب لما آثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعر يُفيد فضيلة البيان ، على الشاعر الراغب ، والمدوح به . وذهبت العجم على أن تقيّد ما آثرها بالسيد المرغوب إليه ، والمدحوح به . وبني أردشير بيضاء إصطخر ، وبيضاء المدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثم إنَّ العربَ أحبَّت أن تشارك العجمَ في البناء ، وتفرد بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبة نجران^(٢) ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب^(٣) والأبلى الفرد ؛ [فيه وفي^(٤)] مارد ، قالوا « تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق » وغير ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريفَ الأسماء ، إلّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الحضر ، والشرف على حيطان الدار ، وكالعقد على الدهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة ممتنون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزبء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بنومة الجنادل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزبء ، وقد غزتها ، فامتحن عليها : تمرّد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتِبَ الحكماءُ وما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق ^(١) ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقيةٌ ومن لا بقيةٌ له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدرأً وأكثرُ رداً ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحدثة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحجارة وحيطان المدر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثارٍ من قبلهم ، وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب [أكثر] المدن وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيامَ العجمِ وأيامَ الجاهليةِ ، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام ؛ كما هدم عثمانُ ضومعةَ عُمدان ، وكما هدم الآطام ^(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادُ كلَّ قصرٍ ومصنَعٍ كان لابن عامر ^(٣) ، وكما هدم أصحابنا بناءَ مدن الشامات ^(٤) لبني مروان .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمه وبضمين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا ، وصولا لقومه ، رحيا محبا للعرمان . وتوفي سنة ٥٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحصن ، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نَهَجَ سبيلَه ،
وسهَّلَ الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلِّهَل بن ربيعة . وكتبُ
أرسطاطاليسَ ، ومعلِّمُه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس^(١) ، وفلان
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعرِ بالدهور قبلَ الدهور^(٢) ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .
ويدلُّ على حداثةِ الشعرِ ، قولُ امرئِ القيس بن حُجْر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضِيَعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا^(٣)

أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِغْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا^(٤)

لَا حِمِيرِيٌّ وَفِي وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتَعَبَ عَيْرٍ يَحْكُمُهَا الشُّفْرُ^(٥)

لَسَكُنْ عَوِيرٌ وَفِي بَدْمَتِهِ لَا قِصْرَ عَابَةٌ وَلَا عَوْرٌ^(٦)

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موتِ زُرارةِ ومولدِ النبي عليه الصلاة
والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام —
خمسَين ومائةَ عامٍ ، وإذا استظهرنا بغايةِ الاستظهارِ فثانيَ عامٍ^(٧) .

قال : وفضيلةُ الشعرِ مقصورةٌ على العربِ ، وعلى من تسكَّم بلسانِ

(١) في ط : « ذى بقراط » ، وما أثبتته في ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم
حرف الذال المعجمة) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالتون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح ما في الديوان ١٥٩ . والمراد به
المعروف والجميل . والدخول ، كما قال أبو بكر : للذى يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والناء مثلثة .

(٥) حيرى وعلس : رجلان من بني حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجاز هنداً بنت حجر أخت امرئ القيس ،
فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزعه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل
تقطّع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا]
كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من
المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاش وبوّب لهم أبواب الفطن ،
وعرفهم وجوه المرافق ؛ حديثهم كقديمهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم
كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن ؛ مع أنّهم لو حوّلوه لم يجدوا فى
معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفطنهم
وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها
ونظر فيها . فقد صحَّ أن الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البنيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويجوِّطه ويحتجُّ له : إنّ التَّرجمانَ
لا يؤدّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفياً حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ،
ويؤدّي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري^(١) ،
وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات
مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فتي كان رحمه الله تعالى
أبن البطريق ، وأبن ناعمة ، وابن قرّة ، وأبن فهريز ، وثيفيل^(٢) ،
وأبن وهبلى ، وأبن المقفّع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد^(٣)
مثل أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنه قد أدخل الضمير عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإلّا ما له قوّة واحدة ، فإن تكلم

(١) في الأصل « الجري » وإنما هو « الجري » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس .

(٢) ابن فهريز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهريز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

وأما ثيفيل : فهو ثيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولي الخلافة ثلاثة أشهر . . . وقد قام بأول

نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية

خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم

كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفي خالد سنة ٨٥ هـ .

بيلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّةُ عليهما ، وكذلك إن تكلمَّ بأكثرٍ مِنْ لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلِّما كان الباب من العلم أَعْسَرَ وأضيقَ ، والعلماءُ به أَقَلَّ ، كان أَشدَّ على المترجمِ ، وأجدرَ أن يخطئَ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفي بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحن ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله - عزَّ وجلَّ - بما يجوز عليه ممَّا لا يجوز عليه ، حتَّى يريد أن يتكلمَّ على تصحيح المعاني في الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلمَّ في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لا يجوز ، وبما يجوز على الناس ممَّا لا يجوز ، وحتَّى يعلمَ مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلاتِ التي تلقى الأخبار العامية المخرَج فيجعلها خاصيةً ؛ وحتَّى يعرف من الخبر ما يخصُّه الخبر الذي هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصُّه العقل ممَّا تخصُّه العادة أو الحال الرادة له عن العموم ؛ وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرف اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المحال من الصحيح ، وأى شئ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأى القولين أفحشُ : المحال أم الكذب ، وفي أى موضع يكون المحالُ أفضَحُ (١) ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثلَّ والبديع ، والوحي

(١) في الأصل « أفضَحُ » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر ، والمقصور والمبسوط والاختصار ؛
وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهيمهم ، والذي ذكرناه
قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجمُ أخطأ في تأويل كلام الدين .
والخطأ في الدين أضرُّ من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والكيمياء ،
وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر
نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه
بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات
الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرة لبعض
المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لا بد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن
تكون مرتبة ، وكالحيط الممدود^(١) . وابن البطريق وابن قرّة^(٢) لا يفهمان
هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلمٍ رقيقٍ ، ومن حاذقٍ طبٍّ ؛
٤٠ فكيف بكتابٍ قد تداولته اللغات واختلاف الأقاليم ، وأجناس
خطوط الملل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ،
ثم كان العربيُّ مقصراً عن مقدار بلاغة اليونانيِّ ، لم يجد المعنى والناقل
التقصير ، ولم يجد اليونانيُّ الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية
بداً من الاغتفار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف
الناسخين ؛ وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالخط المنثور » وقد كتبت بدله ما في ل .

(٢) في الأصل : « وأبو قرّة » .

من يزيده من الخطأ الذي يجده في النسخة ، ثم لا ينقص منه ، ثم يعارض
بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته
إصلاح السَّقَط الذي لا يجده في نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً ، أو كلمة ساقطة ،
فيكون إنشاء عشر ورقات^(١) من حرّ اللفظ وشريف المعاني ؛ أيسر عليه
من إتمام ذلك النقص ، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام ؛
فكيف يُطبق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا
الباب ! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح
صلاً . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخر ، فيسير فيه
الوراقُ الثاني سيرة الوراق الأول ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدي
الجانية ، والأغراض المفسدة^(٢) ، حتى يصير غلطاً صرّفاً ، وكذبا مصمّتا ،
فاظنكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطاط بشرٍّ من
ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقدّم الميلاد ، دهرى الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المفقى ؟
قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما نزلتم ، أليس

(١) في ط : « أنشأ عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) في ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيته وفضلته وسؤره وصيباته ، وهذا مظهر حاله على
شدة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفساد وتداولِ النقص ، حريٌّ
بالتعظيم ، وحقيقٌ بالترفضيلِ على البنيان^(١) ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو
حُوِّلَ تهاقتَ ، ونفعه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ،
وليسَ بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحية وليست بحقيقة بيّنة^(٢) : وكلُّ
شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات^(٣) في هذه
الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب
أفليديس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المحسّطى^(٤) ، ممّا تولاه الحجاج^(٥) ،
وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومقصودة
مظلومة ومغيّرة^(٦) ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلط
الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى

بنا القول^(٧) .

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بيّنة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المحسّطى » بالشين ، وإنما هو « المحسّطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته

كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيراً من حسابيه وأقيسته لمحيط الأرض

والدرجة الأرضية ، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام ، وسموا بمجموع

أرسادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومفسرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب، والطب، والمنطق،
والهندسة، ومعرفة اللحن، والفلاحة، والتجارة، وأبواب الأصباغ،
والعطر، والأطعمة، والآلات. وهم أتوكم بالحكمة، وبالمنفعة التي في
الحمامات وفي الأصطرلابات، والقرسطونات^(١) وآلات معرفة الساعات،
وصنعة الزجاج والفسيفساء^(٢)، والأسرنج^(٣) والزنجفور^(٤) واللازورد^(٥)
والأشربة، والأنبيجات^(٦)، والأيارجات^(٧) ولكم المينا، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . الخ
ووجدته في كتاب التريخ والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسي قال : « وخبرني
عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية، أنه ضرب من الموازين، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القباني). وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تتركب في حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق، ويشب عليه النار
حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :
صينج معروف . . وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمي ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براءة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبيجات : جمع أنبيج، قال الخليل : حمل شجرة بالهند، يرب بالعسل على خلقة الخوخ ،
بحرف الرأس ، في جوفه نواة كنوانة الخوخ. وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤ : فن
هنا تسمى الانبيجات ، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اه
وهي في ط « الأنبيجات » بالثناء وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « الافشارجات » وإنما هي « الأيارجات » قال في القاموس : والأيارجة
بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إياره، وتفسيره اللغوي
الإلهي . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ س ٤ .

والشبهه^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، ورد ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النشا ستج^(٢) ، وتعليق الخيش ، وأتخاذ الجمّازات^(٣) ، وعمل الحرقّات^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدبابات^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحمل)

وكان الحجاج أول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير الحززة ، والمدهونة والمسطحة ، وغير ذوات الجؤجؤ ؛ وكان أول من عمل المحامل ، ولذا قال بعض رُجّاز الأكرباء^(٧) :

أول خلتِي عمِلَ المحامِلا أخزاه ربّي عاجلاً وآجلاً

وقال آخر :

شيبَ أصداعي فهنَّ بيضُ محاملٍ لِقدها نَقِيضُ^(٨)

وقال آخر^(٩) :

(١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .

(٢) في ط : « النستاستج » وهو تحريف ما في ل . قال في القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريباً .

(٤) الحرقّات : سفن فيها مراى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفساق .

(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابه ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقة في البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان (فرض) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِي فَهَنْ بِيَضُّ حَامِلٌ فِيهَا رِجَالٌ قَبْضُ

لو يتكون سنة لم يغرصوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات (١) لم تعرفوا صنعة الشبّه ،
ولولا غَضَارُ الصّين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أنّ الذى
عَمِلْتُمْ (٢) ظاهرٌ فيه التوليد ، منقوصُ المنفعة عن تمام الصّينى . وعلى أن
الشبّه لم تستخرجوه ، وإمّا ذلك من الأمور التى وقعت اتّفاقاً ، لسقوط
الناطف (٣) من يد الأجير فى الصّفّر الذائب ، فحخّتم إفساده ، فلمّا رأيتم
ما أعطاه من اللون عَمِلْتُمْ (٤) فى الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ
ما تهيأ لكم ، ولستم تخرّجون فى ذلك من أحدٍ أمرين : إمّا أن تكونوا
استعلمتم الاشتقاق من علمٍ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهيأ لكم من
طريق الاتّفاق !!

(الجمازات)

وقد علمت أنّ أوّل شأن الجمازات ، أنّ أمّ جعفر أمرت الرّحّالين
أن يزيدوا فى سير النجبية (٥) التى كانت عليها ، وخافت فوت الرّشيد ، ٤٢
فلما حرّكت مشّت ضربواً من المشى ، وصنّوا من السير (٦) ، فجَمَزت فى

(١) فى القاموس : الحملان فى اصطلاح الصّاعة : ما يحمل على الدرهم من الغش .

(٢) فى ط : « علمت » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشى ٣ : ٣٧٦ .

(٤) فى ط : « علمت » .

(٥) فى ل : « البختية » .

(٦) فى ل : « وضروبا من المرفوع » .

تحلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذّة ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ، فما زالوا يقرّبون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهي في كلّ ذلك تصوّبهم وتخطّئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدّوا من معرفة ذلك ما شدّوا ، ثمّ إنّها فرغتهم لإتمام ذلك حتى تمّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمركم ، من أن يكون اتّفاقاً ، أو اتّباعاً أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثمّ رجع بنا القول إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج على مَنْ زَرَى^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة في معرفة مغاوى الناس ومراشديهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُتَحَمَلَ ثِقَلُ مَثُونَتِهِمْ فِي تَقْوِيمِهِمْ ، وَأَنْ يُتَوَخَّى إِرْشَادُهُمْ وَإِنْ جَهِلُوا فَضَلَ مَا يُسَدِّى إِلَيْهِمْ ؛ فَلَنْ يُصَانَ الْعِلْمُ بِمِثْلِ بَذَلِهِ ، وَلَنْ تُسْتَبَقِ النِّعْمَةُ فِيهِ بِمِثْلِ نَشْرِهِ . عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ أْبْلَغُ فِي إِرْشَادِهِمْ مِنْ تَلَاقِيهِمْ ؛ إِذْ كَانَ مَعَ التَّلَاقِ يَشْتَدُّ التَّصُّعُ ، وَيَكْثُرُ التَّظَالُمُ ، وَتُفْرَطُ الْعَصِيَّةُ ، وَتَقْوَى الْحَمِيَّةُ ؛ وَعِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ وَالْمُقَابَلَةِ ، يَشْتَدُّ حُبُّ الْغَلْبَةِ ، وَشَهْوَةُ الْمِبَاهَاةِ وَالرِّيَاسَةِ ، مَعَ الْاسْتِحْيَاءِ مِنَ الرَّجُوعِ ، وَالْأَنْفَةِ مِنَ الْخُضُوعِ ؛ وَعَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ تَحْدُثُ الضَّعْفَانُ ، وَيُظْهِرُ التَّبَايْنَ . وَإِذَا كَانَتْ الْقُلُوبُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَعَلَى هَذِهِ

(١) أثبت ما في ل ، وهي في ط : « ذرى » مصحفة . . وزرى عليه كآزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من ذلك البغية ، وإصابة الحجّة ؛ لأنّ المتوحّد بدرّسها (١) ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عدم من له يباهى ومن أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضل صاحبه ، ويتقدّم مؤلّفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمر : منها أنّ الكتاب يُقرأ بكلّ مكان ، ويظهر ما فيه على كلّ لسان ، ويوجد مع كلّ زمان ، على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع (٢) في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان (٣) مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وخلّدت من عجيب حكمتها ، ودوّنت من أنواع سيرها ، حتّى شاهدنا بها ما غاب عنّا ، وفتحنا بها كلّ مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدرّكنا ما لم نكن ندركه إلاّ بهم ، لقد خس (٤) حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرتنا ، ومنتهى تجاربنا

(١) في ط : « بدرّسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلَّت المعرفة ، وسقطت الهمة ،
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عقيماً ، والباطر فاسداً ؛ ولسكلَّ الحدُّ
وتبلدَّ العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبِ نفعاً ، وأشرفِ منها خطراً ، وأحسنُ موقعا ، كُتِبُ
اللهِ تعالى ، فيها الهدى والرحمة ، والإخبارُ عن كلِّ حكمة ، وتعريفُ كلِّ سيئةٍ
وحسنةٍ . وما زالت كتبُ الله تعالى في الألواحِ والصُّحفِ ، والمهارجِ (١)
والمصاحفِ . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿المَّ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .
وقال ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ . ويقال لأهل التَّوراةِ والإنجيلِ :
أهلُ الكتابِ .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكونَ سبيلنا لمنْ بعدنا ، كسبيلِ مَنْ كانَ قبلنا فينا . على
أنَّا وقد وجدنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا ، كما أنَّ مَنْ بعدنا يجدُ من العبرة
أكثرَ ممَّا وجدنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصرَ للحقِّ
من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القولُ وصلح الدهرُ وخوى نجم التَّقِيَّةِ (٢) ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التقيّة » وفي ط « حوى نجم التقيّد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى .
وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقيّة : الخدر
والخوف .

وَهَبَتْ رِيحُ الْعُلَمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعَيْثُ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ؟ !
وليس يجدُّ الإنسانُ في كلِّ حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومثوِّماً يتقنُّفه .
والصبرُ على إفهام الرِيضِ شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالمِ أشدُّ
منه ، والمتعلِّمُ يجدُّ في كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائماً
وما أكثرَ مَنْ فرَّطَ في التعليمِ أَيَّامَ حُمُولِ ذِكْرِهِ ، وَأَيَّامَ حَدَاثَةِ سَنَتِهِ ! !
ولولا جِيَادُ السُّكْتِ وَحُسْنُهَا ، وَمُبَيِّنَاتُهَا وَمَخْتَصِرَاتُهَا ، لَمَا تَحَرَّكَتْ هُمُ هُؤُلَاءِ
لطلب العلمِ ، ونزعت إلى حبِّ الأدبِ ، وَأُنْفَتَ من حالِ الجهلِ ، وَأَنَّ
تسكون في غَمَارِ الْحَشْوِ ، وَلَدْخَلَ على هُؤُلَاءِ من الخللِ والمضرةِ ، ومن الجهلِ
وسوء الحالِ ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إِلَّا بالكلامِ الكثيرِ ،
ولذلك قال عمرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا » .

(كِتَابُ أَبِي حَنِيفَةَ)

وقد تجدُّ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآنِ ، ويجالسُ الفقهاءَ خمسين
عاماً ، وهو لا يُعَدُّ فقيهاً ، ولا يُجْعَلُ قاضياً ، فما هو إِلَّا أن ينظرَ في كتابِ
أبي حنيفة ، وأشبهه أبي حنيفة ، ويحفظَ كتابَ الشروطِ في مقدارِ سنةٍ
أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنَّ أَنَّهُ من بعضِ العَمَّالِ (١) ، وبالْحَرَا (٢) ٤٤
ألا يمرَّ عليه من الأيامِ إِلَّا اليسيرُ ، حتَّى يصيرَ حاكماً على مصرٍ من الأمصارِ ،
أو بلدٍ من البلدانِ .

(١) في ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمان .

(٢) سمت هذه الكلمة بالياء المشددة في المطبوعة وهو خطأ . وإنما هي « الحرا »

بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليق . ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه لخرى

بكذا وحرى كفى وحر ، والأولى لاتنى ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغٌ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداء الكتابِ فتنةً وعُجباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخطاُ ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمعهُ (١) في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفِهِ من العيبِ ، ويتفهمُ معنى قولِ الشاعرِ (٢) :

إِنَّ الحديثَ تغرُّ القومَ خلوتهُ حتى يَلِجَ بهم عيٌّ وإكثارُ
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ (٣) » فيخاف أن
يعتريه ما اعتري مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ،
وأهل المنزلِ من أهلِ صناعته .

(تداعى المعانى في التأليف)

وليعلم أن صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعتري المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

(١) في الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما في رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسي والبيت كذلك في البيان ١ :

٢٠٣ وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ . وقد رواه الصوى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء في البيان ١ : ٢٠٣ « وفي المثل المضروب كل مجر في الخلاء مسر ، ولم يقولوا

مسرور . وكل صواب » . والوجه في المثل « يسر » كما هو هنا وكما في الميداني ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فأكثر من يعزِم على خمسة أسواط فيضرب مائة؟ ! لأنه ابتداء الضرب وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحركَ دمه ، فأشاع فيه الحرارة فزادَ في غضبه ، فأراه الغضبُ أنَّ الرأى في الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فأكثرَ من يبتدئُ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقلَ إن لم يكن بالمتبّع ، فكثيراً مايعتريه مايعتريه من ولده ، أن يحسنَ في عينه منه المقبّحُ في عين غيره ، فليعلم أنَّ لفظه أقربُ نسباً منه من ابنه ، وحركته أفسدُ به رجماً من ولده ؛ لأنَّ حركته شيءٌ أحدثه من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهره فصلت^(١) ، ومن نفسه كانت ؛ وإتّما الولدُ كماخطه يتمخّطها ، والنخامة يقذفها ، ولا سواك إخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك ، وإظهارك حركةً لم تكن حتى كانت منك . ولذلك تجدُ فتنةَ الرجل بشعره ، وفتنةَ بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شيءٍ أحوَجَ منه إلى إفهام معانيه ، حتى لايجتاج

(١) في ط : « وبتدائه من عين جوهره فصلت » . وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الروية ، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن
ألفاظ السفلة والحشو^(١) ، ويحطه من غريب الأعراب ووحشي الكلام ،
وليس له أن يهذبته جداً ، وينقحه ويصفيه ويروقه ، حتى لا ينطق
إلا بلب اللب ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله ، وأسقط زوائده^(٢) ،
حتى عاد خالصاً لا شوب فيه ؛ فإنه إن فعل ذلك ، لم يفهم عنه إلا بأن
يجدد لهم إفهاماً مراراً وتكراراً ، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من
الكلام ، وصارت أفهامهم لاتزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها
ويؤخذ بها . ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم ،
لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أكثره ،
وفي كتاب أفليديس كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صني ، ولو سمعه بعض
الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنه يحتاج إلى
أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي^(٣) الذي استخرج
من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى في الإيجاز ، وتقدمه)

قال معاوية بن أبي سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصحار العبدى^(٤) :

(١) في ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) قول : « وتعرف زوائده » .

(٣) في ط : « وتعود للفظ المنطقي » وهو تعريف .

(٤) هو صحار بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدى من بني عبد القيس .

خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحة وأخبار حسنة ، وكان نساباً ، توفي

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز؟ قال: أن تجيبَ فلا تبطىء ، وتقولَ فلا تخطىء . قال معاوية :
أو كذلك تقول !! قال صحار : أفلنبي يا أمير المؤمنين ! لا تخطىء ولا تبطىء .
فلو أن سائلاً سألك عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطىء ولا تبطىء ،
وبحضرتك خالد بن صفوان^(١) ، لما عرفَ بالبديهة وعند أول وهلة ،
أن قولك « لا تخطىء » متضمنٌ بالقول ، وقولك « لا تبطىء » متضمنٌ
بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه ، ولو أن قائلًا قال لبعضنا :
ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنى به قلةُ عددِ الحروفِ وألفظِ ، وقد يكونُ البابُ من
الكلامِ مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار^(٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ،
وإنما ينبغي له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردد وهو
يكتفى في الإفهام بشطره^(٣) ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنحو ، فلم لا تجعلُ

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التيمي المنقري ، كان يجالس
عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ،
ولم يتزوج ، توفي نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) في ط : « ولا لترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من ل .

كتبك مفهومة كلها ، وما بالنأ نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك
تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجل لم أضع كتيبي
هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) الذي
تدعوني إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايي المنالة ،
فأنا أضع بعضها هذا الوضع ^(١) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى
التكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلي في موافقته ^(٢) ، وحسن
نظره ، وشدّة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

٤٦

وأقول: لو أن يوسف السمتي ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلمان
أبن ربيعة ^(٣) شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة
والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتب في دهره
شروط سلمان ، لكان ذلك غرارةً ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلح
في كل دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

(١) بدعا في ط : « الموضع » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) في ط : « موافقته » والوجه ما في ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي الصحابي ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية في زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّاطِينِ في مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك
يُحْتَطَلُ ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجَز .

ولولا أني أتسكل على أنك لا تملُّ بابَ القولِ في البعيرِ حتَّى تخرجَ إلى
الفيلِ ، وفي الذرَّة^(١) حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتَّى تخرجَ
إلى الحيَّة ، وفي الرجلِ حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبانِ والنحلِ^(٢) حتَّى
تخرجَ إلى الغرْبانِ والعقْبانِ ، وفي السكِّلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديكِ ، وفي
الذئبِ حتَّى تخرجَ إلى السبعِ ، وفي الظَّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافرِ ، وفي الحافرِ
حتَّى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخُفِّ حتَّى تخرجَ إلى البرُّثنِ ، وفي البرُّثنِ حتَّى
تخرجَ إلى المِخْلَبِ ، وكذلك القولُ في الطيرِ وعامَّةِ الأصنافِ ، لرأيتُ أن
جملةَ الكتابِ^(٣) ، وإنْ كثرَ عددُ ورقهِ ، أنَّ ذلكَ ليسَ مما يُمِلُّ ، ويُعتدُّ
عليَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإنْ كانَ كتاباً واحداً فإنَّه كتبُ كثيرةٌ ، وكلُّ
مُصَحَّفٍ منها فهو أمٌّ على حدة ، فإنْ أرادَ قراءةَ الجميعِ لم يَطُلْ عليه البابُ
الأوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتَّى يهجمَ على الثالثِ ؛ فهو
أبداً مستفيدٌ ومستطرفٌ ، وبعضُه يكونُ جِاماً لبعضِ ، ولا يزالُ نشاطُه
زائداً . ومتى خرجَ من آي القرآنِ صارَ إلى الأثرِ ، ومتى خرجَ من أثرِ
صارَ إلى خبرِ ، ثم يخرجُ من الخبرِ إلى شعرِ ، ومن الشعرِ إلى نوادرِ ، ومن
النوادرِ إلى حكمٍ عقليَّةٍ ، ومقاييسِ سدادِ^(٤) ، ثم لا يتركُ هذا البابَ ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الدرَّة » بالدال وإِنما هي « الذرَّة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من
الجملي صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيتُ أن جملةَ الكتابِ » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقياسُ ينعتُ بالسدادِ لا بالشدة .

أن يكون أثقل ، والملا لُ إليه أسرع ، حتى يفضيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفاً ، إذ كنتُ إنما استعملتُ
سيرة الحكماء ، وآداب العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
الكلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحي والحذف ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيل
أوحى عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في الكلام . فأصوبُ العملُ اتِّباعُ
٤٧ آثار العلماء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء في الكتب)

قال ابن يسير^(١) في صفة الكتب ، في كلمة له :
أقبلتُ أهْرُبُ لا آلو مُباعِدةً في الأرض منهم فلم يُحصِنِي الهْرُبُ
بقصر أوسٍ فما والت خنادِقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخرب^(٢)
فأيمًا موئلي منها اعتصمتُ به فمن ورائي حثيثًا منهم اطلبُ
لما رأيتُ بأني لستُ معجزهم فوتًا ولا هربًا ، قرّبتُ أحتجبُ

(١) تقلدت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتلى البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهي بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيت مسروراً بهم جدلاً
فرداً يحدّثني الموتى وتنطقُ لي
هم مؤنسون وألأف غنيتُ بهم
لله من جلساءٍ لا جليسهم
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها
فأيما أدبٍ منهم مددتُ يدي
إن شئتُ من مُحكم الآثارِ يرفعها
أو شئتُ من عربٍ علماً بأولهم
أو شئتُ من سيرِ الأملاكِ من عجمٍ
حتى كأنّي قد شاهدتُ عصرهم
يا قائلًا قصرتُ في العلم نهيتُهُ (١)
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم

جَارَ البراءة لا شكوى ولا شغبٌ (١)
عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ
فليس لي في أنيسٍ غيرهم أربُّ
ولا عشيرهم للشوء مرتقبُ
ولا يلاقيه منهم منطِقُ ذربُ (٢)
أخرى اللبالي على الأيام وانشعوا (٣)
إليه فهو قريبٌ من يدي كُتِبُ (٤)
إلى النبي ثقاتٌ خيرةٌ نجبُ
في الجاهليّة أنبتني به العرب (٥)
تذبي وتُخبِرُ كيف الرأي والأدبُ
وقد مضتْ دونهم من دهرهم حقبُ
أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسبُ
خلاف قولك قد بانوا وقد ذهبوا (٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن سير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما في الأبيات الأولى . وأما « جَار البراءة » فهي ماصح لي من مقارنة مافي الأصول فهي في ط : « جَار البوأة » وفي س « جَار البوأة » وفي ل « حاز البراءة » .

(٢) منطوق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشعب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف مافي ل . وكتب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهي : العقل . وقد تستعمل النهي جمعاً للنهية .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

مامات منا امرؤ أبقي لنا أدباً نكونُ منه إذا مامات نكتسبُ^(١)
وقال أبو وجزة^(٢) وهو يصف صحيفةً كُتِبَ له فيها بستينَ وسقاً :

راحتُ بستينَ وسقاً في حقيبتها ما حملتُ حملها الأدنى ولا السددا
ما إن رأيتُ قلوهاً قبلها حملتُ ستينَ وسقاً وما جابت به بلدأ^(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تعلمن أن الدواة والقلم تبعي ويُفني حدثُ الدهر الغم^(٤)

يقول : كتابك الذي تكتبه عليّ يبقني فتأخذني به ، وتذهب غممي
فيما يذهب .

(نشر الأخبار في العراق)

ومما يدلُّ على نفع الكتاب ، أنه لولا الكتابُ لم يُجزَّ أن يعلم أهل
الرقَّة والموصلِ وبغدادَ ووَاسطَ ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

(١) في ط : « مامات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أظنَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعراً مجيداً ،
وهو أول من شُيِّب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقاً ، لأن الناقة حملت ستين وسقاً » . وحديث
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فسكتبوا إليه بستين
وسقاً من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط : « تعلمي أن » وصوابه في ل .

في بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

[وذلك مشهور في الحمام الهدى، إذا جعلت برُداً^(١)، قال الله جلّ وعزّ - وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤت أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَقَدَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَا ذُبْحَنُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ فلم يلبث أن قال الهدد ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ أَذْهَبُ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقُهُ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها، من عفرية، ومن بعض من عنده علم من الكتاب، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ وأكرم وأختم من الرسالة عن ظهر لسان، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعض الحجة الكبار، وبعض الأدباء والحكماء، أن يدعو بعض من يجري مجراه في سلطان أو أدب، إلى مأذبة أو ندام^(٢)، أو خروج إلى متنزه، أو بعض ما يشبه ذلك، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا، جمع للنديم . ولكنه ليس مرادها هنا .

إرادته ومعناه ، لأصابَ مَنْ يُحسِنُ الأداء ، ويصدقُ في الإبلاغ ، فيرى
أنَّ الكتابَ في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ .

ولو شاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ألا يكتبَ الكتبَ إلى كسرى ،
وقيصرَ ، والنجاشيِّ ، والمقوقسِ ، وإلى ابني الجندى^(١) ، وإلى العباهلة من
حمير ، وإلى هودّة بن علي ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ،
ولو وجد المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنّه عليه الصلاة والسلام ،
علمَ أنَّ الكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليقُ بتلك المراتب ، وأبلغُ في تعظيم
ما حواه الكتاب .

ولو شاء الله أن يجعلَ البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها
الكتبَ لفعل ، ولكنه تعالى وعزّ ، علمَ أن ذلك أتمُّ ، وأكمل ،
وأجمع ، وأنبل .

وقد يكتب بعضُ من له مرتبةٌ في سلطان أو ديانة ، إلى بعضٍ من
يشاكله ، أو يجري مجراه ، فلا يرضى بالكتابِ حتّى يخزّمه ويختمه ،
وربّما لم يرض بذلك حتّى يُعنونه ويعظمه . قال الله جلّ وعزّ ﴿ أَمْ لَمْ
يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ فذكرَ صحفَ موسى
الموجودة ، وصحفَ إبراهيمَ البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدارَ النفع ،
والمصلحة في الكتب .

(نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العين ، وتورث البنين
الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجندى : اسم ملك عمان . وفي الأصل « بنى الجندى » والصواب ما أنبته عن
الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وابنا الجندى هما جيفر - بوزن جعفر -
وعياذ (أوعباد) .

لاتورثوا الابن من المال، إلا ما يكون عوناً له على طلب المال، واغذوه بحلاوة العلم، واطبعوه على تعظيم الحكمة، ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال، وليرى أنه العدة والعتاد، وأنه أكرم مستفاد
وكانوا يقولون: لاتورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة، ويكون له عوناً على درك الفضول، إن كان لأبد من الفضول؛ فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساده، وإن كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم وبقية له من الكفاية، ما يكسبه الحال، فإن الحال أفضل من المال، ولأن المال لم يزل تابعا للحال، وقد لا يتبع الحال المال. وصاحب الفضول بعرض فساد، وعلى شفا إضاعة، مع تمام الخنكة، واجتماع القوة، فما ظنكم بهامع غرارة^(١) الحداثة، وسوء الاعتبار، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون: خير ميراث ما أكسبك الأركان الأربعة، وأحاط بأصول المنفعة، وعجل لك حلاوة المحبة، وبقى لك الأحذوثة الحسنة، وأعطاك عاجل الخير وآجله، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة، المشتملة على ينابيع العلم، والجامعة لكنوز الأدب، ومعرفة الصناعات، وفوائد الإرفاق، وحجج الدين الذي بصحته، وعند وضوح برهانه، تسكن النفوس، وتثلج الصدور، ويعود القلب معمورا، والعز راسخاً، والأصل فسيحاً^(٢) .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحذه، وتداويه وتصلحه، وتهذبه، وتنقى الخبث عنه، وتقيدك العلم، وتصادق بينك وبين الحجة، وتعودك الأخذ بالثقة، وتجلب الحال، وتكسب المال .

(١) الغرارة: الغفلة وقلة التجربة . وفي الأصل الغرارة وهو تحريف .

(٢) كذا .

(وراثة الكتب)

وراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة، منبهة للمورث، وكنز عند الوارث، إلا أنه كنز لا يجب فيه الزكاة، ولا حق السلطان. وإذا كانت الكنوز جامدة، ينقصها ما أخذ منها، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث المذكوراً في الحكماء ومنوّها باسمه في الأسماء، وإماماً متبوعاً وعلماً منصوباً، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوباً ممنوعاً، ولا تزال تلك المحبة نامية، ما كانت تلك الفوائد قائمة؛ ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر، ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: من (١) ورثته كتاباً، وأودعته علماً، فقد ورثته ما يُعَلِّم ولا يَسْتَعْلَمُ، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة (٢)، ولا إلى سقى، ولا إلى إيسجال بليغار (٣)، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكار (٤)، ولا إلى أن تُثار (٥)، وليس عليها عُشر، ولا للسلطان علياً خراج. وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم، وسواء دَفَعَكَ إليه الكفاية، أو ما يجلب الكفاية. وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب، لم يجب عليه إحضار المسبب. فكتب الآباء، تحييب للأحياء، ومحي لذكر الموتى.

(١) في الأصل: «مق» والوجه ما أثبت.

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث.

(٣) أسجل له الأمر: أطلقه. وأوغر الملك الرجل الأرض: جعلها له من غير خراج.

(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من الخبرة (والخبرة أن يزرع الرجل أرض غيره، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض).

(٥) قد سبق قوله «لا تحتاج إلى إثارة» فهو تكرر، أو في الكلام تحريف.

وقالوا : ومتى كان الأديب^(١) جامعاً بارعا ، وكانت موارثته كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلّم خطأ ، وأجدر أن يسرع التعلّم إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أهدج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نجله ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب^(٢) ، للنظر في الكتب ، فلا يأتي عليه من الأيام مقدار الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنما تُفسد الكفاية من [له]^(٣) تمت آلاته^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدّ الثغرى ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثته الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ ورثت كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق ، ويصّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويوجد بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذى ليس للسلطان فيه حقّ ، والركاز^(٥) الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصّومع فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجة ، ولا على الجار فيه مؤونة .

(قول ديمقراط فى تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بدّ من أن يكون لكلِّ كتابٍ علمٌ وضعه أحدٌ من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها المهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنّف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) فى الأصل : « الأدب » .

(٢) فى الأصل : « الكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة فى الأصل بخط مخالف .

(٤) فى الأصل « آدابه » وإنما هى « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .
فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حالة التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن^(١) تمنعها وتشرتها ، وتوخشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمسكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتمال لعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس يسبح تام ، ولا بهيمة تامة ، حتى كأنه من الخلق المركب والطبائع الملققة ، والأخلاق المختلطة ، كالبعول المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه .

وشر الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة^(٢) ،
والعناصر المتباعدة ، كالراعبي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشحْو^(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقوع البنادق وجرح المخالب . وفي الرابعي أنه مُسروك
مثقل ، وحدث له عِظْمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيماً ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيدَ
في قوتهما ، وأتمَّ لشدتيها ؛ ففح البغل من الشَّبَقِ والنَّعْظِ ما ليس مع أبيه ،
ومع البغلة من السَّوَسِ^(٢) ، وطلب السَّفادِ ، ما ليس مع أمها . وذلك كُلُّهُ قَدَح
في القوَّة ، ونقص في البنية^(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه
وأخواله ، فترك شبيهما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبيه ، وأصبرَ على الأثقال من أبيه .

أو كابن المذكورة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث
نتاجاً من البغل ، وأفسد أعراقاً من السَّمْعِ ، وأكثر عيوباً من العسبار ،
ومن كلِّ خلقٍ خلقٍ إذا تركب من ضِدِّ ، ومن كلِّ شجرة مُطَعَمَةٍ بخلاف .
وليس يعترى مثلُ ذلك الخِلاسيِّ من الدجاج ، ولا البورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحر : الاتساع . وفي الأصل « وشجي » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلت ، كما في كتاب البغال للمحافظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في للبنية » .

(٤) الدميري : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابية لون .

وكلُّ ضعف دخل على الحلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب .
وزعم الأصمعي ، أنه لم يسبق الحلبة فرسٌ أهضم قط .
وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء^(١) .
والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية^(٢) ، إنما هي للمصممة من الخضر^(٣) .

(الشيئات في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أَنَّ الشَّيْءَ كُلَّهَا ضَعْفٌ وَنَقْصٌ - وَالشَّيْءُ : كُلُّ لَوْنٍ دَخَلَ عَلَى لَوْنٍ - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم^(٤) أَنَّ ابْنَ الْمَذْكُورَةِ مِنَ الْمُوْنِثِ ، يَأْخُذُ أَسْوَأَ خِصَالِ أَبِيهِ ، وَأَرْدَأَ خِصَالِ أُمِّهِ ، فَتَجْتَمِعُ فِيهِ عِظَامُ الدَّوَاهِي ، وَأَعْيَانُ الْمَسَاوِي ، وَأَنَّهُ إِذَا خَرَجَ كَذَلِكَ ، لَمْ يَنْجِعْ فِيهِ أَدَبٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِي عِلَاجِهِ طَيْبٌ ، وَأَنَّهُ رَأَى فِي دَوْرٍ تَقْيِيفٌ ، فَتَى اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ ، فَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ يَوْمٌ ، إِلَّا وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، يَصْغُرُ فِي جَنْبِهِ أَكْبَرُ ذَنْبٍ كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : الملى الذى يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصممة : التى لا يتخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، له خبران فى الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧) .

وزَعَمْتَ أَنَّ الكلبَ في ذلك كالخثي ، الذي هو لا ذكر ولا أنثى ،
أو كالخصي الذي لَمَّا قُطِعَ منه ما صار به الذَّكَرُ فحلاً ، خرجَ من حدِّ كمالِ
الذَّكَرِ بفقدانِ الذَّكَرِ ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ،
وبقيّة الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أَنَّهُ بصير كالنيبيذ الذي يفسده إفراطُ الحرِّ ، فيخرجه من حدِّ
الخل ، ولا يدخله في حدِّ النيبيذ .

وقال مرداس بن خذام (١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوْبَةِ (٢) شَرِبَةٌ فالت بُلْبُ السكاهلي عِقَالِ
فَقُلْتُ اصطَبِحْهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا هي الخمرُ خَيْلْنَا لها بِنِيَالِ
رَمَيْتُ بِأَمِّ الخلِّ حَبَّةَ قلبه فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ
فجعل الخمرُ أمَّ الخلِّ قد يتولد عنها . وقد يتولد عن الخلِّ - إذ كان خمرًا
مرة - الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب (٣) :

هَلَّا وَأنتَ بماءٍ وجهك تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قليلَ شعْرِ العارضِ !
فَالآنَ حينَ بدتْ بِجَدِّكَ لِحْيَةٌ ذهبتْ بملحك مثل كَفِّ القابضِ
مثل السلافة عادَ خمرُ عصيرها بعد اللذّاذة خَلَّ خمرِ حامضِ
ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفائرة ، التي لم

(١) في الأغاني (١٠ : ٨٧) جذام . وفي ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظر قصة الشعر
في المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزبان ٣٧٠ .
(٢) الثوبية : موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت في معجم البلدان .
(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره
في الغزل والتشبيب بالذكر ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدما عندهم ، قالوا :
وكان ذا فجور ومجون ، ثم تاب وأقلع ، وكانت وفاته في أيام المأمون . انظر الأغاني
٢١ : ٦٩ - ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السن ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السن (١) .

باب

ذكر ما يمتري الإنسان بعد الخصاء

وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ریح مُتَنِّةٍ ، وكلُّ ذى دَفْرِ وِصْنَانٍ كَرِيهٍ المَشْمَةِ (٢) ،
كالنَّسْرِ وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِيَ نَقَصَ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ
الإنسان ، فَإِنَّ الخُصِيَّ يَكُونُ أَتْنًا ، وَصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيضًا خَبْثُ العَرَقِ
سَائِرَ جَسَدِهِ ، حَتَّى لَتَوْجَدَ لأجسادِهِمْ رَائِحَةً لَا تَكُونُ لغيرِهِمْ . فهذا هذا .
وكلُّ شَيْءٍ مِنَ الحيوانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَدِقُّ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ
اسْتَرَخِيَ لَحْمَهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخِصًا رَطْبًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَضِلًا (٣)
صَلْبًا ، وَالإنسانَ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرِضَ ، فَخَالَفَ أَيضًا جَمِيعَ
الحيوانِ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج في أصابع اليد ،
والتواء في أصابع الرِّجْلِ ، وذلك مِنْ أَوَّلِ طَعْنِهِمْ فِي السِّنِّ . وتعرض لهم
سرعة التغير والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة (٤) والبضاضة وملاسة
الجلد ، وصفاء اللون ورقته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التسكرش والسكرود ،

(١) هذه نهاية السقط الذى ابتداء من ص ٩٧ .

(٢) في ط : « وقيل ذى دفر وحنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) في ل : « عضلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التَّقْبِضِ والتَّخَدُّدِ^(١) ، وإلى الهُزَالِ ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل ، لأنك ترى الخصى وكأنَّ السيوفَ تلمع في لونه^(٣) ، وكأنه مرآة
صينية ، وكأنه وذيلة مجلوة ، وكأنه بحجارة رطبة ، وكأنه قضيب فضة قد
مسّه ذهب ، وكأن في وجناته الورد ، ثم لا يلبث كذلك إلا نسيئات^(٤)
يسيرة ، حتى يذهب ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصب ، وفي عيش
رغد ، وفي فراغ بال ، وقلة نصب .

(من طرائف عبد الأعلى القاص)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاص ، قوله في الخصى ،
وكان لغلبة السلامة عليه يتوهم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقير مرة
في قصصه فقال : الفقير مرقتة سلفه ، ورداؤه علقته ، وجردقته فلقته ،
وسمكته شلقه^(٥) ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثم ذكر الخصى فقال : إذا قُطِعَتْ خُصْيَتُهُ ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ
وَسَخُنَتْ مَعِدَتُهُ ، وَلَانَتْ جِلْدَتُهُ ، وَأَجْرَدَتْ شَعْرَتُهُ ، وَأَتَّسَعَتْ فَتْحَتُهُ ، ٤٩
وَكَثُرَتْ دَمَعَتُهُ !!

(١) في الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) في ط : « ويعرض أيضاً لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) في مفاخرة الجوارى والعلمان : « تلمع في وجهه » .

(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة - بكسر الظاء - وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفه) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسمياها العامة اليوم « تصيرة » . . وأما

(العلقة) فهو قميص بلاكين ، أو ثوب يجاب ولا يخاط جانبا ، تلبسه الجارية وهو إلى

الحجزة . . وأما (الفلقة) فيمعى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده .

وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب

من صفار السمك .

وقالوا ، الخصى لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذى كان به فحلاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك السكالم ، صيرته كالبغل الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومةً على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولو كنه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوز عمر البغل عمر أبويه ، وكذلك ما عدنا في صدر هذا الكلام (١) .

(طلب النسل)

وقالوا (٢) : وللإنسان قوى معروفة المقدار ، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس ، مقسومة عليها ، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ، ما كانت النفوس قائمة بطباعها ومزاجاتها وحاجاتها . وباب المنكح من أكبرها ، وأقواها ، وأعمها :

ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد ، وهو باب من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العرب الرجال ، وأغضت (٣) على نسب المولود

(١) في ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) في ط : « قال » والوجه ما في ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفي ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبه من ل .

على فراش [أبيه] (١) ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول. قال الأشهب
ابن رُميلة (٢) :

قال الأقاربُ لا تغرركَ كثرتنا وأغن نفسك عنا أيها الرجلُ
علَّ بنِي يَشُدُّ اللهُ كَثَرَتَهُمُ والنَّبِيعُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا فَيَكْتَمِلُ (٣)
وقال الآخر (٤) :

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَيْفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّونَ
يشكوكو كما ترى صِغَرَ البَنِينِ ، وضعف الأسر (٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاساً بماله على بنى عمه ، وإشفاقه من
أن تليه القضاة وترتع فيه الأماناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضى
الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكر ، وللرغبة في العقب ،
أو على جهة طلب الثواب (٦) في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بنى آدم عليه ، من حبِّ الذرية وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل: « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير في كلمة (علمه) الآتية مرجع .

وعلى الأصل أيضاً لا نجد للضمير (فراشه) مرجعاً مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما في البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) في البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفي ط « النبع » بالغين ، والصواب ما أثبت
من ل والبيان . والنبع : شجر تحمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صبيح ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل
إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أمن ، ويقال لولده صيفيون . . .
والرهبون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هى في ط « عسى »
وتصحيحه من ل : والنوادر .

(٥) في ط : « السن » .

(٦) في ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همّه ونصبه ، وفي جبينه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَدُ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل في الولد المؤمن المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شيء قصد له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، وزرع النفس إلى ذلك .
وذكر أبو الأخرز الحِمَانِي غير العانة (١) بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبْتَغِي الذرء ولا بالعازل (٢)

لأنَّ الإنسان من بين الحيوان المزاوج ، إذا كره الولد عزل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلبُ الذرء (٣) والولد . لذلك سُحِّرت ، وله هُبَيْتٌ ، لما أراد الله تعالى من إتمامِ حوائجِ الإنسان . والحمار لا يطلبُ الولد ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الإنسان ، غير أنَّ غايته قضاء الشهوة فقط ، ليس يَحْطُر (٤) على باله أنَّ ذلك الماء يُخلَق منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم

شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التتمص (٥) والتطيب والتطوُّس (٦) [والتعرُّس (٧)] والتخضب ،

(١) في ط : « وذكر أبو الأخرز الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مبتغي الذر ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذر » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التمص : نتف الشعر . والتمصص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوُّس : التزين . . وبدل « التطوُّس » في ط : « التطرُّس » وليس بشيء .

(٧) التعرُّس : التحبب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبغ ، وَالْحَلِي ، وَالْكِسَاء ، وَالْمُرْش ،
وَالْآنِيَة ، لكان في ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلا الاهتمامُ بحفظها وحراستها ،
وخوفُ العارِ من جنائتها والجناية عليها ، لكان في ذلك المؤنة العظيمة ،
والمشقة الشديدة .

(قول في الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضو الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف
الكثيرة ، من اللذة والألم ، فباضطرارٍ أن تعلمَ أن تلك القوى لم تبطل
من التركيب ، ولم تعدمها الخلقه ، وإنما سُدَّ دونها بسدًّا ، وأدخل عليها
حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ
لا يُعدمُ إلاَّ بعدمِ ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضتْ^(١) من وجه ،
ولا سيما إذا جمَّت ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخرت وغزرت ، وطغت^(٢)
وطمَّت ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنسكح بابٌ له
موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمت تلك القوى التى كانت للمنسكح وما يشتمل
عليه باب المنسكح ، إلى القوَّة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوتان في
بابٍ واحد كان أبلغ في حكمه ، وأبعد غايةً في سبيله ، ولذلك صار الخصىُّ
آكلٌ من أخيه لأُمَّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه ، وعلى
قدر حاجة طبعه [وحرارة نفسه و]^(٣) الحرارة المتولدة عن الحركة يكون ٥١

(١) كذا على الصواب في ط . . وفي ل : « غاضت » .

(٢) في ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) في ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت
الكلام من ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمن (١) أبواب الاستمراء ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ، وكذلك الحجر دون الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة (٢) دون الكبش ، وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشك أن الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربى عليه مقطوعاً غير منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصل طعامها أكثر . وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه ، لأن طبع الصبي سريع الهضم ، سريع الكلب ، قصير مدة الأكل ، قليل مقدار الطعام ، فللمرأة كثرة معاودتها ، ثم تبيّن بكثرة مقدار المأكول . فيصير للخصي نصيبان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ، أعنى شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أي شيء آكل ؟ قال : برذونة رغوثة (٣) .

ولشدة نهم الإناث ، صارت اللبوة أشدّ عراًماً وأزرق ، إذا طلبت الإنسان لتأكله ، وكذلك (٤) صارت إناث الأجناس الصائدة [أصيد] ،

(١) في الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوثة : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناث من الكلاب [والبزاة] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون
عند ارتضاع جرائها [من أطباها] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم
في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغيرُ الصوت ، حتى لا ينجح على من
سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصى ، وإن كان الذي يخاطبه ويناقله
الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى
يعرض لخصيان الصقالية أكثر مما يعرض للخراسانية ، وللسودان من
السند والحبشان . وما أقل من تجده ناقصا عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة
أو عرق ، فليس يحتاج في صحته تمييز ذلك ، ولا في دقة^(١) الحس فيه ، إلى
حدق ببقافة ، بل تجد ذلك شائعا في طباع السفلة والعتراء^(٢) ، وفي أجناس
الصبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصى قبل الإنبات لم يُنبت ، وإذا خصى بعد استحكام نبات
الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه
ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفثرة محرمة ، والعتراء ،
وللفتر بالضم ، والعتيرة : سفلة الناس » .

للرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حَكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حَكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة لا تصلحُ ، فناسبها [الحصىُّ] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَعِ والجَلْحِ ، [والجَلْه] والصلعُ (١) وكذلك النساء في جميع ذلك .

٥٢

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصِ مقاديرِ شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بزَعٍ ولا جَلْحٍ ، إذالم يكن ذلك حادثاً يُحدِثه الطعنُ في السنِّ . وتكون مقاطعُ شعرِ رأسه ومنتهى حدودِ قُصَّاصه ، كقطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع الملاسة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلُّ ، واسكنه ينبت في مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتسكون لها شعراتٌ رقيقةٌ زَغَبِيَّةٌ كالعذار موصولا بأصداعها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخشاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صُدْغِيهِ شَيْءٌ من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النزاع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . والجَلْح : انحساره عن جانبي الرأس . والجَلْه والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيتُه في عجائزِ الدّهّاقين ، وكذلك العَبَب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بِمُحْتَمَى ، بل [نَجِدُهَا] أنثى تامّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المسكان . [ولا تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهلُ بَغْدَاد ، أَنَّهُ كَانَ لِابْنَةِ مِنْ بَنَاتِ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدِ الْخُنَّاقِ ، لَحْيَةٌ وَافِرَةٌ ، وَأَنَّهَا دَخَلَتْ مَعَ نِسَاءٍ مُتَنَقِّبَاتٍ إِلَى بَعْضِ الْأَعْرَاسِ لَتَرَى الْعُرْسَ وَجَلْوَةَ الْعُرُوسِ ، فَفَطِنَتْ لَهَا امْرَأَةٌ فَصَاحَتْ : رَجُلٌ وَاللَّهِ ! وَأَحَالَ (١) الْخُدْمَ وَالنِّسَاءَ عَلَيْهَا بِالضَّرْبِ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهَا حِيلَةٌ إِلَّا السَّكْشَفَ عَنْ فَرْجِهَا ، فَتَزَعْنَ عَنْهَا (٢) وَقَدْ كَادَتْ تَمُوتُ .

ويفضل أيضاً للخصى المرأة في الانجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبائن الذراعين والساقين ، وتجد ركب (٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبُلَ غُصْرُوفُ عُرْفِهِ وَلَحْيَتِهِ .

والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص (٤) مُبْرَمَ الْقَوَى ، وَيُرْخِي مَعَاقِدَ الْعَصَبِ ، وَيَقْرُبُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْبِلَى .

(١) في ل : « فاقبل » .

(٢) في ل : « فكفن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [الذي هو أعل^(١) منه] لو جدت لوقعه ووطنه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكأنَّ العضو الذي كان يشدُّ ٥٣
توتير النساء^(٢) ، ومعاهد الوركين^(٣) ومعاليق العصب ، كما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه ، فيخفف لذلك وقع رجله ، صار كالذي لا يتأسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صقلبيين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأم أخيه ، أنه متى خصي أحدهما خرج الخصى منهما أجود خدمةً ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لها أتقن وبها أليق ، وتجدد أيضاً أذكي عقلاً عند المخاطبة ، فيخص بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلية ، وعلى سوء فهم العجمية .
ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقة ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعل منه : أضخم منه .

(٢) في ط : « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل : « وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) في ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) في ط : « غشاوة » وفي ل : « غثارة » بالعين ولعل صوابها ما أثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) في ط : « بلاهته » وأبدلتها بما في ل ؛ ليم تساوq الكلام .

المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، منقلبةً له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علةٌ له في الأماكن العميقة ، ومصرفةٌ له في المواضع المختلفة .

فأولُ ماصنع الخصاء بالصِّقْلِيّ تزيكياً عقله ، وإرهافُ حدّه ، وشحذُ طبيعته ، وتحريكُ نفسه . فلما عرّف كانت حركته تابعةً لمعرفته ، وقوّته على قدر ما هيّجه (١) .

فأمّا نساء الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلتهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخُرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخندق . وهذا جملة القول في نساءهم ، وعلى أيّهنّ لا حظوظَ لهنّ عند الخلوة ، ولا نفاذَهنّ في صناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفذَ في صناعةٍ تُنسب إلى بعض المشقّة ، وتضاف إلى شيءٍ من الحكمة ، ممّا يُعرّف بيبعد الرويّة ، والغوص بإدامة الفسكرة ، إلا ما ذكرُوا من نفاذ نقف (٢) في التحريك للأوتار ، فإنّه كان في ذلك مقدماً ، وبه مذكورا .

(١) في ط : « ماجه » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « نقف » .

إِلَّا أَنَّ الْخَصِيَّ مِنْ صِبَاهٍ ، يُحْسِنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ (١) ، وَيُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطَّوْرِيِّ (٢) ، وَمَا شَتَّتَ مِنْ صَغَارِ الصَّنَاعَاتِ .

وَقَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيثًا (٣) الْخَصِيَّ ، خَادِمَ مُثَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ ، كَانَ يُجَارِي (٤) مُثَنَّى فِي الْبَصْرِ بِالْحَمَامِ ، وَفِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ ، وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ ، وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَمَسْنَدُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا قَوْلُهُمْ فَيَمْنُ خُصِيٍّ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَمَلُوكُنَا لِعُقُولِ خِصْيَانِ خُرَاسَانَ أَحْمَدَ ، وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ، وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ .

٥٤

(خِصْيَانُ السَّنَدِ)

وَأَمَّا السَّنَدُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخِصْيَانِ إِلَّا النَّفْرُ الَّذِينَ كَانَ خِصْيَانَهُمْ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ ، وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيٌّ أَرْبَعَةٌ هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَرَأَيْتُ الْخِصْيَانَ ، قَدْ جَذَبَهُ إِلَيَّ حَبُّ الْحَمَامِ ، وَعَمِلَ التَّكْكَ (٥) ، وَالْمَهْرَاشَ بِاللَّدْيُوكِ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجْرِمْنِي عَلَيْهِ عَلَى عِرْقٍ ، وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ ذَلِكَ الْعَضْوِ .

-
- (١) الدَّبُوقُ ، هُنَا : جَمْعُ دَبِقٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الدَّابُوقُ وَالدَّابُوقَاءُ : غِرَاءٌ يَصَادُ بِهِ الطَّيْرُ . وَالدَّبُوقُ كَتَنُورٍ قَالَ فِي الْقَامُوسِ : لَعِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ . . . وَلَيْسَتْ مُرَادَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ .
- (٢) فِي ط : « النَّوَارِي » وَفِي ل : « الصَّوَارِ » وَصَوَاهِمَا « الطَّوْرِيُّ » وَهُوَ الْوَحْشِيُّ .
- (٣) فِي ط : « خَدِيجًا » بِالْحَاءِ . وَقَدْ كَتَبْتُ مَا فِي ل وَ س .
- (٤) فِي ط : « يَجْرِي » .
- (٥) التَّكْكَ : رِبَاطُ السَّرَاوِيلِ وَالْجَمْعُ تَكْكَ ، وَيَدُلُّونَ أَنَّهَا مَعْرَبَةٌ ، كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ الْخَفَاجِيُّ فِي شِفَاهِ الْغَلِيلِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ صَاحِبُ الْقَامُوسِ لِذَلِكَ .

(خصيان الحبشة والنوبة وأصناف السودان)

فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان ، فإن الخصاء يأخذ منهم ولا يعطيهم ، وينقصهم ولا يزيدهم ، ويحطهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبة عن مقادير إخوانهم ، لأن الحبشى متى خصى سقطت نفسه ، وثقلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بد أن يعرض له فساد ، لأنه متى استقصى جيبه لم يتأسك بوله^(١) ، وسلس مخرجه ، واسترخى المسك له ، فإن هم لم يستقصوا جيبه ، فلنما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو^(٢) . وعلى أنك لا تجد منهم خصياً أبداً ، إلا ويسرته بجرّة ، ونفخة^(٣) شنيعة ، وذلك عيب شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قبجه في العين ، وشنّته في الذكّر . وكل ما قبّح في العين فهو مؤلم ، وكل ماشع في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثر ما تجد فيهم الألطع^(٤) ، وذلك فاش في باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدلاً ، وكانت المشافر منقلبة ، كانت أظهر للطّع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذي يعرض لغراميل الخليل وخصاها^(٥) ، ضرب أيضاً من البرص ، وربما عرض مثل ذلك لحشفة قضيب المختون ، إمّا لطبع الحديد ، وإمّا لقرب^(٦) عهده بالإحداد وسقى الماء ، إلا أن ذلك لا يعدو مكانه .

- (١) في ط : « ولم يتأسك بوله » والوجه حذف الواو كما في ل .
(٢) في الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جيبه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .
(٣) في ط : « وبجّة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما في ل . والبحرّة : العقدة في البطن والوجه والعتق .
(٤) الطلع : بياض في باطن الشفة . وأكثر ما يعترى ذلك السودان .
(٥) في ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .
(٦) في ط و س : « لتدم » وهو خطأ صوابه في ل . ويؤيده ما كتبه الجاحظ في الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : رداءته .

وكأما عَظُمَت الحَشْفَةُ انبَسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ،
وإنما ذلك كالبياض الذي يعرض من حرق النار وتشيطها^(١) ، وكالذي
يعرض للصقالبية من التعاليج بالكي . وربما اشتد بياضه حتى يفحش
ويُرديه^(٢) ، إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر ، إلا بقدر ما ينسط مكانه ، ويتحول
صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبيياً^(٣) . وليس كالذي يعرض من البلغم ومن
المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضه لا يذهب
ولا يقف ، بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربما سلخه ، ولا يذهب إلا بأن
يذهب به نبي^(٤) ، فيكون ذلك علامة له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق
بالبرص^(٥) ، ولكن الذي هو أمره الذي ترون من كثرة بُرء الناس منه .
ثمَّ الحَصَاءُ يكونُ على ضروبٍ ، ويكون في ضروب ، فمن ذلك
ما يعرض بعد الكِبَر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض
للعجم ، كما خصى بعضُ عباهلة اليمن^(٦) علقمة بن سهل الخصى .

٥٥

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) في ط : « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « يردته » أي يجعله رديئاً ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلاً » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض في إحدى رجلي الدابة . أما « صبياً » فلعلها « مصمتاً » . والمصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٤) في ط : « شيء » وقد أبدلته بما في ل . . وكان عيسى عليه السلام يرى الأكمة والأبرص بإذن الله .

(٥) في ط : « ما يكون ملحقاً بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقباهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَّبَ الجَدِيلَ^(١) وداعراً ، الفحلين
السكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة
ابنِ مَظعونٍ في شربِ الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الحَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأَقْبَلُ .

وهو عَلْقَمَةُ بن سَهْلٍ بن عماره ، فلَمَّا سَمَّوه الحَصِيَّ ، قالوا لعَلْقَمَةَ بن
عَبْدَةَ : الفحل . وعَلْقَمَةُ الحَصِيِّ الذى يقول :

فلن يَعدَمَ الباقون قَبراً لِحَنَّتِي^(٢) ولن يَعدَمَ الميراثَ مِنِّي المواليا
حِراصُ على ما كنت أجمَعُ قَبْلَهُم هَنِيئاً لَهُم جَمْعِي وما كنتُ واليا
وَدَلَّيتُ في زوراءُ نَمَّتْ أَعْنَقُوا لَشأنِهِم قَدَ أَفَرَدُونِي وشَانِيا
فأصبحَ مالى من طريفٍ وتالِدٍ لغيري ، وكانَ المألُ بالأمس ماليا

وكما عَرَضَ للدَّلَالِ ونومَةَ الضُّحَى ، من خصاءِ عُثمانَ بنِ حَيَّانَ [المرئى]
والى المدينة لهما ، بكتابِ هشام بن عبد الملك^(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فَإِنَّ بنى مروانَ من يدعى أَنَّ عاملَ المدينةِ صَحَّفَ ، لأنه رأى فى
الكتابِ : « أَحْصِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الحَنَثِينَ » فقرأها : « أَحْصِ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ

(١) فى ط : « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما فى ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كبيرا فى هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمالي القاتلى ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهشياري ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

المُحْتَشِينَ . وذكر المهيثمُ عن الكاتب الذي تولى قراءة ذلك الكتاب ،
أنَّهُ قال : وكيف يقولون ذلك !؟ ولقد كانت الخلاء معجمةً بنقطةٍ ، كأنها
سُهَيْل [أو تمرّةٌ صيحانيّةٌ ^(١)] فقال اليعقوبي ^(٢) : ما وجهُ كتابِ هشامٍ
في إحصاءِ عددِ المُحْتَشِينَ ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتابُ إلا بالخلاءِ
المعجمةِ دون الخلاءِ المهملةِ . وذكُرَ عن مشايخٍ من أهل المدينة أنهم حكوا
عنها أنهما قالوا : الآن صرنا نساءً بالحقّ !! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارا
أن يكونا امرأتين ! قال : وذكُرَ أنهما خرجا بالخصلتين من الخلاءِ
والتخنيث ، من فتورِ الكلامِ ولينِ المفاصلِ والعظامِ ، ومن التفكُّكِ
والتثني ، إلى مقدارٍ لم يروا أحداً بلغه ، لامن مخنثاتِ النساءِ ، ولا من
مؤنّتي الرجالِ .

(أبو همام السنوط)

وكما عرّض لأبي همام السنوط ^(٣) من امتلاخ اللّخمِ مذا كبيره
وخصييه ^(٤) ، أصابه ذلك في البحر في بعض المغازي ^(٥) ، فسقطت لحيتُهُ ،
ولقّب بالسنوط ، وخرّج لذلك نهماً وشرهاً .

(١) الصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المصغفة . وسمى صيحانياً لأن صيحان اسم
كباش كان ربطاً إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمراً فنسب إلى صيحان .

(٢) في ط ، ل ، س « البقري » بالباء وإنما هو بالياء كما في مواضع متعددة
من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ في البخلء ١٧٦ وجاء محرفاً بالسنوط ، والسنوط بالفتح والتخفيف :
من لالحية له أصلاً ، أو الحفيف العارضين .

(٤) في ط « من امتلاخ لحم مذا كبيره وخصييه » وهو تحريف صوابه في ل وجاء
في القاموس : اللخم بالضم : سمك بحري . وقد ضبط في معجم العلووف ص ٢٢٥
بالفتح سهواً ، قال : وهو يعرف بالقرش في سواحل البحر الأحمر .

(٥) في ل « أصابه ذلك في البحر سمكة في بعض المغازي » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُهُ لا يحملُ إلاَّ الرُّطْبَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلاَّ التمرَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلاَّ الحِجْرَ^(١) ، وبعضُهُ لا يحملُ إلاَّ البُسْرَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلاَّ الخلالَ ، وكنا متى تناولنا من الشِّمْرَاحِ بُسْرَةً ، خلقَ ٥٦ اللهُ مكانها بُسْرَتَيْنِ ، لما كان بذلك بأس ! ثم قال : أَسْتَغْفِرُ الله ! لو كنتُ تَمَنَّيتُ أن يكونَ بدلَ نواةِ التمرِ زُبْدَةٌ كانَ أصوَبُ !!
ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التي تعرض للمذاكير والخصيتين ، حتى ربما امتلخهما طيبٌ ، وربما قطعَ إحداها ، وربما سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أن الولدَ إنما يكونُ من البيضة اليسرى^(٢) ، وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أن ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزليِّ ، إنما وُلِدَ له بعد أن نَزَعْتَ بيضتَهُ اليسرى ، لأمرٍ كانَ عرضَ له .

والخصيَّ الطَّيَّانَ ، الذي كان في مسجدِ ابنِ رَعْبَانَ^(٣) ، وُلِدَ له غلامٌ ، وكان ليس له إلاَّ البيضةُ اليمنى ، فجاء أشبهَ به من الذُّبابِ بالذُّبابِ ، والغرابِ بالغرابِ ، ولو أبصرَه أَجْهَلُ خلقِ الله تعالى بفِراسَةٍ ، وأبعدهم من قِيَافَةٍ ، ومن مَخالِطَةِ النخاسين ، أو من مجالسةِ الأعرابِ ، لَعَلِمَ أَنَّهُ سُلالةُ

(١) في ط ، س « الحِجْرَ » و ل « النصف » وصواب الأول « الحِجْرَ » وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٢١٥ .

(٣) في ط « ابن رَعْبَانَ » بالزاي وأبدلته بما في ل وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٦ « ابن رَعْبَانَ الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب بن مسلمة . . . وكان حبيب عظيم القدر ، يلي الولايات زمن عثمان ومعاوية . »

وخلصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المُدلجى^(١) ، ولا إلى ابن كرز^(٢) الخزاعي .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصِي ابنه ويقفه على بيت العبادة ، ويجمعه سادناً ، كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يُحدثون في القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إجمال نساءهم ورواهبهم^(٣) فقط !! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصي جميع ما عندها ويستجلبه ، لفِرط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ في الدنيا فإنما أصله من قبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكيد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مُثلاً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جرّم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان ، من طلب الطوائل وتذكر الأحقاد ، ما لم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قبيلهم ،

(١) في ط : « محرز » وإنما هو « مجرز » كما في ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابي له ذكر في الصحيحين . . وكان الرجل قائفا .

(٢) في ل : « كرز » .

(٣) في ط : « ودواهيم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلاهم ينزعون ، ولا الخِصيان ينسكلون ، لأنَّ الرِّمَّيةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصىُّ أسواراً بلغ منهم (١) ، وإن كان جمع مع الرماية الثروة ، واتخذ بطرسوس ، وأذنة ، الضياع واصطنع الرجال ، واتخذ العقد المغلَّة (٢) فضرة كل واحد منهم عليهم ، تفي بمضرة قائد ضخم . ولم ترَ عداوة قط تجوز مقدار عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرط الرغبة في النساء ، وعلى شهوة شديدة للمباضعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلة كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحذوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابد منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الروميُّ ، فيما أظهر من حُسن النية ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام (٣) ، وبإدخاله النقص على النسل ، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمر عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطرف الأخبار ، ونوادر الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قطُّ بأغزل منه ، وإن كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتخذ العقد والعبيد المغلَّة » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدّثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجرى ذكرُ النساءِ ومحلّهن من قلوب الرجال ، حتّى زعموا أنّ الرجلَ كلما كانَ علمُ من أحرصَ كان ذلك أدلّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه ، إذ كان قد جعلَ رجلاً ولم يُجعل امرأة - قال ابن عباد ، فقال لنا : ألسمّ تعلمون أنّي قد أربيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهنُ الكِبَرِ ، ونفادُ الذُّكْرِ (١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبوعِ النطفة ، قد أمتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيره في الغزل؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهنّ مُدداً ، وتخلّي عنهن سنينَ ودَهرًا (٢) ، أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة ، وتوطينُ النفسِ ، قد حطّ من ثقلِ منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتم أنّ العادة [التي] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعضِ عمدٍ هَجَرَ لِلْمَاسَةِ النساءِ (٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من لم يذُقْ طعمَ الخلوة بهنّ ولم يجالسهنّ متبدلات ، ولم يسمعَ حديثهنّ وخلاّبتهنّ للقلوب ، واستمالتهنّ للأهواء ، ولم يرهنّ منكشفاتِ عارياتٍ ، إذا تقدم له ذلك مع طولِ التَّركِ ، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لمنْ قد علم أنه محبوبٌ ، وأن سببه إلى خلّاطهنّ محسومٌ ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

(١) الذكر هنا في معنى التذكّار .

(٢) ق ل : « زهداً » بدل « ملداً » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) ق ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاهُ الزُّهْدُ في الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جملهنَّ وفتنةِ النَّسَاكِ بهنَّ ، واتخاذِ الأنبياءِ لهنَّ ، إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكرِّمه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سبَّاهٍ سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذي يُميت الذُّكْرَ لهنَّ ، ويُسرِّي عنه ألم فقد وجودهنَّ^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم^(٢) ويختارَ الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخِل على الخلق ، أن تكون اللوساوس في هذا الباب لا تعرّوه ، والدواعي لا تقرّوه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السكّن وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنني سمّلتُ عيني يوم خصّيت نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصُّورِ وكيف ترّوع ، وجّهلتُ المراد منها ، وكيف تُراد ، أفأ كان^(٥) [مَنْ كان كذلك] حَرِيّاً أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أو لو لم أكنُ هرماً^(٦) ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس في^(٧) أني لم أذُق حيواناً منذُ ثمانينَ

(١) في ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينشئ العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقرؤه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فأكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لو لم أكن هرماً » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تملِ عُروقي^(١) من الشرابِ مخافةَ الزيادةِ في الشهوةِ ، والنقصانِ من العزمِ - أليسَ^(٢) في ذلك ما يقطعُ الدواعيَ ، ويُسكِنُ الحركةَ إن حاجتُ ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإني بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لأسمعُ نعمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنَّ كَيْدِي قد ذابت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّ عقلي قد اختلس ، وربما اضطربَ فؤادي عند ضحكِ إحداهنَّ ، حتَّى أظنُّ أنَّه قد خرجَ من في ، فكيف ألوِّمُ عليهنَّ غيري ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدقَ على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنُّك به قبل الخلاء بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعةِ ولا في صفةِ الإمكانِ ، أن يحتجزَ عن إرادةِ النساءِ ، ومعه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ لهنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِهِ ، وأعدلُ على عبادهِ ، من أن يكلفَهُم هِجرانَ شيءٍ ، قد وصلَهُ بتلوُّبِهِم هذا الوصلَ ، وأكَّده هذا التأكيدَ .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفايةً إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخلاء)

وقد ذُكرَ أنَّ عثمانَ بنَ مظعونٍ ، استأذَنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةِ » . واستأذَنَهُ في الخلاء فقال :

(١) في ط : « تمل » وما أثبتته من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمَّتِي الصُّومِ ، وَالصُّومِ وَجَاءَ » . فَهَذَا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

٥٩

(خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

فَأَمَّا مَنْ خَصِيَ الْجَلْبَ (١) عَلَى جِهَةِ التِّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يُجِبُّ الْقَضِيْبَ ، وَيَمْتَلِخُ الْأَنْثِيْنَ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرَطِ الْفَرْعِ (٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلْمٌ لَا يَبْقَى بِهِ ظَلْمٌ ، وَظَلْمٌ يُرْبِي عَلَى كُلِّ ظَلْمٍ (٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِفَوْتِ الْمُتَقَلِّصِ (٤) ، وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرَى مُجِيبَ الْقَضِيْبِ أَوْ ذَا بِيضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَه لَا امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خِصِيًّا ، وَهُوَ حَيْذُنْدٍ مِمَّنْ تَخْرُجُ لِحِيَّتُهُ ، وَمِمَّنْ لَا يَدْعُهُ النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بِيوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخِصِيَانِ مَقْرَبًا وَمَكْرَمًا ، وَخِصِيْبَ الْعَيْشِ مَنْعَمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفُحُولِ ، كَانَ لَهُ مَا لِلْفُحُولِ مِنْ لَذَّةِ غِشِيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النَّسْلِ وَالْتِمَتِّعِ بِشَمِ الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفُحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخِصِيَانِ مَجْرَحًا مَطْرَحًا (٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى (٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب ما في ل .

(٣) ل : « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « يموت المتقلص » وصوابه في ل .

(٥) ل : « محرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذي يرغب عن فعلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ،

فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق وما تريم

القتلُ قِتْلَةً صَرِيحَةً (١) مُرِيحَةً - إِلَّا أَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْهَلَ عَلَى هَذَا
الْمَظْلُومِ مِنْ طَوْلِ التَّعْذِيبِ . وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ)

وَأَمَّا خِصَاءُ الْبِهَائِمِ ، فَهُنَا الْوِجَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَشُدَّ عَصَبُ مَجَامِعِ الْخِصِيَةِ
مِنْ أَسْوَاطِ الْقَضِيبِ ، حَتَّى إِذَا نَدَرَتِ الْبَيْضَةُ ، وَجَحَظَتِ الْخِصِيَةُ ، وَجَأَهَا
حَتَّى يَرْضَاهَا ، فَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ تَذْبِيلٌ وَتَنْخَسْفٌ ، وَتَلْوِيٌّ وَتَسْتَدِيقٌ ، حَتَّى
تَذْهَبَ قُوَاهَا ، وَتَنْسُدَّ الْمَجَارِيُّ إِلَيْهَا ، وَيَسْرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ إِلَى مَوْضِعِ تَرْبِيَةِ
النُّطْفَةِ ، فَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَبْكَثُرَ أَوْ تَعْذِبَ أَوْ تَحْتَرُ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بِالشَّدِّ وَالْعَصْبِ ، وَشِدَّةِ التَّحْزِيقِ ، وَالْعَقْدِ بِالْخِطِّ الشَّدِيدِ
الْوَتِيرِ الشَّدِيدِ الْفَتْلِ ، فَإِذَا تَرَكَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمِلَ فِيهِ وَحْزٌ ، أَوْ أَكَلٌّ وَمَنْعَةٌ مِنْ
أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهِ الْغِذَاءُ ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطَعَ وَيَسْقَطَ .
وَمِنْهُ الْإِمْتِلَاحُ ، وَهُوَ إِمْتِلَاحُ الْبَيْضَتَيْنِ .

(خِصَاءُ النَّاسِ)

فَأَمَّا خِصَاءُ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِلْخَاصِي حَدِيدَةً مَرْهَفَةً مُحْمَاةً ، وَهِيَ الْخَاسِمَةُ ،
وَهِيَ الْقَاطِعَةُ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : [يُقَالُ] خَصَيْتِ الدَّابَّةَ أَخْصَيْتُهَا خِصَاءً ،
وَوَجَأَتْهَا أَجْوَاهَا وَجَاءً . وَيُقَالُ : بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْخِصَاءِ أَوْ الْوِجَاءِ ، وَلَا يُقَالُ
ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْهُ ، فَإِذَا بَرِئَ لَمْ يُقَلِّ لَهُ (٢) .

(١) ل : « سَرِيحَةٌ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يَقْلَهُ » وَهُوَ خَطَأٌ فِي الرَّسْمِ أَوْجَبَهُ تَكَرُّرُ اللَّامِ ، وَالْوِجَاءُ مَا كَتَبْتُ .

وأما الخِصَاءُ فهو أن يسَلَّ الخِصِيَتَيْنِ ، والوجاء أن توجأ العروق والخِصِيَتَانِ على حالهما . والمعصوب من التيوس الذي تُعَصَّبُ خِصِيَتَاهُ حتى تسقطا . والواحد من الخِصِيَانِ خِصِيٌّ ومَخْصِيٌّ . ويقال ملست الخِصِيَتَيْنِ أَمْلَسَهُمَا مَلْسًا ، وامتنتُهُمَا أَمْتَنَهُمَا مَتْنًا ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّفَنَ فَنَسَلَهُمَا ٦٠ بعروقهما . والصَّفَنُ : جلدة الخِصِيَتَيْنِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ وَالذِّيكَ)

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبِهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَّةً ، يَدَعُ اللَّحْمَ رَخِصًا وَنَدِيًّا عَذْبًا ، فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكَبَرِ ، لَمْ يَقَوْ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ - عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَةِ ثَرْبَحَتْ (١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خِصِيٌّ رَطْبًا . وَالْخِصِيُّ مِنْ فِجْوَاهَا أَحْمَلُ لِلشَّحْمِ ، لَعَدَمِ الْهَيْجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفِجْوَةِ (٢) . وَكَثْرَةُ السَّفَادِ تَوْرَثُ الضَّعْفَ وَالْهَزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذُكِرَ لِمَعَاوِيَةَ كَثْرَةُ الْجَمَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتِرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى (٣) .
وَالذِّيكَ يُخْصِي لِيَرْتَبِ لِحْمُهُ وَيَطِيبُ وَيَحْمِلُ الشَّحْمَ .

(خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفَحْوَلَةِ الْإِبِلِ)

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَخْصِي فُحْوَلَةَ الْإِبِلِ لَثَلًا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَسْتَبِقِي مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكَلَّ مَا كَانَ مَسْنَأًا (٤)

(١) ط : « بربحت » .

(٢) ط : « عما يجامع الفحولة » وهو تحريف .

(٣) ط : « منته » . والمته : القوة . والخبر في البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .

(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكاراً ، وهم يسمون الإذكار المحق الخفي^(١) ، وما كان منها عيائاً طباقاً ، فمنها ما يجعل السدم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدوا ثيله شداً شديداً ، وتركوه يهدر ويُقبب في الهجمة ، ولا يصل إليهن وإن أردنه ، فإذا طلبن الفحل جرى لهن بفحل قعسرى^(٢) ويقولون : « لَقَوَّةٌ لَاقَتْ قَبَيْسًا ! » . والقبيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن جهله بإتيان النساء ، وعيّه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهن وقوع صدور الرجال على صدورهن - فقالت : زوجي عيائاً طباقاً ، وكلُّ داءٍ له داءٌ !! وقال الشاعر :

طباقاء لم يشهدْ خصوماً ولم يقْدْ ركباً إلى أكوارها حين تعكف^(٣)

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخصون الخيل لشبيهه بذلك^(٤) ، ولعلّة^(٥) صهيلها ليلة البيات ، وإذا أكنوا الكمناء أو كانوا هراًبا .

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفي » وهو تحريف ما في ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأمبروزيانا : « نحى وجيء لهن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلق » وفي ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف »

وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أن الخنذيد^(١) في الخليل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَّاف بن نَدْبَةَ :

وخنذايد خصيةً وفُحولاً^(٢)

وقال بشرُّ بنُ أبي خازم :

وخنذيدٍ تَرَى العُرمُولَ منه كَطِيِّ البرْدِ يطويه التَّجَارُ^(٣)

وليس هذا أرادَ بشر ، وإِنَّمَا أرادَ زمانَ الغزو ، والحالَ التي يعترى الخليلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر^(٤) :

لا لا أعقُّ ولا أحوُّ ب ولا أُغِيرُ على مُضَرِّ

لكنَّما غزوي إذا ضجَّ المطيُّ من الدَّبرِ

وإِنَّمَا فخرَ بالغزوِ في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم التام ، وربَّما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيد الضُّحَى متمطرٌ وخيفانةٍ قد هدَّبَ الجرى آلها^(٥)

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقْتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهري .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن نَدْبَةَ ، إذ أن ابن نَدْبَةَ من بني الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذين كابييات وأتنا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمر » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبري . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) المتطر : السريع . وهي في الأصل « متمطرا » وليس بشيء . وآلها : شخصها .

[على] كلَّ خنذيذ السَّراةِ مُقلِّصٍ تَحَنَّتْ مِنْهُ لِحْمُهُ الْمُتَكَوِّسُ^(١)
ومن الدليل على أنَّهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ
بعض القيسيين^(٢) ، مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :
دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى فِشْمَرْتِ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبد الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان ،
حين فارق مُصعباً :

بَأَيِّ بَلَاءٍ أُمَ بَأَيَّةِ عَلَّةٍ يُقَدِّمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهَلَّبُ
وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ أَمَا مَي كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لَلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ^(٣)
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواء أحسن من هذا ! قال : فلَمَّا
أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرُمونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازلٍ^(٤) ترى ؟ !
[يريدون بيت ابن الحر^(٥)] :

ألم تر قيساً قيسَ عيلانٍ - برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل
فلما أتى مُصعبُ برأسه ، قال لسويد : يَا أَبَا الْمِنهَالِ ! كيف ترى ؟ قال :
أَيُّهَا الأمير ! هو والله الذي أتى الماء من غير مشرب .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبيس ،
فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار
في البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد
مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما
خاف من الأسر ، ألقي بنفسه في الفرات ، فأت غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بريدعة الذي حدثته فينا أدلُّ من الخصىِّ الديزج^(١)
وتعرض للخصيِّ سرعةُ الدمعة ، وذلك من عادةِ طبائع الصبيان
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دمعةً من النساء ، وكفالك
بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصيِّ العيبُ والأعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .
ويعرض له الشره عند الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ في كلِّ
شيء ، وذلك من أخلاق الصبيان [ثم النساء^(٢)] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رومان قيساً إذا غداً خصىُّ برازينٍ يُقَاد رهيصُ
له معدةٌ لا يشتكي الدهرَ ضعفها وحنجرةٌ بالدورقين قوصُ

ويعرض للخصيِّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصبيان
والنساء . ويعرض له حبُّ النيمة ، وضيقُ الصدر بما أودع من السرِّ ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأمه وأبيه ،
ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رَهطه ، البصرُ بالرفق والوضع ، والسكنس
والرش ، والطرح والبسط ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الريزج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب

١٠٥ : « الأخضر هو في كلام المعجم الديزج » . وقال الإسكافي في مبادئ اللغة ١٢٣ :

« والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الكيزج » .

(٢) التكلة من نسخة الأميروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرةِ الرُّكُض حتى يجاوز
في ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارج . ومتى دَفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل
إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرىَ
تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنَّشاب ، الَّذِي يدور في نفسه من حبِّ غزوِ الرُّوم .
ويعرض له حبُّ أن تملكه الملوكة ، على ألا تقيمَ له إلا القوتَ ، ويكونُ
ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه السُّوقَةُ ، وإن ألحقته بعيشِ الملوكة !!

ومن العجب أنَّهم مع خروجهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع
النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ
مُخَنَّثاً متفكِّكاً ، وموثناً يَسِيلُ سَيْلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مُخَنَّثين ،
ورأيتُ ذلك في الزَّنجِ الأَفْحاح . وقد خبَّرني من رأى كَرْدِيّاً مُخَنَّثاً ، ولم
أرْ خَصِيّاً قط مُخَنَّثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف
المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَد كان ينبغي لهم أن
يكونَ ذلك فيهم عاماً^(٢) !

ومما يزيدني في التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرض لهم من
الْحَلَّاقِ^(٣) ، مع قَلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشَطْرِ معاني
الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمرين ؛ وأهل التجربة المميزين ، أنَّهم
اختبروا أعمارَ ضروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ^(٤) الأعمارِ في الحصيانِ أعَمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق ، كفراب : أن يفسد متاعه ، فينمكس ميله الجنسي .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعدادهم^(١) من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَّوا، فوجدوا طول العمر في الحصيان أعم؛ ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلان وفلان من الفحول. وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاَّ عدم النَّكاح، وقلة استفراغ النَّطْف لقوى أصلابهم.

قالوا: وكذلك لم نجد فيما يعايشُ الناسَ في دُورهم، من الخيل والإبل، والحمير، والبقر، والغنم، والكلاب، والدجاج، والحمام، والديسكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال.

٦٣

وكذلك قالوا: وجدنا أقلها أعماراً العصافير. وليس ذلك إلاَّ لكثرة سفاذِ العصافير وقلةِ سفاذِ البغال.

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبويه دليلاً على أن قول الناس: لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناسَ دون جميع الحيوان.

(النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غُرمولَ البغلِ أطولَ من غُرمولِ الحمارِ والفرسِ والبرذون؛ وهؤلاء أعمامه وأخواله؛ فقد وجدنا بعضَ النَّتاجِ المركَّبِ، وبعضَ الفروعِ المستخرجة، أعظمَ من الأصل؛ ووجدنا الحمامَ الرَّاعي^(٢) أعظمَ من الورشان الذي هو أبوه، ومن الحمامة التي هي أمه؛ ولم نجدَه أخذَ من عمر الورشان شيئاً؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما؛ كما خرج شحيج البغلِ من نهيق الحمار وصهيل الفرس. وخرج الرَّاعي مُسرولاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى الذئب وزنته، فالأعداد: الأنداد.

(٢) ط: «الزاعبي»، والصواب مافى ل. قال في المجمل: الحمامة الرَّاعية: ترعب في صوتها ترعيباً، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك في أبيه ؛ وخرج مُثَقلاً سَيِّءِ الهداية . وللورشان هداية ، وإن كان دون الحمام ؛ وجاءَ أعظمُ جُثَّة من أبيه ؛ ومقدارُ النَّفس من ابتداءِ هَدَيْلِهِ إلى منقَطَعِهِ ؛ أضعافُ مقدارِ هَدِيلِ أبيه .

وفوالجُ البُخْتِ إذا ضَرَبْتَ في إناثِ البُخْتِ ؛ لم يخرجِ الحَوَارُ إِلَّا أَدْنَ^(١) قَصيرَ العُنُقِ ؛ لا ينالُ كلاً ولا ماءً إِلَّا بَأَنْ يُرْفَعَا إِلَيْهِ ؛ فيصيرُ - لمسكانِ نَقْصانِ خلقه - جَزُورَ لَحْمٍ ؛ ولا يكونُ من اليعمَلاتِ ولا من السابقة ؛ ولو عالوه وكفوه مُؤنَّة تكلف^(٢) المأكولِ والمشروبِ ، ثم بلغَ إلى أن يصيرَ جَملاً يَمكُنُهُ الضَّرَابُ . وكذلك [الأُنثى التي هي] الحائِلُ إلى أن تصيرَ ناقةً ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاءَ ولدها أَقصرَ عُنقاً من الفيلِ ، الذي لو لم يجعل اللهُ تعالى له حُرطوما يتناولُ به طعامه وشرابه ، لمات جُوعاً وهزألاً ؛ وليس كذلك العَرَابُ . وإذا ضَرَبْتَ الفوالجُ في العرابِ جاءت هذه الجوامز^(٣) والبُخْتِ السكريمة التي تجمعُ عامَّةَ خصالِ العرابِ وخصالِ البُخْتِ ؛ فيكونُ ما يُخْرِجُ التَركيبُ من هذينِ الجنسينِ أَكْرَمَ وأفخَمَ وأنفسَ وأثمنَ . ومتى ضَرَبْتَ فحولُ العَرَابِ في إناثِ البُخْتِ جاءت هذه الإبلُ البَهُونِيَّةُ^(٤) [والصَّرصَرَانِيَّةُ^(٥)] فتخرجُ أَقْبَحَ منظرًا من أبيها ، وأشدَّ أسراً من أبيها . [وقال الراجز : ولا بهوى من الأباعر]

(١) ط : « أانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما في ل . والدنن ، محرّكة : اختناه في الظهر ، ودنو وتطامن في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهي دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « البهوتية » . ل : « البهوتية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس « والبهوتية من الإبل ما بين الكرمانية والعمرية » . وجاء في المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوي - بتقديم النون - من الإبل : ما بين الكرمانية والعمرية ، وهو دخيل في العربية » .

(٥) في القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخات والعراب ؛ أو الفوالج » وفي الأصل : « وهي الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنَّ هذه الشُّهريَّة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ
أمهاتها وآبائها من الخليل والبراذين ؛ وتأخذ من عتق الخليل ، ومن وثاجة^(١)
البراذين ؛ وليس نتاجها كنتاج البردُونِ خالصاً والفرس خالصاً .
وما أشبه قرابة الحمارِ بالرمكة والحجرِ ؛ من قرابة الجمل الفالَج ٦٤
البُختيِّ بقرابة القلوص الأعرابيَّة .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّة الأخرديَّة ؛ أطولُ الحمير أعماراً
وإنما هي من نتاج الأخذَر ؛ فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشياً^(٢)
فحمى عدَّة عاناتٍ فضرب فيها ، فجاء أولاده منها أعظمَ من سائر الحمير وأحسن ،
وخرجت أعمارها عن أعمار الخليل وسائر الحُمُر - أعنى حمر الوحش - فإنَّ
أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدَّة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاشَ أكثرَ وعُمُر أطولَ من عير أبي سيارة
عميلة بن أعزل^(٣) ؛ فإنهم لا يشكُّون أنه دَفَع عليه بأهلِ الموسم أربعين عاماً !!
قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أتاناً .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « عميلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧

وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا - وكذلك هو في كتبهم - أنَّ ملوك فارس كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك في العوام .

وهم يزعمون أنَّ فيروز بن قباد^(١) الملك الفارسيّ ؛ ألحَّ في طلب حمار أخدرى ؛ وقد ذُكر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ في ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطارده إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه^(٢) ؛ فحطَّه في خَبَّار^(٣) فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ، فضم فخذيَه فحطَّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذَ غيراً أخدرياً وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتياً^(٤) وسمَّه باسمه^(٥) وأرَّخ في وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذي يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وخلَّى سبيله ؛ فعرف آخرهم صنيعَ أولهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقادير أعمارها .

= على فرس عربي أو جمل مهزى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعية بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تملق لأحد الكتاب ، حيث فسّر الخبر بأنه الأرض الرخوة ، وصحفتها آخر فجعلها « خيار » .

(٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .

(٤) ط : « متينا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف النزعات والميول)

ولولا أن ناساً من كلِّ جيل ، وخصائص من كلِّ أمة ، يلهجون
ويكلفون بتعرف معاني آخرين لدرست ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على
أولئك ، ويعجب الناس من تفرُّغهم لما لايجدى ، وتركهم التشاغل بما يُجدى ،
فالذى حَبَّب لهذا أن يرصد عمر حمار أو ورشان أو حيَّة أو ضبُّ ، هو الذى
حَبَّب إلى الآخر أن يكون صيِّداً للأفاعى والحيات ، يتبَّعها ويطلبها فى كلِّ
واد وموضع وجبلٍ للترياقات . وسخرَ هذا ليكون سائسَ الأسدِ والنُّهودِ
والنُّمورِ والبيور (١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعى غنم !!

والذى فرَّق هذه الأقسام ، وسخرَ هذه النفوس ، وصرف هذه العقول
لاستخراج هذه العلوم من مدافنها ، وهذه المعانى من مخايبها ، هو الذى سخرَ
٦٥ بطليموس مع مُلكه (٢) ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغ للأُمور السماويَّة ، ولرعاية
النجوم واختلافِ مسير الكواكب . وكلُّ ميسرٍ لما خُلِق له ، لتتمَّ النعمة (٣)
ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبى التيسير للمعاصى (٤) .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكاً ،
وتقصُر بعضهم على أن يكون صيرَفيّاً ، فهى وإن قصرتَه على الحياكةِ ، فلم
تقصُرَه على خُلف المواعيد وعلى إبدال الغزول ؛ وعلى تشقيق العملِ دون الإحكام
والصدق وأداء الأمانة ؛ ولم تقصُر الصيرفىَّ على التطفيف (٥) فى الوزنِ والتغليطِ

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « البيور » جمع بئر ، وللفريق المعلوم كلام جيد
فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة
اليونانيين ، وللقفطى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتمَّ النعمة » .

(٤) ل : « وإنما تأبى التيسير للمعاصى » . والمعزلة يربثون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

في الحساب ؛ وعلى دس الممّوه ؛ تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النَّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من الزوايج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنّ ؛ لسكانت الأظلاف^(١) تجرى مجرى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العراب ؛ والحيل من الحمير !!

وسبيل نتائج الظلّف على خلاف ذلك ؛ لأنّ التيسَ - على شدّة غلّتمته - لا يعرض للنعجة [إلا بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إما ألا يتمّ خلقه ، وإما ألا يعيش^(٢)] ؛ وكذلك السكبشُ والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج^(٣) لأنه قد يضرب الجنسُ في الجنس الذى لا يُلقحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيسِ للنعجة قليل^(٤) وأقلُّ من القليل ؛ وكذلك السكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أن تتلاقح^(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبتة^(٦) . وقد تجاسرَ ناسٌ على توليدِ أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادّعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان !!

(زعم في الزرافة)

زعموا أنّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

-
- (١) ط : « الأخفاف » .
 - (٢) التكلة من الأمبروزيانا .
 - (٣) ط : « فيها نتائج » .
 - (٤) ما عدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلاً » .
 - (٥) في معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .
 - (٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريفه .

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك^(٢)) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »^(٣) الضبع ؛ لأن الضباع عُرِج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل - وكلُّ ذئبٍ أقزَل - وكما أن كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيد من الناس ؛ وكما أن العصفور لا يمشى ؛ ومشيُه أن يجمع رجله أبداً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك^(٢) اسم فارسي ؛ والفرس تسمى الأشياء بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامه : اشتر مرغ ؛ وكأنهم في التقدير قالوا : هو طائر وجل ؛ فلم نجد هذا الاسم أوجب أن تكون النعامه نتاج ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما شبهوا بشيين متقاربين ؛ سموها بدينك الشيين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلوٌ حامض . فجسر القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً^(٤) ؛ وجعلوا الخلقه ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يجيء خلقه ما بين خلق الناقة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض^(٥) لها الثور الوحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولد الناقة ذكراً عرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر البتة أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أن كلَّ زرافةٍ في الأرض ، فأتما^(٦) هي

(١) ط : « أسمائها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .

(٣) ط : « يلنك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من التتاج الذى ركّبوا ؛ وزعموا أنّ ذلك مشهورٌ في بلاد الحبشة ؛ وأقاصى
البحر . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركّبٍ لا ينسل ولا يبقى نجله ولا
يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والرّاعي (١) . وهؤلاء
وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتهمون الكتّاب ، وتغرّمهم كثرةُ أتباعهم ممّن
تجدّه مستهتراً بسماع الغريب ، ومُغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع
هذا الاستهتار (٢) نصيباً من الثبوت ، وحظاً من التوقى ؛ لسلمت الكتّابُ
من كثير من الفساد .

(التتاج المركب في الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه
من نتاج ما بين القمرى (٣) والفاختة (٤) .
وقنّاص الطير ، ومن يأتى كلَّ أوقة (٥) وغيضة في التماس الصيد ؛
يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛
وأنّهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدرون أنّها من تلاقح
تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الوردانى والزاعبى » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما فى ص ١٣٧ من
هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلاً من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) اللدميرى : « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من

الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه فى ل . والأوقة بالضم : محضن الطير على

رعوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب في الحرباء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عن لقي من الأعراب أنهم زعموا
أن ذكر أم حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأم
حُبَيْن حُبَيْنة ، والحُبَيْنة هو اسمها . قال : وقيس تسمى ذكر العظاءة العَضْرُفُوط .
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإن
كان ضباً مَكُوناً . قال : فإذا سامُّ أبرص ، والورل ، والوحر ، والضبُّ
والحلكاء ، كلها عنده عظاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن مُنَجِّم^(١) أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

٦٦ أبوك أبوك وأنت أبنه فبئس البيئ وبئس الأب
وأملك سوداء نوبيئة كأن أناملها العنظ^(٢)
بيت أبوك بها مُغْدِفاً^(٣) كما ساور الهرة الثعلب

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظ : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظ » كما في الديمري ٢ : ٣٩٦
والديوان ٦١ . والحنظ : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق
المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديمري والديوان .

(٣) ل : « مغدفاً » وفي الديمري : « سافداً » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون
بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرساً » كما في الديوان ، أي سافداً .

وأُشِدُّ أَبُو عُبَيْدَةَ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَةً عَنِ الرَّجُلِ الْيَمَانِي

أَتَغَضَّبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِي

فَأَشْهَدُ أَنَّ رَحِمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَرَحِمِ الْفَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ (١)

قَالَ كَيْسَانَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ :

كَرَحِمِ الْفَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ

إِنَّمَا كَانَ يُبْغَى أَنْ يَقُولَ : كَرَحِمِ الْفَيْلِ مِنَ الْخَنْزِيرِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :

أَرَادَ هُوَ التَّبْعِيَدَ بَعَيْنِهِ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مَا هُوَ أَقْرَبُ .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أَنَّ أَهْلَ سَفِينَةِ نُوحٍ كَانُوا

تَأَذُّوا بِالْفَأْرِ ، فَعَطَسَ الْأَسَدُ عَطَسَةً فَرَمَى مِنْ مَنْخَرِيهِ بَزُوجِ سَنَانِيرٍ ؛

فَلِذَلِكَ السَّنُورُ أَشْبَهُ شَيْئًا بِالْأَسَدِ . وَسَلَحَ الْفَيْلُ زَوْجَ خَنْزِيرٍ ؛ فَلِذَلِكَ

الْخَنْزِيرُ أَشْبَهُ شَيْئًا بِالْفَيْلِ . قَالَ كَيْسَانَ : فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ السَّنُورُ

آدَمَ السَّنَانِيرِ ، وَتِلْكَ السَّنُورَةُ حَوَاءُهَا . [قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَكَيْسَانَ : أَوْلَمْ تَعْلَمْ

أَنْتَ أَنَّ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ آدَمَ وَحَوَاءً ؟ !] وَصَحَّحَ [فَضَحَّحَكَ] الْقَوْمُ .

(١) فِي ط « فَأَشْهَدُ أَنَّ آلَكَ » وَ « آلَكَ » بِحَرْفِ « إِيكَ » ، وَالرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ : « مِنْ زِيَادٍ »

وَأَثَبَتْ مَا فِي ل ... وَالْأَبْيَاتُ فِي الْحَيَوَانِ ٧ : ٧٣ وَالْخَزَائِنُ ٢ : ٥١٨ بُولَاقٍ مَنْسُوبَةٌ

كَذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَخِي مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ . وَهِيَ فِي الشُّعْرَاءِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ

٧٩ وَالْمَوْشِحَ ٢٧٣ مَنْسُوبَةٌ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَفْرُغٍ . وَفِي الْأَعْيَانِ ١٢ : ٧١ : « وَالنَّاسُ

يُنْسِبُونَهَا إِلَى ابْنِ مَفْرُغٍ لِكثْرَةِ هِجَائِهِ لَزِيَادٍ . وَذَلِكَ غَلَطٌ » .

(شره سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكلَ عند النعمان مسلوخاً

بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذئب له ظئر وأخوال^(١) .
يقول : إنَّ سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ،
فيطفيء الجمرَ ويميع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نَجْرٌ^(٤)] الكلب الذي
يرضُّ كلَّ عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلاَّ هو واثق بفته ، ولا يسبغه
إلاَّ وهو على ثقة من استمرائه^(٥) . فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئاً
إلاَّ ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف .
ولذلك قال الراجز^(٦) :

أطلسٌ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي فِيهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ
فأبو قردودة لم يُرد أن الذئب والكلاب خالاه ، وأن النعام نجَّله ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالاً من
الذئب . وشبيه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يانُظَفَ ٦٨

(١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى يسيل كما في ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهاهما وهي : « ما كان
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان في البيان ١ : ١١٤ مضافاً إليهما بيتان آخران هما :

هو الخبيث عينه فراره بهم بين محارب مزداره

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأملى (٣ : ١٢٩) والكامل ٢٠٨

والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ١٣٤) .

(٧) في الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الحمَّارين^(١) ، ونزاع الطَّوْرة ، وأشبه الخُوْلة .

وعلى شبيهه بذلك قال سلم بن قتيبة^(٢) لبعض من ذكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلَّجُ خلقِ الله وأوباشه ، لثامٌ عُدر ، شرَّابون بأنقع^(٣) ، ثمَّ هذا بعدُ في نفسه ، نُظفَةُ حمَّارٍ في رَحِمِ صَنَاجَةٍ .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس — وأبو العباس هذا كان ختن إبراهيمَ عليٍّ أخته ، وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلا بما يجري على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرَّةً : أتعرفُ موضعَ الحُطْوَةِ من خلوةِ النساءِ ؟ . قلتُ : لا والله لا أعرفه . قال : بل أعلمُ أن لا يكون الحُطُّ إلا في نِتاجِ شيكِّين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّي إلى الخِلاص : وهو أن تزوجَ بينَ هنديةٍ وخراسانيٍّ ، فإنها لا تلدُ إلا الذهبَ الإبريز . ولكن احرس وِلدها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذرَ عليها من شدةِ لواطِ رجالِ خراسانَ وزنائه نساءِ الهند ، واعلمُ أن شهوتها للرجال على قدرِ حُطوتها عندهم ، واعلمُ أنَّها ستساقُ النساءِ على أعراقِ الخراسانيةِ ، وتزني بالرجال على أعراقِ الهند ، واعلمُ أنَّه ممَّا يزيدُ في زناها ومساحتها معرفتها بالحُطوةِ عند الزناةِ ، وبالْحُطِّ عند السحاقيات^(٤) .

(١) في الأصول « الحمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرابون ما أنقع لهم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للدهامى المنكر ، لأن الدليل إذا عرف الفلوات حَقَّ سلوكِ الطرقة إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضروباً^(١) من الحقّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أنّ الشَّبُوط ولد الزَّجْر^(٢) من البُنِّي ، وأنّ الشَّبُوط لا يُخلَق من الشَّبُوط ، وأنّه كالبعغل في^(٣) تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي واثلة إياس بن معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنّ أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٤) في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبُنِّي ، وأنّها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حيناً ، ثمّ إنّها^(٥) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حُرَيْثُ أنّه كان بأيّذَج^(٦) ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء^(٧) تكاد تمسّ الأرض ، وتكاد تمسّ رُؤوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات المجانيق^(٨) ، وكهدير الفحول في الأشوال ؛ ثمّ إنّها دفعت بأشدّ مطر رُمي أو سُمع به ، حتّى استسلموا للغرق ؛ ثمّ أندفعت بالضفادع العظام^(٩) ، ثمّ

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالحاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبادي : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حضرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خائماً إنّما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أيّذَج كأيّذَج بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « المجاش » وهي جمع مجش أو مجشة ، وهي الرحي .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبايط السَّهَانِ الخِدَالِ (١) فطبخوا واشتَوُوا ، وملَّحوا وادَّخَرُوا .

(غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد)

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبُوط كالبغل ،
أنَّ الناسَ لم يجدوا في طولِ ما أكلوا الشبايطَ في جوفها بيضاً قطُّ . فإن كان ٦٩
هذا الخبرُ عن هذا الرجلِ المذكورِ بشدَّةِ العقلِ ، المنعوتِ بثُقُوبِ الفِرَاسَةِ
ودِقَّةِ الفِطْنَةِ صحیحاً ، فما أعظمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلقَ الخبرَ أن
يكونَ صحیحاً ؛ وذلكَ أنِّي سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيفِ الحيوانِ
وأقسامِ الأجناسِ ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسنَ في أشياءٍ وهمه العُجْبُ
بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه من نفسه الذي غرَّ الخليل
ابنَ أحمدَ ، حينَ أحسنَ في النحوِّ والعروضِ ، فظنَّ أنه يُحسنُ الكلامَ
وتأليفَ اللُّحونِ ، فكُتِبَ فيهما كتابينِ لا يُشيرُ بهما ولا يدلُّ عليهما إلاَّ
المِرَّةُ المحترِقةُ ، ولا يودِّي إلى مثلِ ذلكِ إلاَّ خِذْلَانُ من الله تعالى ؛ فإنَّ
اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيءٌ .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُوطُ — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرٌ الذكورُ قليلُ الإناثِ ، فلا
يكونُ إناثه أيضاً يجمعُ البيضَ ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما في ل . والخدال : جمع خدلة ، وهي
المتلثة الأعضاء لها في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشَطْرَ بَيْضِ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ
لِلتَّعْرِيفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسْأَلُهُ فَهوَ يُنَبِّئُكَ
أَنَّ لَهُ بَيْضًا ، وَاسْكَنَهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَيْلًا قَلِيلًا ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ
الْعَدَدِ مِنْ أَقَلِّ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنْثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ
رَأْمَهْرَمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّى فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ؛ وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَالْأَعْدَبُ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذَكُرُ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبْ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَبُوا عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَبَ عَلَى الْمَوْتِيِّ
وَاسْتَشْهَدَ الْغَيْبَ أَحَدُكُمْ ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحِيلَةِ ،
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَنَد » وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ . مَا عَدَلَ « بَيْضٌ » .

(٢) ل : « وَإِذَا » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأني بقريّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكباش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أنّ الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرس أنّ الحيوان كلّهُ الذي يلد حيواناً مثله ممّا يمشى على ٧٠ أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميسُ عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم في الإبل)

والناس يقولون في الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم من يزعمُ أنّ فيها عرقاً من سفاد الجنّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنّما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين^(١) فجعلوا المثلّ والحجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول محاربٌ تغنّت شياطين وجنّ جنونها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحي الشيطان في أخلاقها وطبائعها . وفي حديث آخر : « لاتصلوا في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي : المأثور من السيوف الذي يقال : إنَّ الجنَّ عملته .
وهم يسمُّون الكِبْر والحُنْزُرُ وَاِنَّةَ والنَّعْرَةَ التي تضاف إلى أنف المتكبرِّ
شيطاناً ، قال عمر : حتى أزرع شيطانَه ، كما قال : حتى أزرع النَّعْرَةَ التي فيه
أنفه (١) . ويسمُّون الحَيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطاناً ، وهو قولهم : شيطان.
الحِمْطَاة (٢) . قال الشاعر :

تعالج مثنى حَضْرَمِيٍّ كأنه تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بذي خِرُوعٍ قَقْرٍ (٣)
شبه الزِّمَامَ بالحَيَّةِ . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناح كأنها حباب بكف الشاؤم من أسطح حشر (٤)
والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم (٥) . وقد نهي عن الصلاة عند
غيبوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتأمَّ ذلك . وفي الحديث :
« إنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » .

(ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيَّةٌ ، وموضعُ كلامٍ يدلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويسخل
أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لتغيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب
القاموس يفسط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهمزة وبالتحريك ، وإذا كانت
بمعنى الذباب كهمزة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبل أو الأسود الصغير
أو الحديد . عن القاموس .

(٣) ط : « تعامج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) .
ونسبه الجاحظ في ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفي ل : « أسطح جسر » ولعل في البيت تحريفاً .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمه أيوم . وانظر
معجم المثلث ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخر ، ولها حينئذ دلالات أخر ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناس أن من الإبل وحشياً وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك^(١) ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض وبأر ، لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فآلمهريئة من ذلك النتاج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشية هي الحوش ، وهي التي من بقايا إبل وبأر ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عاد وثمود والعاقلة وطسم وجديس وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي^(٢) فإن سقط إلى تلك الجزيرة بعض الخلاء^(٣) ، أو بعض من أضل الطريق حثت^(٤)

٧١

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط : « لا يطورها أحد » . قال في القاموس : « وطردهم : أتيهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجزيرة » و « الخلاء » موضع « الخلاء » . وما في ط : تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حثا » .

الجنُّ في وجهه ؛ فَإِنَّ الْحَّ خَبَلْتَهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشُ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهْبِيَّةَ .

وَأُنشِدُنِي سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِبْنِي عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَوَاوَيْسِ الذَّهَبِ
وَقَالَ الْآخِرُ (٤) :

إِذَا اصْطَلَكْتَ بِضَيْقِ حَجَرَتَاهَا تَلَاقَى الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ صَاحِبَةً يُزِيدُ بْنُ الطَّائِرِيَّةِ حُوشِيَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥) .

وَقَالَ رُوْبِيَّةُ :

جَرَتْ رِحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وَأُنشِدُ ابْنَ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ » وَكَتَبْتُ مَا فِي ل وَ س . . . وَسَعْدَانَ
هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارِكِ أَبُو عَثْمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْبَغِيَّةِ لِلسَّيْطِيِّ ٤ : ٢
وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ ، وَنَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ ٢٠٦ ، وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْقُرَاءِ وَلَهُ كِتَابٌ مُصَنَّفٌ فِي النَّحْوِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٣١ ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْبَغِيَّةِ ٤٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ ، وَالنَّزْهَةُ ٢١٢ .
وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مِنْهُمَا مُحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْعَتَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجُمَاتِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ
انظُرْ فَهْرَسَ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْسَكُ وَ ٧٢ مِصْرَ وَابْنَ خَلِّكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمَ
الزَّرْكَلِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٤٠ .

(٤) هُوَ عَاهَانَ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ كَا فِي اللِّسَانِ (لَطِمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ إِبْلُ
مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْمَسْجِدُ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ .
وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْعَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسْكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س وَ ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالرَّحَى : جِهَامَةُ الْإِبْلِ . وَفِي ط وَالْحَمْدَةُ
٢ : ٢٠٥ « رَجَالًا » . وَرِوَايَةُ اللِّسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مطروا الشبوط ، فإنه لما ظن أن الضفادع التى تُصاب بعقب المطر ؛ بحيث لا ماء ولا وحل ولا عين ولا شريعة - فإنهم ربما رأوها وسط الدوِّ والدهناء والصمان^(١) - ولم يشك أنها كانت فى السحاب وعلم أنها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأثني ؛ قاس على ذلك الظن السمك ؛ ثم جسرَ فجعل السمك شبوطا . وتلك الضفادع إنما هى شئ يُخلق تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمان وتلك التربة ؛ على مقادير ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابة التى تكون فى رأى العين بين الشكلىين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافد ولا تلاقح ؛ كالضأن والمعز ، وكالفأر والجُرذان ، فليس بالعجب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخلاسى من الدجاج والديكة ؛ وهو الذى تخلق من بين المولدات والهندييات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مسعدة ؛ دجاجة ووُزنَ فيها سبعة عشر رطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الخشوة .

(١) ط : « اللور » موضع « اللو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلامى من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .
ورأينا البيسرى^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يحمى أحسن
وأملح . وهم يسمون^(٢) الماء إذا خالطته الملوحة بيسراً^(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخلامى من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلق بين السلوقى و كلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزئبى
والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الدُّور والحراس . وسنقول فى السَّمع^(٥) والعِساب ؛
وفى غيرهما من الخلق المركب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أولها
سروحمير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإن فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أن
لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُزرى^(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول
علماء العرب .

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزئبى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :
القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماشٍ ويزال وجذعاناً^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعينَ
فتىً من فتیانِ قريشٍ وثقيفٍ أَعْدَارَ عامٍ واحدٍ فأحصوا عشرينَ من قريشٍ ،
وعشرينَ من ثقيفٍ ، وتوَحَّوا المتجاورينَ في الحِلَّةِ والمتقاربينَ في الدُّورِ من
الموقرينَ على النبيذِ ، والمقصورينَ على التناؤمِ ، وأتهمَ أحصوا مثلَ ذلكَ العددِ
وأشبهه أولئكُ في السنِّ مَن لا يذوقُ النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا الماءَ ،
فذكروا أَنَّهُمْ وجدوا بعدَ مرورِ دهرٍ عاقمةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن
لا يشربه قد مات عامتهمُ ، وكانوا قد بلغوا في السنِّ . أما عثمانُ ويزال^(٢)
فكانا من المعمرينَ ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمعَ هذا منهما ، وسنأتُ على هذا
اللبابِ في موضعه من ذكرِ المعمرينَ ، ونمَّيزُ الصديقَ فيه من الكذِّبِ ،
وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما
إذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذِ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشرابِ والإفراطُ في شهوتهِ وشدةُ النَّهمِ .
ويعرض لهم أيضاً إيثارُ المَخْفِسِ^(٣) وحبُّ الصِّرفِ ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذال وجذعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشيء . وفي ل : « الخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس :
الشراب السريع الإمكار .

مما يعرض للنساء ، والإفراط في شهواتهن وشدة الهمة لهن والغيرة عليهن ،
ويحتلمون ، ويحْتَبُونَ ويغتسلون ، ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ ، الذي
له ريح طلع المُحَال (١) .

ويعرض للخصي شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم
أو مال كثير أو جاه عريض ، حتى ربما كان عند مولاه بعض من عسى
أن يتقدم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصى كلفاً بهم وبتعظيمهم ،
ومُغْرماً بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعد الهمة وكرم الشيمة ،

٧٣

فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمال إلى متكا
هذا الأديب الكريم ، والحسب الشريف ، فيزعه من تحت مرفقه ،
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع
المرافق بعيداً ، أو (٢) كان ذلك مما يقوت بعض القوت ، ويفعل ذلك
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك
الموسر وصاحب الجاه أبداً (٣) .

(أقوال في منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرّم بعضهم خصاء الخيل خاصة ، وبعضهم زاد على ذلك حتى
حرّم خصاء البهائم . وقال بعضهم : إذا كان الخصاء إنما اجتلبه فاعله
أو تكلفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » . وهذبت القوله

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وألمه يجوزُ كلَّ ألم .
وقد رأينا إبلَ الصدقة موسومة ، ووسمت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النعم
في الإسلام ، على مثلِ صنيعِها في الجاهليَّة . وقد كانت القصواءُ ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباءُ .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاءُ غيرُ شبيه بالميسم ؛ لأنَّ في الخصاء من شدَّة
الألم ، ومن المثلثة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،
والنقص لموادِّ القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الألية أشبه ،
والسمةُ إنما هي لذعة ، والخصاءُ مجاوزٌ لكلِّ شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الألية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة
من اللحاقِ بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطعُ الألية في جواز
القول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأنَّ الميسم ليس للبعير فيه حظٌّ ، وإنَّما الحظُّ
فيه لربِّ المال ، وقطعُ الألية من شكل الختان ، ومن شكل البُط (٣)
والفصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ،
ومن جنس السكى عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شنة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الخرج . والمبطة : المبيض .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من اللواء في أحد شقي الفم .

(وسم الأبل)

قال الأولون : بل (١) لعمري إنَّ للإبل في السَّماتِ لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشرب بِسماها ولا تُتذاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تُضِلُّ فتُؤوى ؛ وتُصاب في الهواشات (٢) فتُرَدُّ .

قالوا : فإننا لانسألُكم إلَّا عن سماتِ الخيلِ والبغالِ والحميرِ والغنمِ . وبعدُ فكيف نستجيز أن نَعَمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألاَّ يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألاَّ يحتاج [من جميع] ذلك في جميعِ عمره [إلَّا] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النِّعمِ السائمة كالرُّقوم في ثيابِ البزَّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقومُ ومُنعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلَطت ٧٤ أمكنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسَه دونَ المعيشة (٣) والهَضِيمَة .

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالحجَّمةِ وكالشيءِ المصبور ، وقد مُهينا عن إحراقِ الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذَّبوا بعذابِ الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الأليةِ من شكلِ قطعِ العروق ، وصاحبُ الحجَّمةِ يقدرُ أن يرميَ - إن كان به تعلمُ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُئنه عن تعذيبه ، فأ (٤) يردُّ الشيء المصبور من العذابِ مرَّداً بوجه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف ما في ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطة الصعبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلاها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِّث في جميع الحيوانِ حدثاً من نقضٍ أو نقصٍ أو إيلامٍ ، لأنك لا تملك النشأة^(١) ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئُ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لا يحلُّ . وليس لك في حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبر^(٢) وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، ممَّا لم يكن مدفوعاً^(٣) عندَ بعضهم ، إلا أن يكون نَهْيُ ذلك البعضِ من جماعتهم^(٤) ، في طريق الخلافِ والردِّ والمفارقة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكافئُ يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب في ذلك معروف^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنَّه أبيض من طريق التبعُّدِ والحنَّة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القملَ والبراغيثَ والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالقُ الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مرفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلَه أسوَّغَ في العقل مع الأذى ، من ذبح
البييمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى^(١) حكم الله تعالى فيه
بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمور وبحكم المختلف والمتَّفِق ،
والقليل من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطواع الولد .
والجواب الماضي إنما هو^(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول
المنظَّم . وأكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعضُ الملحدِّين من المعاندين ، أو بعضُ
الموحدِّين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعنَ في ملكِ الخصىِّ وبيعه ٧٥
وابتباعه ، ويذكرون الخصىَّ^(٣) الذى كان المقوقسَ عظيمَ القبطِ أهداه إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خصىً بعد أن عرفه وأحاط علمه
بأنه خصىٌّ ، وأتم تزعمون أن الخصىَّ حرام ، وأن من اشترى من الخاصى
خصياً ثم زاد على قيمته وهو فعل ، فقد أعان على الخصىِّ وحثَّ عليه ،
ورغب فيه ، وأنه من أفحش الظلم وأشدَّ القسوة ، وزعمتم أن من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريك الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القمار^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقتال الديوك ، وأصحاب المزارحات^(٢) وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشَّطر ، لعلبة الرياء والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخُلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة لهذه العلة ، والبائع يزيد فى السَّوم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قبِل له من المقوقس ، كما قبِل مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهمم - فهَمَّك اللهُ تعالى - ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفقُّ ، وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أن يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنَّه ليس فى الحديث أنَّه قبِله منه بعد أن علم أنَّه خصىُّ ، وعلى أنَّ قبول الهدية خلافُ الابتىاع ؛ لأنَّ بائعَ الخصيِّ إنما يحرم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفضل سومه بالخصي . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيلُ البىع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المزارجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنما هديّة الخصى كهدية الثوب
والعِطر ، والدابّة والفاكهة . ولأنّ الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه ،
بل لا يحلُّ طرده ونفيه ، وعتقه جائز ، وجواز العتق يوجب الملك . ولو باعه
المالك على غير طلب الزيادة ، أو لو تاب من الخصاص أو استحلّه مما أتى ٧٦
إليه ، لمّا حرم على الخاصى نفسه استخدامه . والخصى مالٌ ومملك ،
واستخدامه حسنٌ جميل ؛ ولأنّ خصاءه إيّاه لا يعتقه عليه ، ولا يُزيل
عنه ملكه إلا بمثل ما وجب به ملكه (١) .

وأخرى : أنّ في قبول هديّة ذلك الملك ، وتلقّي كرامته بالإكرام
تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضاً : أنّ زنباعاً الجذامى ، خصى عبداً له ، وأنّ
النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشيء وليس القول فيه يقع في نسق القول
في الخصى ، وفي الخلق المركّب ، ولكن إذ قد أجبنا في مسألة كلاميّة من
مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا
لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أنّ العرب لم يسموا حروب أيّام
الفجور بالفجور (٢) وقريش خاصّة ، إلا أنّ القتال في البلد الحرام ، في الشهر
الحرام كان عندهم فجوراً ، وتلك حروبٌ قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالفجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ،
وقال : « شَهِدْتُ الفِجَارَ فَكُنْتُ أُبْلَى عَلَى عَمَوْتِي » .

وجوابنا في ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحرم من
قريشٍ وكِنَانَةَ ، بجريرة البرّاض بن قيس ، في قتله عروة الرّحّال ، وقد
علموا أنّهم يُطالِبون مَنْ لم يَجْرٍ ومن لم يعاون ، وأنَّ البرّاض بن قيس
كان قبلَ ذلك خليعاً مطروداً ، فأتوهم إلى حرمهم يُلزمونهم ذنبَ غيرهم ،
فدافعوا عن أنفسهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريتهم ، والفاجر لا يكون
المسعى عليه ، ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام ذلك
الموقف ، وبه نُصروا كما نُصرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ ، به عليه
الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموقِّع
للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِن الخصىِّ ومساويه ^(١) .
الخصيُّ يَنْكِحُ ويتَّخَذُ الجورايَ ويشْتدُّ شغفه بالنساء ، وشغفهنَّ به ،
وهو وإن كان محبوبَ العضو فإنه قد بقي له ما عسى أن يكون فيه من ذلك
ما هو أعجبُ إليهنَّ . وقد يحتملُ ويخرجُ منه عند الوطء ماءً ، ولكنّه قليلٌ ،
متغيّرُ الريح ، رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقةً ، ثم لا يمنعُه من المعاودة الماءُ
الذى يخرج منه إذ كان قليل المقدار ^(٢) لا يخرجُه من القوّة إلى الضعف ،

٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذي يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخثر ، وأكثر ، وأحد ربحا ، وأصح جوهرأ .

والخصيُّ يجتمع فيه أمنيَّةُ المرأة ، وذلك أنَّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة ، بطيء الإفاقة ، كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر ، وخفيف العُجز ، والخصيُّ هو السريع الإفاقة ، البطيء الإراقة ، المأمونُ الإلقاح ، فتقيمُ المرأةُ معه ، وهي آمنة العار الأكبر ، فهذا أشدُّ لتوفير لذَّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الحِصيان ، وحقرن العبيد ، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنَّ ، وتعظيمُ البعول ، والتصنعُ لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكافُف الحجل ، ظهر كلُّ شيءٍ في قوى طبائعهنَّ وشهواتهنَّ ، فأمكنها النَّخير^(١) والصِّيَّاح ، وأن تكون مرَّةً من فوق ، ومرَّةً من أسفل ، وسمحت النفسُ بمكنونها ، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجد في النساء من تؤثر النساء ، وتجد فيهنَّ من تؤثر الرجال ، وتجد فيهنَّ من تؤثر الحِصيان ، وتجد فيهنَّ من تجمع ولا تفرق ، وتعم ولا تخصُّ ، وكذلك شأن الرجال في الرجال ، وفي النساء والحِصيان . فالمرأة تنازع إلى الخصى لأنَّ أمره أسترُّ وعاقبته أسلم ، وتحرص عليه لأنَّه ممنوعٌ منها ، ولأنَّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذبٌ حرصٍ كما يُحرص على الممنوع ، وجاذبٌ آمنٍ كما يُرغب في السلامة . وقال الأصمعيُّ : قال يونس ابن عبَّيد^(٢) : لو أخذنا بالجزعِ لصبرنا^(٣) . قال الشاعر :

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبَّيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى في عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبَّيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعتة يقول : قولوا له إني نائم - يريد سنام - فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك !

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلْفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمُنًا^(١)
والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لا يُقَدَّرُ على الاحتجاجِ منه ، والاحتراسُ من
خُدَعِهِ ، إِلَّا كَلُّ مَبْرُزٍ فِي الْفِطْنَةِ وَمَتْمَهَّلٌ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلِ التَّجَارِبِ ،
فَاضِلِ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ . وَبُنْسُ الشَّيْءِ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا :
صَاحِبِ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكُمْ أَعْظَمُ حَاجَةٌ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبْرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَادَفَ مِنَ
السَّمَاعِ قَلَّةَ تَجْرِبَةٍ ، فَإِنَّ قَرْنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجْرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفِظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ
الْخَبْرَ السَّابِقُ إِلَى مَسْتَقَرِّهِ دُخُولًا سَهْلًا ، وَصَادَفَ مَوْضِعًا وَطِينًا ، وَطَبِيعَةً
قَابِلَةً ، وَنَفْسًا سَاكِنَةً ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسُوخًا لَاحِظَةً
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفِتْيَانِ ، فِي وَقْتِ
الْغَرَارَةِ ، وَعِنْدَ غَلْبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَهَنَّاكَ سُكْرُ
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُمْ بِالْغُلَامِ الْغَرِيرِ
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغُلَامُ قَتَى أَبَدًا حَتَّى يَصَادِقَ قَتَى [وَإِلَّا فَهُوَ تَكْشِشٌ ،
والتكششُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُؤَدِّبْهُ قَتَى وَلَمْ يُخْرِجْهُ] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،
بِأَسْرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغُلَامِ أَدْنَى هَوَى فِي

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو ما أثبت . وفي عيون الأخبار

٣ : ٢ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت

للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كَمْ مِنْ دَنَى لَهَا قَدْ صرَتْ أَتْبَعَهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَمَا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوة^(١) ، وأدنى داعية إلى المنالة^(٢) . وكذلك إذا خلت العجوز
المدرية^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تحلبها . وأنشدنا :

فأتتها طبّةُ عالمةٌ تخط الجدد بأصنافِ اللعبِ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتناهى عند سوراتِ الغضبِ]

وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحيبِ الأوَّلِ
كم منزلٍ في الأرضِ يألّفه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوَّلِ منزلِ

وقال مجنون بني عامر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

(أثر التكرار في خالق الإنسان)

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طول وقوع البصر على
الإنسان الذي في طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله . وطول التذانى ،
وكثرة الرؤية هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الحسن : لم زنتِ بعبدك ولم
تزنى بجر^(٥) ، وما أغراك به ؟ قالت : طولُ السواد ، وقربُ الوساد .
ولو أن أقبح الناس وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدرية » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم تزن بجر » والوجه ما كتبه . . وابنة الحسن هي هند . ولها أخبار

كثيرة في البيان .

نفساً، وأوضعهم حسباً، قال لامرأةٍ قد تمكَّن من كلامِها، ومكنته من سَمِعِها :
وَاللَّهِ يَا مَوْلَاتِي وَسَيِّدَتِي ، لَقَدْ أَسْهَرْتَ لَيْلِي ، وَأَرْقَيْتِ عَيْنِي ، وَشَغَلْتِنِي عَنْ
مُهِمِّ أَمْرِي ، فَمَا أَعْقِلُ أَهْلًا ، وَلَا مَالًا ، وَلَا وَلَدًا ؛ لِنَقْضِ طِبَاعِهَا ، وَلَفْسَخِ
عَقْدِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ أَرْبَعَ الْخَلْقِ جِالًا ، وَأَكْلَهُمْ كَمَالًا ، وَأَمْلَحَهُمْ مِلْحًا .
فَإِنْ تَهَيَّأَ مَعِ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْمُتَعَشِّقِ ، أَنْ تَدْمَعَ عَيْنُهُ ، احتاجت هذه المرأة
أن يكون معها وَرَعٌ أُمَّ الدرداء ، ومُعَاذَةُ العَدْوِيَّة ، وَرَابِعَةُ القَيْسِيَّة ،
وَالشَّجَاءُ (١) الْخَارِجِيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإِذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « اضْرِبُوهُنَّ
بِالْعُرَى » لِأَنَّ الثِّيَابَ هِيَ الْمُدْعَاةُ إِلَى الْخُرُوجِ فِي الْأَعْرَاسِ ، وَالْقِيَامِ فِي
الْمَنَاحَاتِ ، وَالظُّهُورِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَمَتَى كَثُرَ خُرُوجُهَا لَمْ يَعْدَمِهَا أَنْ تَرَى مِنْ
هُوَ مِنْ شَكْلِ طَبْعِهَا . وَلَوْ كَانَتْ بَعْلُهَا أُمَّ حَسَنًا ، وَالَّذِي رَأَتْ أَنْقَصَ حَسَنًا ،
لَكَانَ مَالًا تَمْلِكُهُ ، أَطْرَفَ مِمَّا تَمْلِكُهُ ، وَلَسَكَانَ مَا لَمْ تَنْلَهُ ، وَلَمْ تَسْتَكْبِرْ
مِنْهُ ، أَشَدَّ لَهَا اشْتِغَالًا وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَابًا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلِلِّعِينِ مَلْهَى بِالْتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ (٢)
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ : لِأَنَّ (٣) يَرَى حَرَمَتِي أَلْفُ رَجُلٍ عَلَى حَالٍ تَكْشَفُ

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأمالي

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقْدُ » بدل « لم يقْدُ » و « كافتِيَادِ » موضع « كافتِيَادِ » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهي لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى حُرْمَتِي رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعها بصرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان الذي رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنى ، فإذا انقضى ما هو فيه من المني^(١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن عليه من [فقدها إلاَّ مثلُ] فقد ما رآه في النوم ، أو مثَّلته له الأمانى^(٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة^(٣) : لو زوجتَ بناتِكَ ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وضمٍّ إذا لم يكنَّ غايات !! قال : كلا ، إنِّي أُجِيعُهُنَّ فلا يَأْشُرْنَ ، وأُعْرِيَهُنَّ فلا يظهَرْنَ^(٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبي صلى الله عليه وسلم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال] : « الصَّوْمُ وَجَاءَ » . وقال عمر : استعِينُوا عليهنَّ بالعُرَى . وقد جاء [في الحديث] : « وفروا أشعارهن فإنَّ [ترك الشعر مجفرة^(٥)] .

(١) ط : « . . . كالحلصة إذ كان ذلك يقضى ما فيه من المني » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهي على الصواب في ل . ولعقيل أخبار طريفة في الأغاني ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يَأْثُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يظهَرْنَ » بدل « يظهَرْنَ » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يمتى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضوع الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأول الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيت غيرَ خصيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول (١) ، ويتمشى مع الشطّار .

وقد كان في قطيعة الربيعِ خصيٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملكِ يمينه ، وفي حرّمه من بنتٍ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخلص شيئاً دون شيء ، فأشرفَ ذاتَ يومٍ على مرَبَدٍ له ، وفي المرَبَدِ غمٌّ صفايا ، وقد شدَّ يدي شاةٍ وركبها من مؤخرها يكومُها ، فلماً أبصره برِقٌ وبَعِلٌ (٢) وسُقِطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوٌّ له (٣) لَمَّا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبه ، فكيف وإِنَّمَا عاينَ أَلذَى عاينَ فيمن كان يخلُفُه في نسائه من حرّمه وملكِ يمينه . فبينما الرجلُ وهو واجم [حزينٌ (٤)] ، وهو ينظر (٥) إليه [وقد تحرَّقَ عليه غيظاً] إذ رَفَعَ الخصى رأسه ، فلماً أثبتَ مولاهُ مرَّ مُسرِعاً نحوَ بابِ الدارِ ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى البابِ منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضوعُ الذي رآه منه

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط «بعد» ولا وجه له . . وأما (بعل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : «لعدوه» .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : «قد برق» .

(٥) ط : «ينظر» وهو تحريف .

موضوعاً لا يُصعد [إليه] ، فحدث لشقائه أمرٌ لم يجد مولاه [معه] ^(١) بُدًّا من صُعوده ، فلبث الحصى ساعةً ينتفض من حمى كِبته ثم فاذ ، ولم يُمس إلا وهو في القبر .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالחסرة التي نالتهن ، وبالأسف الذي دخلهن ، أبغضوا الفحول بأشد من تباغض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس بين الحاسدِ الباغى وبين أصحاب النعم المتظاهرة ، ولا بين الماشي المعنى وبين ٨٠ راكب الهملاج الفاره ، ولا بين ملوك صاروا سُوقَةً ، وبين سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الجيران والمتشاكلين في الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الحصيان للفحول ^(٢) .

وبغض الحصى للفحل من شكل بغض الحاسدِ لذى النعمة ، وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنيات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجال كل فن وضرب من الناس ، ضرب من النسك ، إذ لا بد للأحدهم من النزوع ، ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الحصى غزو الروم ، لما أن كانوا هم الذين خصوهم ، ولزوم أذنة والرباط بطرسوس وأشباهاها . فظن عند ذلك أهل الفراسة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصوهم ، كانوا مغناظين عليهم ^(٣) ، وكانت

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف »

و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلبّة إلى التشفّي منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفّي شدّة الاعترام على قتلهم ، وعلى الإنفاق في كلِّ شيء يبلغ منهم . ونسكُ الخراسانيّ أن يُحجَّ : ونسكُ النبوي^(١) أن يدع الديوان . ونسكُ المغنيّ : أن يُكثر التسييح وهو يشربُ النبيذ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في جماعة . ونسكُ الرفضيّ : إظهارُ ترك النبيذ . ونسكُ السّواديّ تركُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهوديّ : إقامة السبت . ونسكُ المتكلمّ : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي ، وأن يرمي الناسَ بالجبر ، أو بالتعطيل ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أن ذلك ليس إلّا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نطفًا ، أو مرتابًا ، أو مجتئحًا على بليّة^(٢) ، لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلّا للعزّ الذي في قلبه ، ولو كان هناك من ذلّ الرّيبة شيء لقطعه ذلك [عن]^(٣) التعرّض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إن حرّكهم له أن يتحرّكوا . ولم نجد في المتكلمّين أنطفَ ولا أكثرَ عيوبًا ، ممّن يرمي خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجّاز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجّاز ، وهو محمد بن عمرو^(٤) ، يتعشق جاريةً

(١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبنواوى وبنوى محرّكة » وفي رسائل الجاحظ ١٥ ساسي مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط :

« الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفى ل : « محتجنا » بدل « محتجنا » .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جَعْفَرٍ يُقَالُ لَهَا طُغْيَانٌ ، وَكَانَ لَهَا خَصِيٌّ يُحْفَظُهَا إِذَا أَرَادَتْ بَيْوتَ الْمُغْتَنِينَ ،
وَكَانَ الْخَصِيُّ أَشَدَّ عَشْقًا لَهَا مِنَ الْجَمَّازِ ، وَكَانَ قَدْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامِهَا ، ٨١
وَالدَّنُوُّ مِنْهَا ، فَقَالَ الْجَمَّازُ [وَكَانَ اسْمُ الْخَادِمِ سِنَانًا] :

مَا لِلْمَقِيَّتِ سِنَانٍ وَلِلطَّبَّاءِ الْمِلاحِ
لَيْسَ زَانٍ خَصِيٌّ غَازٍ بَعِيرٍ سَلاحِ (١)

وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ وَفِيهَا :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لَطْبِي يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ
مَنْ أَجَلِ ذَاكَ سِنَانٌ إِذَا رَأَى يَسْبُهُ
هَبَّهُ أَجَابَ سِنَانًا يَنْيَكُهُ أَيْنَ زُبُّهُ

وَقَالَ أَيْضًا فِيهِمَا :

ظِيُّ سِنَانٍ شَرِيكِي فِيهِ فَيْسُ الشَّرِيكِ
فَلَا يَنْيَكُ سِنَانٌ وَلَا يَدْعُنَا نَيْكُ

(مَا قِيلَ مِنَ الشَّمْرِ فِي الْخِصَاءِ)

وَقَالَ الْبَاخْرَزِيُّ (٢) يَذْكُرُ مَحَاسِنَ خِصَالِ الْخِصْيَانِ :

وَنِسَاءَ الْمَطْمِنِ مُقِيمٍ وَرِجَالَ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ

= وَفِي أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ . وَأَعْجَبَ بِهِ الْمُتَوَكَّلُ وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَأَخَذَهَا
وَأَخَذَتْ فَرِحًا بِهَا . تَارِيخُ بَغْدَادَ ١١٤٣ .

(١) ط : « لَيْسَ خَصِيٌّ بَزَانٍ » وَفِي ل : « أَلَيْسَ زَانٌ خَصِيٌّ » وَرَأَيْتُ الصَّوَابَ فِيهَا كَتَبْتُ .

وَأَنْظَرَ الْمَحَاسِنَ وَالْمَسَاوِي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) مَاعِدَالُ وَالْأَمْبُرُوزِيَانَا : « الْمَاخُورِيُّ » .

وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهَاء تَخْصِي حَمَارَهَا بِنِي مِنْ بَغْيٍ خَيْرًا إِلَيْهَا الْجَلَامِدُ^(١)]

وقال مزرد بن ضرار :

[فَجَاءَتْ كَخَاصِي الْعَيْرِ لَمْ تَحْمَلْ عَاجَةً وَلَا جَاجَةً مِنْهَا تَلُوْحٌ عَلَى وَشْمٍ^(٢)

وقال عمرو الخاركي^(٣)] :

إِذَا لَامَ عَلَى الْمَرْدِ نَصِيحٌ زَادَنِي حَرْصًا

وَلَا وَاللَّهِ مَا أَقْلِعُ مَا عَمَّرْتُ أَوْ أَخْصِي

وقال آخر^(٤) :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقٍ إِذَا بَلَغْتَ بِي رَكْبَ النِّسَاءِ

أَجْبِنَا فِي الْكَرْهِيَةِ حِينَ نَلْقَى وَمَا تَنْفَكُ تُنْعِظُ فِي الْخَلَاءِ

فَلَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبَوْلُ عُوجِلَ بِالْخِصَاءِ

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الحاجة الخرزة التي لا قيمة لها . غيره : ما رأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء مستحييا وخبثا أيضا . والعاجة : الوقف من العاج يجعله المرأة في يدها » . والبيت في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحمل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميداني (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في (خارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر

في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قحذمُ ابنُ واهِصَةَ الخُصِي يرجو المناكحَ في بني الجارودِ (١)
ومن انتكاس الدهرِ أن زوجتَها ولكلِّ دهرٍ عَثرةٌ بجُدودِ (٢)
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم حياً لكان خصاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدبُ
فسقط في بئرٍ فذهبت حدبته وصار (٣) آدرَ فقيل له : كيف تجدك (٤) ؟
[فقال] : أَلذِي جَاءَ شَرُّهُ من أَلَّذِي ذَهَبَ !

وأبو الحسن عن بعض رجاله (٥) قال : خرج معاويةٌ ذاتَ يومٍ يمشي
ومعه خَصِيٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنةِ بجدلِ (٦) وهي أمُّ يزيد ،
فاستترت منه فقال : أتستترين منه ، وإِنَّمَا هو مثلُ المرأةِ ؟ قالت :
أُتْرَى أنَّ المثلَّةَ به تُحِلُّ ما حرَّم اللهُ تعالى ؟ !

ذكر ما جاء في خصاء الدوابِّ

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبيِّ قال : قرأت كتابَ عمر رضي اللهُ

(١) ط : « مخدم » وهما تحريف ما أثبت من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو
« وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ،
وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ما أثبت . واجد : الحظ .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بجدل » وإِنَّمَا هو « بجدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة (٣) :

٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أذُناب الخيل وأعرافها ، وعن
خصائها ، ويأمره أن يُجْرَى من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .
وسُفيان الثوري عن عاصم بن عبد الله بن عمر ^(١) أن عمر رضي الله تعالى
عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإِمْماء إلا في الذكور .
وشريك بن عبد الله ، قال : أخبرني إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم
النخعي أن عمر رضي الله تعالى عنه نهى عن خِصَاء الخيل .

وسُفيان الثوري عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه لبعض عماله : لا تُجْرِينَ فرساً إلا من المائتين ،
ولا تُصَيِّنَ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكره خِصَاء الذكور
من الإبل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان
يكره الخِصَاء ويقول : لا تقطعوا نامية خلق الله تعالى .

وعبد الله وأبو بكر أبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أن تُخَصَّى ذكور الخيل ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، ويقول :
فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إلا بالذكور .

(١) في ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله
ابن عمر » . وعاصم الذي يروي عنه الثوري هو عاصم بن سليمان الأحول البصري
المثوف سنة اثنتين - أو ثلاث - وأربعين ومائة . كما في تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ :
٢٤٣ . في الإسناد نظر .

ومحمد بن أبي ذئب^(١) قال : سألت الزُّهريَّ : هل بخصاء البهائم بأس ؟
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قال
الزُّهريُّ : والخصاء صبرٌ شديد .

وأبو جعفر الرازيُّ قال : حدَّثنا الربيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك
في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْهَمٌ فَلْيَغَيِّرَنَّ اللَّهُ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس نحوه .
أبو بكر الهذليُّ قال : سألتُ الحسنَ عن خصاء الدواب فقال :
تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصى الرجال .

أبو بكر الهذليُّ عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْهَمٌ فَلْيَغَيِّرَنَّ
خَلَقَ اللَّهُ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ
[عكرمة] ، هو دين الله .

نصر بن طريف قال : حدَّثنا قتادة عن عكرمة في قوله تعالى :
﴿ فَلْيَغَيِّرَنَّ اللَّهُ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهدًا فقال : كذب
هو دين الله .

فمن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ
لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناس لا يضعون هذه الكلمة

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد في
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مِّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مِّن له أن يقول [.
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنَّما يعني الحِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالة على
شيءٍ دون شيء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى
شيءٍ بعينه (١) إلاَّ أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ
الآية ، أو يكون جبريلُ عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمم (٢) ولا ينوي ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛
وإنَّما الدلالةُ [في] بنية الكلام نفسه ، فصورة (٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذي يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علواً كبيراً .

أبو جرير (٤) عن عمار بن أبي عمار (٥) أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ
تعالى : ﴿ وَلَا تُرْسِمُهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قَالَ : هُوَ الْحِصَاءُ .
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِيُّ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ عن عبادة بن نسي ، عن
إبراهيم بن محيرز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الحِصْيَانُ ؛ فَإِنَّهَا أَخْفَى لِلسُّكْمِيِّينَ
وَالطَّلَائِعِ ، وَأَبْقَى عَلَى الْجَهْدِ .

(١) ط : « بعيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم يرَ بأساً
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيوبَ عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تركت الفحولةُ لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بغيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء

البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

٨٤

(أقوال في النتاج للمركب)

ونصّل هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق الأركب [وفي
تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب ، وجمعه
عسبارو] . قال الكميت :

وتجمّع المتفرّقون من الفراعيل والعساير^(١)
برميهم بأنهم أخلاطٌ ومعلّهجون .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السّمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السّمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعني العساير - جمع العسبر
(كسفنذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع
من الفسبان » يعني الذكر من الضباع .

كالحَيَّةِ لا تعرف العِللَ ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموتُ إلا بِعَرَضٍ
يَعْرِضُ لها . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لا يَعْدُو شَيْءٌ كَعَدُو السَّمْعِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعصِ العواذِلَ وارمِ اللَّيْلَ في عَرَضِ

بذى شَيْبِ يُقاسِي لَيْلَهُ حَبِيبًا

كالسَّمْعِ لم يَنْقُبِ البَيْطَارَ سِرَّتَهُ ولم يَدِجْهُ ولم يَغْمِزْ لَهُ عَصَبًا^(١)

وقال ابن كُنَاسة^(٢) يصف فرسا :

كالعقَابِ الطُّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّ

لٌ وقد صَوَّبَتْ على عِيسار^(٣)

وقال سُوْر الذئبِ^(٤) :

هو سَمِعٌ إذا تَمَطَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْثُهَا عِيسَارٌ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الهاربِ من الطالبِ الجادِّ ، فهو أحثُّ
للطالبِ ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ في معنى من يحثُّ الطالبِ ،
إذ صار إفراط سرعته سببا لإفراط طلب العقاب .

وقال تأبط شراً^(٥) ، [أو أبو محرز خلف بن حيَّان الأحمري] :

-
- (١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .
وانظر معجم المرزباني ٣٤١ .
- (٢) ط : « أبو كُنَاسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ،
١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .
- (٣) ط : « والعقاب » .
- (٤) البيت ساقط من ل .
- (٥) ط : « ابن أخت تأبط شرا » . . والقصيد في حاسة أبي تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بِالْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَعْنُو فِسْمِعٌ أَزَلٌّ
وإنَّما قالَ أَزَلٌّ وجعلته عاديا ووصفه بذلك ، لأنه ابن الذئب .
وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عسبارة^(١)

وقال في موضع آخر :

كأن منها طرفه استعاره^(٢)

وقال آخر :

تلقى^(٣) بها السَّمْعَ الأَزَلَّ الأَطْلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أنَّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَيْسِمُ ، ورووا لبشارِ بنِ بُرْدٍ
في دَيْسِمِ العَنْزِيِّ أَنَّهُ قال :

أدَيْسِمُ يا ابنَ الذئبِ مِنْ نسلِ زارعٍ

أَتَرَوِي هِجائِي سادراً غَيْرَ مُقْصِرٍ

وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

(زعم لأرسطو في النتاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أنَّ أصنافاً أُخَرَ من السباع المتزاوجات

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحمة ، كما يظهر

أن هناك كلاماً سابقاً بعد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد »

وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ن : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلتقي » .

٨٥ المتلاقيحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتائج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتتولد أيضا كلاب سلوقية من ثعالب وكلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمّى باليونانية طاغريس (١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا]
أن نتاج الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن (٢) ولا يؤلف .

(تلاقيح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين ، وأثم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البراري ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاذ الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البراري ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان (٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ ول . وفي ط : « طاعويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلاً أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بياناً من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما ذكر =

أيا باكي الأطلالِ في رَسْمِ دَمْنَةٍ
 تَرُوْدُ بِهَا عَيْنُ الْمَهَا وَالْجَاذِرُ
 وَعَانَاتُ جَوَالٍ وَهَيْقُ سَفْنَجٍ وَسِنْدَاوَةٌ فَضْفَاضَةٌ وَحَضَّاجِرٌ (١)
 وَسَمْعٌ خَفِيٌّ الرَّزُّ ثَلْبٌ وَدَوْبَلٌ
 وَثَرْمَلَةٌ تَعْتَادُهَا وَعَسَابِرٌ (٢)

وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلد على نفسه في الكتب شهاداتٍ لا يحقُّها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادَّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السَّمْعَ والعِيسَارَ ، فليس في ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدبنا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرْهانا .

(أولاد السَّعْلَةِ)

وللناس في هذا الضَّرْبِ ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدَّعون من أولاد السَّعَالِي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن عمرو ، وكما يروى أبو زيد النحويُّ عن السَّعْلَةِ

= من أيام العِيسَا « البيان » ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديميري . والفضفاضة : اللحيمة الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبغ أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المصيب .

التي أقامت في بني تميم حتى وُلدت فيهم ، فلَمَّا رأتُ برقاً يلمعُ من شقِّ بلاد السَّعالي ، حنَّت وطارَت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رأى برقًا فأوضعَ فوقَ بَكرٍ فلا بكٍ ما أسألَ وما أغاماً (٢)
٨٦ وأنشدني أن الجنَّ طرَقوا بعضهم فقال (٣) :

أتوا ناري فقلتُ منونَ أتمُّ فقالوا الجنُّ قلتُ عموا ظلاماً
فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهم زعيمٌ نخسُدُ الإنسَ الطَّعاما
ولم أعِب الرواية ، وإِنَّمَا عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانها . فما أكثرَ
من يروى هذا الضربَ على التععُّبِ منه ، وعلى أن يجعلَ الرواية [له]
سبباً لتعريفِ النَّاسِ حقَّ ذلك من باطله ، وأبو زيدٍ وأشباهه مأمونون
على النَّاسِ ؛ إلا أن كلَّ من لم يكن متكلِّماً حاذقاً ، وكان عند العلماء
قدوةً وإماماً ، فما أقربَ إفساده لهم من إفسادِ المتعمِّدِ لإفسادهم !

وأنشدوا في تثبيتِ أولاد السَّعلاة :

تقول جمع من بُوانٍ ووَتيدٌ وحسنٌ أن كَلَفْتَنِي مَا أَجِدُ (٤)
وَلَمْ تَقُلْ جِيءَ بِأَبَانٍ أَوْ أَحَدُ (٥) أَوْ وَلِدِ السَّعَلَةِ أَوْ جِرِوِ الأَسَدِ
أَوْ مَلِكِ الأَعْجَامِ مَأْسُوراً بِقِدِّ (٦)

-
- (١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .
(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .
(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبِّي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .
(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتنى . . . » ، وفي كليهما « ما لم أجد » وهو تحريف .
(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .
(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال : سلوم لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم إذا لزرناك ولو بيلم

وقال آخر (١) :

يا قاتلَ الله بَنِي السَّعْلَةِ عمراً وقابوساً شرارَ النَّاتِ

(ما زعموا في جرهم)

وذكروا أنَّ جرهماً كان من نيتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه في السماء أهبَّطه إلى الأرضِ في صورةِ رجل ، وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزهرة ، وهي أناهيد (٢) ما كان ، فلما عصى الله تعالى بعضُ الملائكة وأهبَّطه إلى الأرضِ في صورةِ رجل ، تزوج أمَّ جرهم فولدت له جرهما ، ولذلك قال شاعرهم (٣) :

لاهمَّ إنَّ جرهما عبادُ كما الناس طرفٌ وهمَّ تِلادُ كما (٤)

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل (٥) كانت بلقيس ملكة

(١) هو علباء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى ببدله في الأمالي ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النَّاتِ

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، كما في شرح الأنباري للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدال والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري (١) من
الملائكة . ولذلك (٢) لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً
ينادى : ياذا القرنين ، فقال : أفرعتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء
الملائكة ؟ .

وروى المختار (٣) بن أبي عبيد أن عائياً كان إذا ذكر ذا القرنين
٨٧ قال : ذلك الملك الأمرط .

(ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى :
﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنيات إنما تعرض
لصرع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد (٤) ، وكذلك رجال
الجن نساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ،
ونسأؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال
تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنُّوا إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ . فلو كان الجان لا يفتن

(١) في ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قبرى » .
و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عبرى » .
(٢) ط والأمروزيانا « وكذلك » .
(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثأرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه
تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .
(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .

الْأَدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قطُّ ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى
هذا القول .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أنَّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشَّقِّ والإنسان . ويزعمون أنَّ خلقاً
من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشَّقِّ ، ويأجوج ومأجوج .
وذكروا عن الواق واق والدوال باي (١) أنَّهم نتاجُ ما بين بعض النَّباتِ والحيوان .
وذكروا أنَّ أُمَّةً كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ؛
وإيَّاهم عنوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء :
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالماً
وظالماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ - أو خلفٌ - في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طول
عمر الحَيَّة :

أزْقَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَشَّى حَسِبْتَ وَرَسَاخَالَطَ الْبِرْنَآ (٢)
خَالَطَهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاهُ الْخَوَاةُ أَسْتَنَّا (٣)

قال : وكان يقال لتلك الأُمَّة مهنا (٤) .

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال باي » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به . وقيل : صنف من السكرم . كذا
في المصباح . والبرنأ : الخناء .

(٣) ط : « إذا أتى إدا الخداة استنا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « مهنا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس في بدء الخلق)

وزعم المجوس أن الناس من ولد مهنة ومهينة ، وأمهات تولدا فيما بين
أرحام الأرضيين ، ونظفتين ابتدرتا^(١) من عيني ابن هُرْمُز حين قتله هرمز .
وحاقات أصحاب الاثنتين كثيرة في هذا الباب . ولولا أنني أحييتُ أن تسمع
نوعا من الكلام ، ومبلغ الرأي ، لتحدثتُ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما
ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنه رأى بالسكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال
الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأمه كانوا لا يشكُّون أن إبليس
جدُّه من قبل أمهاته . وسنقولُ في ذلك بالذي يجبُ إن شاء الله تعالى . وصلته
هذا الكلام تجيء بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ قلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما أَلَفَ الإنسانُ ،
واستوحش من السبع ، وكرِه الغياض ، وأَلَفَ الدُّور ، واستوحش من
البراري وجانب القفار ، وأَلَفَ المجالسَ والديار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له
ويصادقه ويكاتبه ويظلمه على أسراره . شمار القلوب ٥٧ .

في الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوان ، وكَلِبَ على النَّاسِ . نعمٌ
حَتَّى رُبَّمَا كَلِبَ وَوَثِبَ على صاحبه وكَلِبَ على أهله . وقد ذكر ذلك
طرفة فقال :

كُنْتُ لَنَا وَالذُّهُورَ آوِنَةً تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقد تَرَبَّبَهُ (١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلًّا عَلَيْهِ يَوْمًا يُفْرِفِرُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَدْتَهِسُ

وقال حاجب بن دينار (٢) المازني في مثل ذلك :

وكم من عدوٍّ قد أعنتمُ عليكمُ بَمَالٍ وَسُاطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبُ رَابَهُ
بِأَحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وقال عوف بن الأحوص (٣) :

فإني وقيساً كالمسمنِ كَلْبِهِ مُخَدِّشُهُ أَنْيَابُهُ وَأَطَافِرُهُ

وأنشد ابن الأعرابي لبعضهم (٤) :

وَهُمْ سَمَّوْا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضَهُمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وفي المثل (٥) : « سَمَّنَ كَلْبِكَ يَا كُكْلُكَ » .

(١) ط : « يرييه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو

قيس بن زدير . والرواية في مجمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « فخدشه

أنيابه وأطافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن فكتبت إليه امرأته (١) :

أتهدي لى القيرطاس وألخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين
إذا غبت لم تذكر صديقاً وإن تقم فأنت على ما فى يدك ضنين
فأنت ككلب السوء فى جوع أهله فيهنزل أهل الكلب وهو سمين
وفى المثل : « سمن كلب فى جوع أهله » ، وذلك أنه عند السواف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للتوق ، [يأكل الجيف فيسمن (٤)] .
وعلى أنه حارسٌ محترسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاء من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن ينذرهم بموضع السارق ،
٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان المبيت . [وهو أسرقٌ من كل سارق ،
وأدومٌ جنانيةٌ من ذلك المبيت] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،
قولُ الشاعر :

أفنى أن سرى كلبٌ فيئت جلةً وجبجبةً للوطب ليلى تطلق (٦)

- (١) الخبر والأبيات فى أمالى القتالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب :
الموتان فى الإبل .
(٣) أخذجت الناقة : أتت بولد ناقص .
(٤) زدها ليتم الكلام ، اعتماداً على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .
(٥) فى الأصل : « لينبهم » ولم يمهّد تعدية هذا الفعل بعل . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .
(٦) ط : « أخى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت
من ل واللسان (جبب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجللة ، بالضم :
وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكثر . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما :
الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب
البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ،
فهو أبى ما يكون .

فهو سَرَّاقٌ ، وصاحب بيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاسِ . ألا إنَّه يجمعُ سرقةَ الليلِ مع سرقةِ النَّهارِ ، ثم لا تجده أبداً يمشى في خزانةٍ ، أو مطبخٍ ، أو عَرَصَةِ دارٍ ، أو في طريقٍ ، أو في بَراريٍّ ، أو في ظهيرِ جَبَلٍ ، أو في بطنِ وادٍ ، إلاَّ وخطمه في الأرضِ يتشمَّم ويستروح ، وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَاءً^(١) ودَوِيَّةً ملساءً ، أو صخرَةً خَلقاءً ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتَّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلاَّ اشمَّ استه ، ولا يتشمَّم غيرها منه ، ولا تراه يُرمى بحجرٍ أيضاً أبداً إلاَّ رجع إليه فعضَّ عليه ؛ لأنَّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئاً رموا به [إليه] صار ينسى لِفِرطِ شرِّهه وغلبةِ الجشعِ على طبعه ، أنَّ الراميَ إنما أراد عقره أو قتله ، فيظنُّ لذلك أنَّه إنما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيَّلُ إليه فرطُ النهمِ وتوهمه غلبةُ الشرِّه ، ولكنَّه رمى بنفسه على النَّاسِ عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصَّحاري .

ولما سمِعوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ إِنَّ المحروم هو الكلب ؛ وسمِعوا في المثل : « اصنعوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتَّخذوه في الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من سفلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تَقَرُّزُهُ^(٢) وكثُرَ جهله ، وردَّ الآثارَ إما جهلاً وإما معاندةً .

وأما ألدبك فمن بهائم الطير وبعثها ، ومن كلوئها والعِيال على

(١) ط : « وحصباء » والوجه ما أثبت من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلًا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقدره » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا ممّا (١) يطرب بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدباسى والشفانين (٢) والوراشين والبلابل والقواخت ، ولا ممّا يُونق بمنظره ويمتّع الأبصارَ حسنه ، كالطواويس والتدارج ، ولا ممّا يعجب بهدايته ويُعقد الذمام بِالْفَه ونزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتُریده بإرادته لك ، وتعطّف عليه لحبّه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات (٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمهٌ لا يصيد ، ولا هو أيضاً ممّا يكون صيداً فيمتّع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللذة .

والخفّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والدّيك كاسٍ وهو لا يطير .
وأى شيء أعجب من ذى ريشٍ أرضى ، ومن ذى جلدةٍ هوأى .

٩٠ وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزّواجُ إلّا فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمّ كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنِع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكلة الغريبة ، وحُرِم هذا السبب الكريم والشبه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزّواجُ والإلفُ وثباتُ العهد ، وطلبُ الذرءِ وحبُّ النسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلّا له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزواج فلئما دخله النقصُ وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص

(١) ط : « من » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « بما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، فى ل .

(٢) ط : « الشفانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدّث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جِهَتَيْنِ . ووصف أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِيُّ الحِمَارَ وَعَيْرَ العَانَةِ خَاصَّةً (١) ،
فإنَّه أمثلُ في باب المعرفة من الأهلِيِّ ، فذكر كيف يضرب في الأُتُنِ ، ووصفَ
استبامَه عن طلب الولد ، وجهله بموضع الذَّرءِ ، وأنَّ الولدَ لم يجي منه عن
طلبٍ له ، ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقَت الأرحام البريئة من
الأسقام حَدَثَ النَّتَاجَ على الخلقة ، وعلى ما سوَّيت عليه البنية (٢) . وذكر أنَّ
نزوَه على الأنان ، من شكل نزوَه على العير ، وإِنَّمَا ذلك على قدر ما يحضُرُه
من الشَّبَقِ ، ثمَّ لا يلتفتُ إلى دُبُرٍ من قُبُلٍ ، وإلى ما يُلْقَحُ [من مثله ممَّا
لا يُلْقَحُ] فقال :

* لا مُبْتَغَى الضَّنَّ ولا بالعازل (٣) *

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .

والأشياء التي تألفُ النَّاسَ ولا تريدُ سِوَاهِمُ ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ،
كالعصفور والخُطَّافِ والكلبِ والسُّتُورِ . والدَّيْكَ لا يَأْلَفُ مَنْزِلَهُ ولا رَبْعَهُ
ولا يُنَازِعُ (٤) إلى دجاجته ولا طُرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدِرْ
قطُّ أنَّ له ولداً ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايته دليل ، فإذ قد وجدناه
ليبيضه (٥) وفراريجِه الكائنة منه ، كما نجدُه لما لم يلدُه ولمَّا ليسَ من شكَلِه
ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف تُعرَفُ الأمورُ إلا بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضئ » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضغف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه ليبيض » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثْبِتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتِ جَنَاحِهِ .

وَالكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسُّتُورَ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَيَأْلَفَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طُرِدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أُجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهْيِنَا احْتِمَلَا .

وَالدَلِيكُ يَكُونُ فِي الدَّارِ مِنْ لَدُنْ كَانَ فَرُوجًا صَغِيرًا إِلَى أَنْ صَارَ دِيكًا كَبِيرًا ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ الدَّارِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْجِيرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرَّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مِنْزَلُهُ قَرِيبًا ، وَسَهْلٌ ^(١) الْمَطْلَبِ يَسِيرًا ، وَلَا يَذْكَرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ احْتِاجَ لَاتَمَسَ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخَبْرُ فِي طَبَاعِهِ لظَهَرَ ، وَلَكِنَّهَا طَبِيعَةٌ بِلَهَاءِ مُسْتَبْهِمَةٍ ، طَامِحَةٌ ^(٢) وَذَاهِلَةٌ ، ثُمَّ يَسْفُدُ الدَّجَاجَةَ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَفْتِقُ الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ الدَّلِيكُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ حَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْفُدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وُلْدِهِ ، وَلَا يَحْضُنُ بِيضًا وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمًا ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحَقُّ مِنَ الْحَبَّارِيِّ وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كَلُّ شَيْءٍ يَجِبُ وَوَلَدُهُ حَتَّى الْحَبَّارِيِّ » . فَضْرَبَ ^(٣) بِهَا الْمَثَلَ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالغَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالبَلْغَةِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط : « وسبيل » .

(٢) لعلها « جاجة » .

(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : « أبرد من هرة ، وأعق من صبّ » فوجّهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ، ووجّهوا أكل الضب لها على شدة البغض لها ، وليس ينجو منه شيء منها إلا بشغله بأكل إخوته عنه ، وليس يحرسها مما يأكلها إلا ليأكلها . ولذلك قال العمّلس ابن عقيل ، لأبيه (١) عقيل بن علفّة :

أكلت بديك أكل الضب حتى وجدت مرارة السكّال الويل
فلو أنّ الألى كانوا شهوداً منعت فناء بينك من بجيل

وقال أيضاً (٢) :

أكلت بديك أكل الضب حتى تركت بديك ليس لهم عديد
وشبه السيد بن محمد الحميري ، عائشة رضي الله تعالى عنها في نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنينا ، بالهرة حين تأكل أولادها ، فقال :

جاءت مع الأشقين في هودج تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحقق من جهيزة » ، وهي عرس الذئب ؛ لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول ابن جندل الطعان (٣) .

كمرضة أولاد أخرى وضيعت بنيتها فلم ترقع بذلك مرقعا ٩٢

(١) ل : « لابنه » والصواب ما في ط . وفي الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سببة .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا في ل . وانظر المقدم ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جندل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت في الثمار ٣١٣ والرواية فيه :

« فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحتری ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبْعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّبَّ يَأْتِي أَوْلَادَهَا
بِاللَّحْمِ . وَأَنْشُدُ الكُمَيْتَ :

كَمَا خَامَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمَّ عَامِرٍ لِدِي الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا (١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُوِّآلِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَيَّ إِيَالَهُ

فَلَأَحْشَانُكَ مِشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالِهِ (٢)

الأوس : الإِطْعَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْهَنْلِيُّ (٣) :

يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَنَمِ

وَقَالَ أَمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (٤)

(حَقُّ النِّعَامَةِ)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نِعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشْرَدُ مِنْ نِعَامَةٍ » قَالُوا

ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الْحِضْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنَّ هِيَ

(١) ل : « لدى الجبل » وهى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية

ابن منظور للبيت فى مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جرائها »
بذلك لا يصح الاستشهاد لما استشده له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب ما فى ل . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاعتضاب .

وحشاه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة
كما فى اللسان (أبيل) .

(٣) الشعر فى اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذى الكلب . وهو هذلى كما فى الأغاني .

(٤) ط : « جاحد » . والعام الجامد : عام الجذب والقحط وامتناع النعش .

في خروجها ذلك رأت بيضَ أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيضها ونسيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصاد فلا ترجعُ إلى بيضها بالعرء حتى تهلك . قالوا : ولذلك قال ابن هرمة (١) :

فإني وتركي ندى الأكرمينَ وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركةٍ بيضها بالعرء وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

وقد تحضن الحمامُ على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجةُ بيض الطاوس ، فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجةُ بيضها وتحضن بيض الطاوس فلا . فأما فروجُ الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنه يكون أكيس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقل حسناً وأبغض صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضةٍ في الأرض فإنَّ أسمَ الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ، إلاَّ بيضَ الدجاج فإنه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمى فرخا ، إلاَّ أن الشعراء يجعلون الفروج فرخاً على التوسُّع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأصوات المسكاكي بالضحى وسود تداعي بالعشي نواعيه (٢) ٩٣
أحبُّ إلينا من فراخ دجاجةٍ ومن ديكٍ أبط تنوس غباغيه (٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشع ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفع مستوكير الحجارة للسود . وفي ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المخصص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غباغيه » .

وقال الشَّامُخُ بنُ ضِرَّارٍ (١) :
أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ
فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ (٢) وَمِنْ شَيْخٍ أَضْرَبَ بِهِ الْفَنَاءُ
فِرَاحَ دَجَاجَةٍ يَتَّبَعْنَ دِيكًا يَلْدُنَّ بِهِ إِذَا حَمِسَ الْوَعَاءُ
[فَإِنَّ] قَلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ السَّكَلِبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيَكِ ،
حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذِكْرِ مَحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمَوَازِنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،
شَيْخَانِ مِنْ عِلِّيَّةِ الْمُتَسَكِّلِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ (٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أُمَّهُمَا مَتَى
أَبْرَمَا هَذَا (٤) الْحُكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةِ ، صَارَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ بَيْنَهُمَا حِظٌّ
وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَّدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ؛ وَسَيَعُودُ ذَلِكَ عِذْرًا
لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يُوَازِيَانِ بَيْنَ الذُّبَّانِ (٥) وَبِنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافِسِ
وَالْجِلْعَلَانِ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشْرَاتِ ، وَالْخَشَاشِ ،
حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانَ وَالْقَرْدَانَ (٦) فَإِنَّ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ
عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،
وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ
فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحُكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ
الْمَلَلِ ، وَالْمَوَازِنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمُصَالِحِهِمْ ،
وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَدَسُّعُ لِلْجَمِيعِ ، وَالسَّنْتَهُمْ لَا تَنْطَلِقُ
بِالسَّكَلِ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْقِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخْوَفِ
فَالْأَخْوَفِ .

(١) فِي (٧ : ٨٥) أَنَّهُ شَاهِخُ بِنِ أَبِي شَدَادٍ .

(٢) ل : « جَبَالِكَ » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّةٌ » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْتَهُمَا يُوَازِنُونَ .. الخ » . ط : « الذُّبَّانُ » مَوْضِعُ « الذُّبَّانِ » .

(٦) الْقَرْدَانُ : جَمْعُ قَرَادٍ ، وَهُوَ دَوِيْبَةٌ تَنْتَشِرُ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ .

وقلتَ : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف^(١) وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سبيل المضحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبحُ مثله من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازنةُ ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانَةُ بشدَّةِ المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ ، ولكلِّ طعامٍ أكلةٌ^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أن كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِمرْفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ^(٣) من المنافع ، ولا بدُّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإن أبطأت ، ولا بدُّ لتلك الكامنِ من ظهورٍ ؛ فإنَّ أمكنه ذلك بعثه ، وإلَّا سرى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [نَمَى] كما يَنمِي العرق ؛ كما أنَّ البُزور البريَّةَ ، والحبَّةَ الوحشيَّةَ الكامنةَ في أرحامِ الأرضين ، لا بدُّ لها من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّقِ والانتشارِ في إِبَّانِ الانتشارِ . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنُّظْمَةِ ، وكان بعضُ الأرضِ كالأمِّ الغاذيةِ^(٤) فلا بدُّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهرَ قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدُّ للمصدرِ يوماً من النَّفْثِ^(٤) *

(١) ط : « التطرق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بد للمصدر من النفث » .

[وقال ^(١)] :

* ولا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر *

ولذلك صار طلب الحساب أخفّ على بعضهم، وطالب الطب أحبّ إلى بعضهم. وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربّما تحرك له بعد الكبرة، وصرف ^(٢) رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوة العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتب مع ^(٣) الجند، وآخر يختار [أن يكون] وراقاً، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم، ثم لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلاّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم ^(٤) لم اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجز منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويجرّكه في بعض الجهات، ولكن العجب من يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتنا واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها

ضرورية لاستقامة الكلام. والآق عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٤٣٢٠ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامه *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

له في معرفة الوزن، وليس له جرمٌ حسنٌ (١)؛ فيكون إن فاته أن يكون معلماً
ومعنى خاصة أن يكون مطرباً ومعنى عامة . وآخر قدمات على أن يُذكر
بالجود ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أنخلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً بأنخاذ
الطيبات ومستهتراً بالتكثير منها ، ثم هو أبدأً مفتضحٌ وأبدأً منتقض
الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعي له ،
والمرسل إليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله .

فإن زعمتم أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ
في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللئام وجميع المقصرين ، وجميع الفاسقين
والضالين . وإن كان الأمر [إلى] التمكين دون التسخير ، أفليس من
أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل (٢) بين الديكة والكلاب . ٩٥
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر ألدبك وقدرك الكلب » فإن هذا
ونحوه كلامٌ عبثٌ لم يفهم عن ربّه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم
العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهمك الله تعالى ، تظن أن خلق
الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق
الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب
عليك ، أن التدبير فيه مختلف أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو مزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ في أمرِ ابتداءِ الدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتِها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارُّ بالنافع ، والمكروهُ بالسارِّ ، والضَّعةُ بالرِّفعة ، والكثرةُ بالقِلَّةُ . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هَاكَ الخلقُ ، أو كان الخيرُ مَحْضاً سَقَطَتِ المِحنةُ وتَقَطَّعتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَمِ الفِكرةِ يكونُ عَدَمُ الحِكمةِ ، ومتى ذهبَ التخييرُ ذهبَ التمييزُ ، ولم يكنِ للعالمِ تثبُّتٌ وتوقُّفٌ وتعلُّمٌ ، ولم يكنِ علمٌ ، ولا يُعرفُ بابُ التبيينِ ، ولا دَفْعُ مَضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعةٍ (١) ، ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شُكْرٌ على محبوبٍ ، ولا تفاضُلٌ في بيانٍ ، ولا تنافسٌ في درجةٍ ، وبطلتْ فرحةُ الظَّفَرِ وعزُّ الغلبةِ ، ولم يكنِ على ظهرها مُحَقٌّ يحدُّ (٢) عزَّ الحقِّ ، ومُبطِلٌ يحدُّ ذِلَّةَ (٣) الباطلِ ، وموقنٌ يحدُّ (٤) برَدَ اليقينِ ، وشاكٌّ يحدُّ (٥) نقصَ الحيرةِ وكربَ الوجومِ ؛ ولم تكنِ للنفوسِ آمالٌ ولم تتشعَّبْها الأطماعُ . ومن لم يعرفِ كيفَ الطَّمعُ لم يعرفِ اليأسَ ، ومن جهلَ اليأسَ جهلَ الأمنَ ، وعادتِ الحالُ من الملائكةِ الَّذِينَ هم صفوةُ الخلقِ ، ومن الإنسِ الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السُّبعِ والبهيمةِ ، وإلى [حالِ] الغباوةِ والبلادةِ ، وإلى حالِ النجومِ في السُّخرةِ ؛ فإنها أنقصُ من حالِ البهائمِ في الرِّتعةِ . ومن هذا الذي يسرُّه أن يكونَ

(١) ط : « التدبير » موضع « التبيين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « يحد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « يحد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق يحد » وهو تحريف .

والشمس والقمر والنار والثلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم ؛
أو يكون المجرّة بأسرها ، أو مكبلاً من الماء أو مقداراً من الهواء ؟ وكلُّ
شئٍ في العالم فإما هو للإنسان والكلِّ مختَبَرٌ ومُختَارٌ ، ولأهل العقول
والاستطاعة ، ولأهل التبيين^(١) والروية .

وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع الدّم وأكل اللحم -
من سرور الظفر بالأعداء ؛ ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان القرع ؟ وأين
ذلك من سرور السؤدد ومن عزّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال النبوة
والخلافة ، ومن عزّهما وساطع نورهما . وأين تقع لذة درك الحواسّ الذي ٩٦
هو ملاقة المطعم والمشرب ، وملاقة الصوت المطرب واللون المونق ،
والملمسة^(٢) اللينة - من السرور بنفاذ الأمر والنهي ، وبجواز التوقيع ،
وبما يُوجب الخاتم من الطاعة ويلزّم من الحجّة ؟ !

ولو استوت الأمور بطلّ التمييز ، وإذا لم تكن كلفة لم تكن مَثوبة ،
ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكّل على الله تعالى ، واليقين بأنّه الوزرُ
والحافظ ، والسكالي والدافع^(٣) ، وأنّ الذي يحاسبك أجودّ الأجودين ،
وأرحمُ الراحمين ، وأنه [الذي] يقبلُ اليسيرَ ويهبُ الكثيرَ ، ولا يهلك
عليه إلا هالك . ولو كان الأمرُ على ما يشتهيه الغرير والجاهلُ بعواقبِ
الأمر ، لبطلَ النّظرُ وما يشحذُ عليه^(٤) ، وما يدعو إليه ، ولتعطلت

(١) ط : « التبين » .

(٢) ط : « واللبسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولعدمت الأشياء
حفظها وحقوقها .

فَسُبْحَانَ من جعل منافعتها نعمة ، ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسمها بين مُلِدٍّ ومُؤْمٍ ، وبين مؤنسٍ وموحشٍ ، وبين صغيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبيرٍ ، وبين عدوٍّ يرصدك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالِمٍ يَمْنَعُكَ ،
وبين مُعِينٍ يعضدك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمَّ
النعمة ، وفي بطلانٍ واحدٍ منها بطلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع (١) إنّما هو واحدٌ ضمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أبعاضٌ ، ولأنَّ كلَّ جُثَّةٍ فن أجزاء ، فإذا جوّزت رفعَ واحدٍ
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظّه ونصيبه ، فقد جوّزت رفعَ
الجميع ؛ لأنه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت (٢) الذي رجوت فيه
إبطالَ الأوّل ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمّنة والأسبابُ المقيدة (٣) ؛ ألا ترى أنَّ
الجلبَ ليس بأدلَّ على الله تعالى من الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ
بأدلَّ على الله تعالى من الخنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإن اختلفا في جهة
البرودة والسخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة .

وأظنك ممن يرى أن الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأن

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمّنة » ، و « المقيدة » مكان « المقيدة »

وهو تحريف .

التُّدْرُجَ (١) أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنَّما هذه أمور فرَّقها الله تعالى في عيون الناس ، وميَّزها في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أقربَ شَبهاً ، وجعلَ بعضها إنسيّاً ، وجعلَ بعضها وحشيّاً ، وبعضها غاذياً ، وبعضها قاتلاً . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرْزَةُ والقمرة (٢) والجمرة .

٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذْهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمنا أنَّ خزانة النارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خزانة الجنة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملك السحاب ، وإنَّ أتنا بالغيث وجلب الحياء (٣) ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلاف في المطيع والعاصي ، وفي طبقات ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أتهم إذا استتوا في المعاصي استتوا في العقاب ، وإذا استتوا في الطاعة استتوا في الثواب ، وإذا استتوا في عدم الطاعة والمعصية استتوا في التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرحي .

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « الثرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياة » وهو تمسحيف ما في ل . والحيا : الحصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زيد بن أسلم
أنَّ التَّينَ دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويلٌ أرغبُ
بالعِترَةِ عنه^(١) وذكره . وقد أخرجَ اللهُ تبارك وتعالى الكلامَ مُخْرَجَ
القسم . وما تُعرفُ دِمَشقُ إلا بِدِمَشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين . فإن
كنتَ إنما تتقف من ذكرِ التين على مقدارِ طعامِ يابسِهِ ورطبه ، وعلى
الإكْتنانِ بورقِهِ وأغصانه ، والوَقودِ بعيدانه ، وأنه نافعٌ لصاحبِ السُّلِّ ،
وهو غذاءٌ قوَى ويصلحُ في مواضعٍ من الدواء ، وفي الأضْمدةِ ، وأنه ليس
شيءٌ حلوٌ إلا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره ، وأنه عند أهلِ الكتابِ الشَّجْرَةُ
التي أكلَ منها آدمُ عليه السلام ، وبورقها سترَ السَّوءَةَ عند نزولِ العقوبة ،
وأنَّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليزُلِقَ عنه الثقل ، ويسهلَ عليه مخرج
الزُّبْلِ^(٢) ؛ وتقف من الزيتون على زيتِهِ والاصطباحِ به ، وعلى التأدُّمِ بهما
والوَقودِ بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأتَ ظنًّا بالقرآنِ ،
وجهلتَ فضلَ التأويلِ . وليس لهذا المقدارِ عَظَمَهما اللهُ عزَّ وجلَّ ، وأقسَمَ
بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفتَ على جناحِ بَعوضَةٍ وَقُوفَ معتبرٍ ، وتأملتَهُ تأمُّلَ متفكِّرٍ بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثقل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أَنْ تَكُونَ ثاقِبَ النَّظَرِ سَلِيمَ الآلَةِ ، غَوَاصًّا عَلَى المَعَانِي ، لَا يَعتَرِكُ مِنَ الخَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ صِحَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنَ الشَّوَاغِلِ إِلَّا مَا زَادَ فِي نَشَاطِكَ ، لِلْمَلَأَتِ مِمَّا تُوجِدُكَ العِبْرَةَ مِنْ غَرَائِبِ الطَّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالجُلُودِ الوَاسِعَةِ السِّكِّارِ ، وَلرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي الأعَاجِيبِ ، وَمِنْ تَقَلُّبِهِ فِي طَبَقَاتِ الحِكْمَةِ ، وَلرَأَيْتَ لَهُ مِنَ العُزْرِ والرِّيعِ ، وَمِنْ الحَلَبِ والدَّرِّ وَالتَّبَيُّجَسِّ عَلَيْكَ (١) مِنْ كَوَامِرِ المَعَانِي وَدَفَائِنِهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الحِكْمِ ٩٨ وَينَابِيعِ العِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعَجُّبُكَ تَمَّ وَوَقَفَ عَلَى مَا فِي الدَّيْكَ مِنَ الخِصَالِ العَجِيبَةِ ، وَفِي السِّكَّابِ مِنَ الأَمُورِ الغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أصْنَافِ المَنَافِعِ ، وَفَنُونِ المَرَافِقِ ؛ وَمَا فِيهِمَا (٢) مِنَ المِحْنِ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أودِعَا مِنَ المَعْرِفَةِ ، الَّتِي مَتَى تَجَانَّتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَبِيرٌ مَا تَسْتَعْظَمُ ، وَقَوْلٌ فِي عَيْنِكَ كَثِيرٌ مَا تَسْتَكْثِرُ . كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ شَيْئًا وَإِنْ حَسُنَ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ الحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

(كَلِمَاتُ اللَّهِ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَكَوْنُوا أَنْ مَآ فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ والكلماتُ فِي هَذَا المَوْضِعِ ، لَيْسَ يُرِيدُ بِهَا القَوْلَ وَالسَّكَّامَ المَوْؤَلَّفَ مِنَ الحُرُوفِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ النِّعَمَ وَالأعَاجِيبَ ، وَالصِّفَاتِ (٣) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَلَامًا مِنْ هَذِهِ الفُنُونِ

(١) ط : « ولا يتنجس » .

(٢) ط : « فيها » .

(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشيء .

لو وقف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفكر تامُّ الأداة ،
لما برح أن تحسره^(١) المعاني وتغمره الحكَم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجلَّةُ العُظماءُ في التمثيل بين الملائكةِ
والمؤمنين ، وفي فرقِ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ
الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباعِ الكلب . وإتّما ذهبوا إلى
الطاعة والمعصية . ويحْتَلُّ إلى أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثلان ما بين
التدرُّج والطاؤس ، لما اشتدَّ تعجُّبك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ
خصالِ الذرَّةِ والحامة ، والفيلِ والبعير ، والشَّعْبِ والذئبِ أعجَب . ولسنا
نعنى أنَّ للذرةَ ما للطاؤس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريفه^(٢) ،
ولا أنَّ لها غنَاءَ الفرسِ في الحرب والدَّفْعِ عن الحرم ؛ لسكنا إذا أردنا
مواضعَ التدبيرِ العجيبِ من الخلقِ الحسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشيءِ
السخيفِ^(٣) ، والنَّظْرِ في العواقبِ من الخلقِ الخارجِ من حدودِ الإنسِ
والجنِّ والملائكةِ ، لم^(٤) نذهب إلى ضيخمِ البدنِ وعِظَمِ الحجمِ ، ولا إلى المنظرِ
الحسنِ ولا إلى كثرةِ الثمنِ . وفي القردِ أعاجيبُ وفي الدُّبِّ أعاجيبُ ،
وليس فيهما كبيرُ مَرْفِقٍ إلاَّ بقدرِ ما تتسكَّبُ به [أصحابُ^(٥)] القردة ،
وإتّما قصدنا إلى شديينِ يَشيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ تَمَّا
يستخرجُ العلماءُ من خفيِّ أمرهما . واولجعتنا بينَ الديكِ وبينِ بعضِ

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعاني » . وأثبت ما في ل . يقال :
حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب مبرج : أى مخطط في التواء . . وفي ل : « تقاريفه » . وانظر ه : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف في الشيء السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) في الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعضَ مادعائك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوط قدرِ السكلب ونذالته ، وبَلَّهُ الدِّيكِ وغبأوته ، وأنَّ السكلبَ لا بهيمةٌ ٩٩ تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرجه من شيءٍ من حدود السكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ما هو عليه من الأُنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرِجاً لها من أحكامهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيَّة وبالنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذمُّوا قالوا : هو السكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل ، وهو القرنبي ، ثم لا يُدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسماءهم ، ولا يُخرجون بذلك (١) الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسمَّوا الجارية غزالا ، وسمَّوها أيضاً خشفاً ، ومُهْرَةً ، وفاخِثَةً ، وحمامَةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَّعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسدَ والثور ، والحملَ والجدى ، والعقربَ وألحوت ، وسمَّوها بالقوس والسُنْبُلَةَ والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسَلَةَ الشيباني (٢) :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلي ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في المفضليات : « لصحوت » وقيله :

فَصَحَوْتُ وَالنَّمْرِيُّ يَحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ (١)

وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعْمَتِ الْعَمَّةِ لَكُمْ النَّخْلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] . وَهَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ الْمَعْنَى ، لَا يَعْيبُهُ إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَجَازَ الْكَلَامِ . وَلَيْسَ هَذَا نَمَّا يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيِسَهُ ، وَإِنَّمَا نُقَدِّمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛ وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ أَتَانًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعِجَةً وَلَا يَسْمُونُهَا شَاةً . وَهَمَّ لَا يَضْعَوْنَ نَعِجَةً اسْمًا مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ذَلِكَ (٢)] عِلَامَةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عَنَزًا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِهِ (٣) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . إِنَّمَا سَمَّوَهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالِ مَافِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاصَّ الْخَمْسَ وَوَجَدُوا فِيهِ الْخَمْسَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ يَأْكُلُ اللَّحْمَ وَالْحَبَّ ، وَيَجْمَعُ

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
وسماع مدجئة تملنا حتى ننام تناوم العجم

(١) صوابه « لصحوت » كما في المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) في الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بين ما تقتاتاه البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ،
 وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصفرى ، وجمع الدرّة ، وصنعة ١٠٠
 السرفة^(١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا
 فيه مما فى البهائم والسباع خلقيّن^(٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً
 بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولته وحقدّه ، وصبره على حمل الثقل ،
 ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتتهيأ فيه من مثل غدره ومكره ، واسترواحه
 وتوحّشه ، وشدة نكره . كما أن الرجل يصيب الرأى الغامض المرّة والمرتين
 والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدار أن يقال له داهية وذو نكراء أو صاحب
 بزلاء^(٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحش خطأؤه^(٤) فى المرّة والمرتين والثلاث ،
 فلا يبلغ الأمر به أن يقال له غبى وأبله ومنقوص .

وسمّوه العالم الصغير لأنهم وجدوه بصور كلّ شىء بيده ، ويحكى
 كلّ صوت يفمّه^(٥) . وقالوا : ولأنّ أعضائه مقسومة على البروج
 الاثني عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نتاج النار ، وفيه السوداء
 وهى من نتاج الأرض ، وفيه الدّم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو
 من نتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة^(٦) .

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه فى ل . ويقال فى المثل : « أصنع من سرفة » .
 الدميرى : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق
 العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال النّاس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلّتين » وهو الأشبه
 بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم :
 الدهاء والفتنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما فى ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاقه وطبائعه .
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد
 والوقف^(١) وفيه طبائع الفطنة والعباوة ، والسلامة والمكر^(٢) ، والنصيحة
 والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ
 والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،
 والأنس والوحشة ، والفكرة^(٣) والإمهال ، والتميز والخبط ، والجنون
 والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز^(٤) ،
 والادخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسخط
 والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،
 والطمع واليأس ، والتنزه والطبع ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ،
 والكتمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،
 والطلب والهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبعده الغضب ،
 والشروع والهم ، واللذة والألم^(٥) والتأمل والتمنى ، والإصرار والندم ،
 والجماح والبداوات^(٦) ، والعي والبلاغة ، والنطق والحرص ، والتصميم
 والتوقف^(٧) والتغافل والتفاطن ، والعفو والمكافأة ، والاستطاعة
 والطبيعة^(٨) وما لا يحصى عدده^(٩) ، ولا يُعرف حدُّه .

(١) ط : « والتمنى » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكفي » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عدده » .

فالكلبُ سبعٌ وإن كانَ بالناسِ أنيساً ، ولا تخرِجُهُ الحَصَلَةُ والحَصَلَتَانِ ١٠١
 ممَّا قاربَ بعضَ طبائعِ الناسِ ، إلى أن يخرجه من الكَلْبِيَّةِ . قال : وكذلك
 الجميع . وقد عرَفتُ شَبَهَ باطنِ الكلبِ^(١) بباطنِ الإنسانِ ، وشبَهَ ظاهرِ
 القردِ بظاهرِ الإنسانِ : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عينه ، وفي ضِحْكِهِ
 وفي حكايته ، وفي كَفِّهِ وأصابعه ، وفي رَفْعِهَا ووضعِهَا ، وكيف يتناولُ بها ،
 وكيف يجهزُ الأتَمَةَ إلى فيه وكيف يكسِرُ الجَوْزَ ويستخرجُ لَبَّهُ^(٢) وكيف
 يَلْقَنُ كلَّ ما أُخِذَ به^(٣) وأُعِيدَ عليه ، وأنه من بينِ جميعِ الحيوانِ إذا سقط
 في الماءِ غرقَ مثلَ الإنسانِ ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفةِ فيه يغرقُ ، إلا^(٤)
 أن يكتسبَ معرفةَ السباحةِ ، وإن كان طبعُه أوفى وأكملُ فهو من هاهنا
 أنقصُ وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يسبحُ من جميعِ الحيواناتِ ، ممَّا يوصفُ بالمعرفةِ
 والنِظَنَةِ ، وممَّا يوصفُ بالغَباوةِ والبَلادةِ ؛ وليس يصيرُ القردُ بذلكِ المقدارِ
 من المقارَبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القروودِ إلى حدودِ الإنسانِ .

(عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيلِ بينِ الديكِ والكلبِ أنه حارسٌ
 محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناسِ فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبَدُّلُهُ .
 ولقد سألتُ زياداً ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بلج بنُ زُشْبَةَ
 الجُشميِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يسعى عليهمُ
 ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر^(١) قال هذا الشعرَ في الفلاس النهشلي^(٢) ، حين
ولي شرطة الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالكٍ وذمى زماناً ساد فيه الغُلافسُ
وساعٍ مع السلطان يسعى عليهمُ ومُحترسٍ من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكَمُ لِصِغارِ المضارِّ على كبارها^(٣) بل الحكمُ للغامرِ على
المغمور^(٤) والقاهرِ على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخُ من خِصالِ
الكلبِ وذكرَ صاحبه من خِصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجلةَ من عملِ
الشیطان ، وأنَّ العُجبَ بئسِ الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدرِ الكلبِ ومن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغَ
لهما شيخان من جِلَّةِ المعتزلة ، وهم أشراف^(٥) أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شئٍ
بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدرِ جزءٍ لا يتجزأ من رملِ عاجلج ، والجزءِ الأقلِّ
من أوَّلِ قطعِ الدرَّةِ للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمقَ لها ، ولأىُّ
شئٍ يُعنونَ بذلك ، وما يبلغُ من ثمنه وقدرِ حجمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ
فيه الشيوخُ الجِلَّةُ ، والسكهُولُ العِلِّيةُ ، وحتَّى يختاروا النَظَرَ فيه على التسييحِ
زالتهيل ، وقراءةِ القرآنِ وطولِ الانتصابِ في الصلاة ؛ وحتَّى يزعمَ أهلُه

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار

١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله
ابن أبي ربيعة المخزومي أخى عمر بن أبي ربيعة . . . وخرج الفلاس مع ابن الأشعث
فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « أشراف » .

أَنَّهُ فَوْقَ الْحَبِجِّ وَالْجِهَادِ ، وَفَوْقَ كُلِّ بَرٍّ وَاجْتِهَادٍ ^(١) . فَإِنَّ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سَوَاءٌ ، طَالَتْ الْخُصُومَةُ مَعَكَ ، وَشَغَلْتَنَا [بهما] عَمَّا هُوَ أَوْلَىٰ بِنَا فِيكَ . عَلَىٰ أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ ، وَجَلَلْتَهُ بِالْعَيْبِ ، صَارَتْ الْمَصِيبَةُ فِيكَ أَجَلًا ، وَالْعِزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ . وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ إِتْمَا جَازَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَىٰ أَمْتَانِ الْأَعْيَانِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَإِلَىٰ عَظْمِ الْحِجَمِ ، وَإِلَىٰ مَا يَرُوقُ الْعَيْنَ وَيَلَامُ النَّفْسَ ، وَأَنَّهم إِتْمَا ذَهَبُوا إِلَىٰ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فِيهِ ، وَإِلَىٰ نَتِيجَتِهِ ، وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النِّهَائِيَّاتِ ، وَمِنْ بَابِ السُّكْلِ وَالْبَعْضِ ، وَكَانَ وَيَكُونُ ، وَمِنْ بَابِ مَا يَحِيطُ بِهِ الْعِلْمُ أَوْ مَا يَفْضُلُ عَنْهُ ، وَمِنْ فَرَقٍ [ما ^(٢)] بَيْنَ مَذَاهِبِ الدُّهْرِيَّةِ وَمَذَاهِبِ الْمُوحِدِينَ . فَإِنَّ كَانَ هَذَا الْعِذْرُ مَقْبُولًا ، وَهَذَا الْحُكْمُ صَحِيحًا ، فَكَذَلِكَ نَقُولُ ^(٣) فِي السُّكَابِ ، لِأَنَّ السُّكَابَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ وَلَا قَدْرٌ فِي الصِّدْرِ جَلِيلٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَابَ صَيْدِ فِدْيَتِهِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَإِنْ كَانَ كَلْبَ ضَرْعِ فِدْيَتِهِ شَاةً ، وَإِنْ كَانَ كَلْبَ دَارِ فِدْيَتِهِ زَنْبِيلٌ مِنْ تَرَابٍ ، حَقٌّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَحَقٌّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ ، فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [وَمُفْتَشِّهِ] . وَكَوَامِنُ خِصَالِهِ ، وَدَفَائِنُ الْحِكْمَةِ فِيهِ . وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَىٰ عَجِيبِ تَدْبِيرِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيهِ ، عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَجَازُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ ، وَالتَّمثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ .

وَتَعَلَّمَ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السُّكَابَ إِذَا كَانَ فِيهِ ، مَعَ حُمُولِهِ وَسُقُوطِهِ ، مِنْ عَجِيبِ التَّدْبِيرِ وَالنِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحمق بأن يفكر فيه ،
ويُحمد الله تعالى على ما أودعَه من الحكمة العجيبة ، والنعمة السابعة .
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرُ في التوحيدِ ، وفي نفي
التشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي التعديل والتجويز ، وفي تصحيح الأخبار ،
والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنك عمدتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى
ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما^(١) وصفت ، وإلاَّ وضعُ الكتبِ فيه والولايةُ
والعداوةُ فيه ، ولا لهم لذةٌ ولا همٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلاَّ عليه وإليه ؛
١٠٣ فحين أرادوا أن يُقسِّطوا بين الجميعِ بالحِصصِ ، ويعدِّلوا بين الكلِّ بإعطاء
كلِّ شيءٍ نصيبه ، حتى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعاً ، ويظهرَ
بذلك الخفيُّ من الحكمِ ، والمستورُ من التدبيرِ ، اعترضتَ بالتعنُّتِ
والتعجُّبِ ، وسطرتَ الكلامَ ، وأطلتَ الخطبَ ، من غير أن يكون
صوبَ رأيك أديبٌ ، وشايَعك حكيمٌ .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغاظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه
ولسكننا نستأني بك وننتظرُ أوبتَكَ . وجدنا لجميعِ أهلِ النقصِ ، ولأهلِ
كلِّ صِنْفٍ منهم نُسكاً يعتمدون عليه في الجمالِ ، ويحتسبون به في الطاعة
وطلبِ المثوبةِ ، ويفزعون إليه ، على قدرِ فسادِ الطَّبَاعِ ، وضعفِ الأصلِ ،

(١) في الأصل : « بما » .

واضطرابِ الفرع ، مع خبثِ المنشأ ، وقلّةِ الثبوتِ والتوقفِ ، ومع كثرةِ
التقلُّبِ والإقدامِ مع أوّلِ خاطر : فنسكُ المريبِ المرتابِ من المتكلمين أن
يتحلّى برمي الناسِ بالرّيبةِ ، ويترنّ بِإضافةٍ ما يجدُ في نفسه إلى خصمه ،
خوفاً من أن يكونَ قد فطنَ له ، فهو يسرُّ ذلكَ الداءَ برمي الناسِ به .

ونسكُ الخارجيّ الذي يتحلّى به ويزيّاً بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصي ،
ثم لا يلتفتُ إلى مجاوزةِ المقدارِ وإلى ظلمِ العبادِ ، ولا يقفِ على أن الله تعالى
لا يحبُّ أن يظلمَ أظلمَ الظالمين ، وأنَّ في الحقِّ ما وسعَ الجميع .

ونسكُ الحُرّاسانيّ أن يُحجَّ وينامَ على قفاه ، ويعقدُ^(١) الرّياسةَ ،
ويتهيأُ للشّهادةِ ، ويبسطُ لسانه بالحسبةِ . وقد قالوا : إذا نسكُ الشّريفُ
تواضعَ ، وإذا نسكُ الوضيعُ تكبّرَ . وتفسيرُهُ قريبٌ واضح .

ونسكُ البَنويّ^(٢) والجنديّ طرحُ الديوانِ ، والزّرايةُ على السّلطانِ^(٣) .
ونسكُ دهاقين السّوادِ تركُ شربِ المطبوخِ^(٤) . ونسكُ الخصيّ لزومُ طرسوسِ
وإظهارُ مجاهدةِ الرومِ . ونسكُ الرافضيّ تركُ النيذِ . ونسكُ البستانيّ
تركُ سرقةِ الثمرِ . ونسكُ المغنّي الصلّاةُ في الجماعةِ وكثرةُ التسبيحِ ،
والصلّاةُ على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

ونسكُ اليهوديّ التشدُّدُ في السبِّ وإقامته .

والصوفيّ المظهرُ النّسكِ من المسلمين ، إذا كان مسلماً يبغضُ العملَ

(١) ط : « يفقد » وليس بشيء .

(٢) ط : « الكوفي » .

(٣) ط : « والزيارة لسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول
كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفي مادة نصف « وكعظم : الشراب
طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصرانيُّ فسلاً ندلاً مبغضاً للعمل ، ترهب ولبس الصوف ؛ لأنه واثق أنه متى لبس وتزياً بذلك الزيِّ وتحلَّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السِّما ، أنه قد وجبَ على أهل اليُسْرِ والثروة منهم أن يعولُّوه ويكفُّوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنه قد حوّل ريبته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأسميّة ، ووقفَ على النهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلمْ أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

باب

نما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبن من الصِّفرد ، وأسخى من لافضة ، وأصبر على الهون^(٢) من كلب ، وأحذر من عقّعق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرفة^(٣) وأظلم من حيّة ، وأغدر من الذئب ، وأخبث من ذئبِ خمر^(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحمق من حُبّارى ، وأهدى من قطة ، وأكذب من فاخمة ، والأم من كلب على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفي ل :

« تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من سُرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمير » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .

وَأَجَمَعُ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَأَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِي (١) ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرُّ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنَ الظُّلَمِ ، وَأَضَلُّ مِنْ وَرَلٍ (٢) وَأَضَلُّ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَضَلُّ مِنَ الْحَيَّةِ .

فيعبرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسان والإساءة ، حتى كأنهم من الملوّمين والمشكورين ، ثم يعبرون في هذا الباب الآخر بدون هذا التعبير ، ويجعلون خبرهم (٣) مقصوراً على ما في الخِلقة من الغريزة والقوى فيقولون : أبصرُّ من عُقاب ، وأسمعُّ من فرَس ، وأطولُّ ذمّاً من ضَبٍّ ، وأصحُّ من الظّائم .

والثاني يشبه العبارة عن الحمد والذمّ ، والأوّل يشبه العبارة عن اللّامة والشكر (٤) . وإِنَّمَا قلنا ذلك ، لأنَّ كلَّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكوراً ؛ وكلُّ ملومٍ مذمومٍ وليس كلُّ مذمومٍ ملوماً . وقد يحمّدون البَلْدَةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجر (٥) لا يقع إلّا على جهة التخيّر والتكليف ، وإلّا على ما لا يُنال إلّا بالاستطاعة (٦) والأوّلُ إِنَّمَا يُنالُ بالخِلقة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أن يسمّى عقلاً ، كما أنه ليس كلُّ قُوّةٍ تسمّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب ما في ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه ما في ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحييف .

(٦) ط : « ما لا يقال التبعي بالاستطاعة » وهي عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها^(١) ومثالبها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرها ، وغدرها وبدائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، وفتنها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وإساکها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياها وقلة ردّها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها وندالتها ، وقبحها وقبح معالمتها^(٤) ومن سماجة نباحها وكثرة أذائها ، وتقدر المسلمين من دنوها^(٥) [وأنها تأكل لحوم الناس] ، وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق : كالبغل في الدواب كالراعي في الحمام^(٦) ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيّة ولا جنّية ، وأنها من الجنّ^(٧) دون الجنّ ، وأنها مطايا الجنّ ونوع من المسخ ، وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى ، وأنها يعترها الكلب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكينا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها ، وصنف مناتبها ، وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعرافها ، وتفدية الرجال إياها^(٨)

(١) ط : « معايها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معايب بمعنى العيب ، فيأوه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثار معيشة ومعايش .

(٢) ط : « وخيمها » والكلب يرصف بالجن .

(٣) الرد : النفع . ماعدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطتها » وهو تحريف . والعطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والراعي من الحمام » وهو تصحيف نهبت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفدية الرجال إياها » وهو تحريف .

واستبهارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإفهامها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف (١) والأدب المحمود . وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذها واهتمامها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدّة منعها معاقدة الذمار منها (٢) ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها (٣) وبعده أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأحوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لقننها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها (٤) وخدمتها ، وجدها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث المأثورة ، وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها (٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائمها ، ومدّة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسمياتها وشياتها ، وعن دوائها وأدوائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منبها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ التقاف : هو الجلال والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقنُ منها^(١) وعن أعراقها والخارجيِّ منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ للحومِ النَّاسِ فقال :

قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بحَوْلِهِ وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ ما سكا
فمن كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ في أرضِ الرُّصافةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنْشُنُه إذا اجتَبَنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حالكا^(٤)

وقال نضيع بن صفار الحاربي^(٥) من ولد مُحاربِ بن خُصفة^(٦)

في حربِ قيسٍ وتغلب :

أفنتَ بنى جُشمِ بن بكرٍ حَرِينَا حتى تعادَلَ مَيْلُ تغلبِ فاستوى
أكلَ الكلابُ أنوفَهُمُ وخصَّاهُمُ فلتبِكُ تغلبُ للأَنوفِ وللخُصِي

وقال أبو يعقوب الخريمي ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي^(٧) في

قتلى حربِ بَغداد :

-
- (١) ط : «لاتلقى منها» وهو تحريف .
(٢) الجاحظ يجعل «الخارجي» مقابل «العريق» كما في البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .
(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مقلتا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقته الحجاج قال : ماظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .
(٤) ل : « ينبنه » مكان « ينشئه » ط : « إذا اجتن مستورا » .
(٥) ط : « نضيع بن الصفار الحاربي » وأثبت ما في ل .
(٦) ط : « خصفة » والصواب « خصفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
(٧) ط : « ابن يعقوب الخريمي . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المري وآله فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعمان بن خريم =

وهل رأيتَ الفتيانَ في باحةِ المَعْرَكِ مَعْفُورَةً مَنَاحِرُهَا (١)
كلَّ فِتَى مانعٍ حَقِيقَتَهُ يشقَى بهِ في الوَغَى مَسَاعِرُهَا
باتتَ عليه الكلابُ تنهَشُهُ مَحْضُوبَةً من دمٍ أَظافِرُهَا
وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ،
ويكنى أبا محمد) (٢) :

يوسفُ الشاعرُ فرخٌ وجَدُوه بالأبْلَه
حَلَقِيٌّ قَد تَلَقَى كَامِنًا في جَوْفِ جُلَّة (٣)
خَيْطُوهَا خَشِيَّةَ الكَلْبِ عَلَيْهِ بِمِيسَلِّه

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي ، قال : كُنَّا عندَ الحسنِ إذ أقبلَ وكيع
ابن أبي سُود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ في دمِ البراغيثِ يُصِيبُ
الثوبَ : أَيْصَلِيٌّ فيه ؟ فقال : يا عجباً مِمَّنْ يَلِغُ في دماءِ المسلمينِ كأنَّهُ كَلْبٌ ،
ثم يسألُ عن دمِ البراغيثِ !! فقام وكيعٌ يتخلَّجُ في مِشِيَّتِهِ كتخلَّجُ المَجنونِ ،
فقال الحسنُ : إنَّ لله في كلِّ عَضِيٍّ منه نعمةٌ فيستعينُ بها على المعصية ، اللهم
لا تجعلنا مِمَّنْ يَتَقَوَّى بنعمتِكَ على معصيتِكَ ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم ، ثم قال : « وله مدائح في محمد بن منصور
ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . هـ . السجستاني : الخريمي أشعر المولدين » .
وانظر لخريم الناعم قاموس الزركلي ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميداني ٢ : ٢٨١ . والنصيذة في
تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

- (١) ط : « ساعة » - ولعلها « ساحة » - موضع « باحة » .
(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٧١٢٨ وابن خلكان ، في تضاعيف ترجمة يزيد
ابن مزيد ، ولم يفرده له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبي نواس ، ودخل
بغداد في أيام الرشيد ، وهو بصرى .
(٣) ط « حلقى بلقى » . وانظر شفاء الغليل للخفاجي في تفسير الحلقى . والبلقى لعله
منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحلق ، و« كامنا » هي في الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضافُ إلى نتنِ الجلود
وخبثِ الرائحة ، كريحِ أبدانِ الحيات ، وكدتنِ الثيوس وصنَانِ عرقها ،
وكدتنِ جلدِ الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من التّن في سوى ذلك ،
نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رَوح بن زنباع الجذامى في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :
ريحُ الكرائمِ معروفٌ له أَرَجٌ وريحُها رِيحُ كَلْبٍ مَسَّهُ مَطَرٌ
قال : وكانت امرأة رَوح بن زنباع أمّ جعفر بنت التّعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبدُ الملك زوجه إياها ، وقال : إنها جاريةٌ حسناء ، فاصبرُ على
بذاءِ لسانها .

وقال الآخر :

ورِيحُ مَجْرُوبٍ وريحُ جُلّه وريحُ كلبٍ في غداةٍ طَلّة^(١)

وأنشد أبو زيد في ذلك :

كأنَّ رِيحَهُمُ من خُبثِ طُعْمَتِهِمُ رِيحُ الكلابِ إذا ما بلّها المطر^(٢)

ومما ذكّر به الكلبُ في أكله العذيرة ، قولُ الراجز :

* أَحْرَصُ من كلبٍ على عِقْيِ صَبِي^(٣) *

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرّادة [في ذكره] لابنهِ السّرّندى :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقي » والسواب بالقاف كما في ل . والعق بالكسر : ما يخرج من

بطن الولد حين يولد .

مَالِ السَّرْنَدِيِّ أَطَالَ اللهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفْرِ الْبَيْدِ وَأَدْلَجَا (١)
مَجْعٌ خَبِيثٌ يُعْطَى الْكَلْبَ طَعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَجَلَا (٢)
رَبَيْتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَضْرِبُهُ
وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدْجَا (٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شد بطنه للسمن قيل قد ضرب ليسمن (٤) . والعقي وهو العقية الغيبة ، وإياه عقى ابن عمر حين قيل له : هلاً بايعت أخاك ابن الزبير ؟ فقال : إن أخى وضع يده في عقية (٥) ودعا إلى البيعة . إني لا أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة (٦) .

وفي الحديث المرفوع : « الرجع في هبته كالراجع في قيئه » . وهذا المثل في الكلب .

ويقال : « أبخل من كلب على جيفة » . وقال بعضهم في الكلب : الجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ، ويأكل العذرة ويرجع في قيئه ، ويشغَر ببوله فيصير في جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تلقاء (٧) خيشومه .

(١) ط : « بغير البيد » .

(٢) ط : « ريع خبيث » وهو تحريف . والمجع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكذب يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفي ل « أطعمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتي .

(٤) في الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفي ط : « ضرب » مكان « قد ضرب » وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب في ل .

(٦) ط : « واضعا في فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إن كنتم إنما تستسقطون الكلب^(١) وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفة أثنى من العذرة ، والعذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العييط الغريض الغض .

(مأكل السبع)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة . ويبدأ بعد شرب الدّم فيقرب بطنه ويأكل ما فيه من الغثينة والتفل^(٢) والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(ما قيل في السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شِدَّة الإقدام^(٤) ١٠٨ والصَّولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على برائنه » و « هو أشدُّ من الأسد » و « هو أجراً من الليث العادى » و « فلان أسدُّ البلاد » و « هو الأسد الأسود^(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فكفأك من نُبيل الأسد أنه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسقطون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القيئة » والتفل « وهو تحريف مافي ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكبر وبقلّة الالتفات ، وبأن أنفه فيه أسلوب^(١) ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم^(٢) :

هلاً إذا مطر السماء عليكم^(٣) ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
وقال الآخر :

يدودون كلباً بالرماح وطيناً وتغلب والصيد النواظر من بكر
وقال الآخر :

وكم لى بها من أب أصيد^(٤) نماه أب ماجد أصيد^(٤)
وبعد فإنّ الذى يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس ؛ لأنّ
من الناس من يشتهى اللحم الغاب ، ومنهم من يشتهى النّمكسود^(٥) .
وليس بين النّمكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق ، وإنما يذبون
الديكة والبط والدجاج والدراج من أوّل الليل ، ليسترخى لحمها ،
وذلك أول التجيف^(٦) .

فالأسد أجمع لهذه الحصول من السكاب ، فهلاً ذكرتم بذلك الأسد
وهو أنبه ذكراً وأبعد صيتاً .

وأما ما ذكرتم من نهن الجلد ومن استنشاق البول ، فإنّ للتيس فى
ذلك ما ليس للسكاب ، وقد شاركه فى الحذف ببوله تلقاء أنفه ، وبأينه
بشدة الصنّان ؛ فإنّ الأمثال له أكثر ذكراً . وفى العنز أيضاً عيوب .

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . فى أسلوب » وسويت العبارة كما ترى .
والأسلوب : الشموخ فى الأنف .

(٢) فى الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائى ، والبيت من أبيات ستة لها خبير
فى آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماءكم بها » ، وفى الديوان :

* ها إنما مطرت سماءكم دما *

(٤) ط : « نماه لمجد أب أصيد » .

(٥) انظر للنّمكسود ماورد فى تذكرة داود .

(٦) ماعدال والأمبروزيانا « التجيف » .

وفى توجيه التيس ببوله إلى حاقّ خيشومه قال الشاعر لبعض
من يهجوّه :

دُعِيَتْ يَزِيدَ كِي تَزِيدَ فَلَمْ تَزِدْ فَعَادَ لَكَ الْمُسْمَى فَأَسْمَاكَ بِالْقَحْرِ (١)
وَمَا الْقَحْرُ إِلَّا التَّيْسُ يَعْتَكُ بَوْلَهُ عَلَيْهِ فِيمَنْدَى فِي لَبَانٍ وَفِي نَحْرِ (٢)
وقال آخر في مثل ذلك (٣) :

أَعْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ لَوْمٍ عَتُودٌ فِي مَفَارِقِهِ يَبُولُ
وَلَوْ أَنِّي أَشَافَهُ لَشَالَتْ نَعَامَتُهُ وَيَفْهَمُ مَا يَقُولُ
١٠٩ وبعد فما يُعَلِّمُ مِنْ صَنِيعِ الْعِزِّ (٤) فِي لَبْنِهَا وَفِي الْارْتِضَاعِ مِنْ خَلْفِهَا
إِلَّا أَقْبَحَ .

وقال ابن أحمر الباهلي في ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي مَهْمٍ وَجَاهِلِهِمْ كَالْعِزِّ تَعْطِفُ رُوقِهَا وَتَرْتَضِعُ (٥)
وَقَلَّمْ : هَجَا ابْنَ غَادِيَةِ السُّلَمِيِّ (٦) بَعْضَ الْكِرَامِ ، حِينَ عَزَلَ عَنْ
يَنْبُعٍ ، فَقَالَ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ إِذَا عَزَلَ لِمَكَانِهِ :
رَكِبُوكَ مُرْتَحِلًا فَظَهَرُوكَ مِنْهُمْ ذَبِيرُ الْحِرَاقِفِ وَالْفَقَارِ مُوقِعُ
كَالْكَلْبِ يَتَّبَعُ خَانِقِيهِ وَيَنْتَحِي نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يَعْزُّ وَيَمْنَعُ

- (١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما في ل ، والقحر أصل معناه البير المسن .
(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه
أى لم ينهه عنه شيء . . . وفى ل : « ويمدى فى اللبان وفى النحر » .
(٣) هو المرار الفقمسى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .
(٤) ل : « فانعلم صنيع » .
(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وجاهلهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ و من عيون
الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هرومة النهيرى :

فما عادت للذى يمن رعوها ولا ضرت بفرقتها نزارا
كعنز السوء تنطخ من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع فى الجرّة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليدستقى مضغه
إلا أسمع^(١) وأقدر من الرجوع فى القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللجان أشد أكلا
ولا أشد عجابا به منكم^(٢) ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفتانها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود المشية فى الجرّة ، ورجوعها
فى الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع فى القيء . وقد زعمتم أن جرّة البعير
أنتن من قيء الكلاب لطول غبؤها^(٣) فى الجوف ، وانقلابها إلى طباع
الزبل ، وأنها^(٤) أنتن من التلظ . وإنما مثل الجرّة مثل الرقيق الذى ذكره
ابن أحرر فقال :

هذا الشاء وأجدِر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل^(٥)
فإنما مثل القيء مثل العذرة ؛ لأن الرقيق الذى زعمتم ، مادام فى فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف ما فى ل .

(٢) وضعت كلمة (به) فى ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والنيوب صحيحة ، والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريبا
وكما فى ل .

(٤) فى ط : « وأنه » وفى ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرّة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايل موضعه ، ومتى زايل فمَ صاحبه إلى بعض جلدِه اشتدَّ نذنه وعادَ في سبيل القىء .

١١٠ فالريقُ والجِرَّةُ في سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القىء والعذرة في سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قلَسَ حتى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينة له ، لكان في ذلك أحقُّ بالنظافة من الأنعام في جِرَّتِها ، وحشيتها وأهليتها ، وإنَّ الأرانِبَ لتَحِيضُ حَيْضاً نَتِناً ، فما عاف لحمها أصحابُ التَّقَدُّرِ (١) لمشاركتها الأنعام في الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عبتموه من أكلِ العذرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ في الماشية المتخير لحمها على اللحن ؛ لأنَّ الإبل والشيء (٢) كدَّها جلاثة وهُنَّ على يابس ما يخرج من الناسٍ أحرصُّ ؛ وعلى أنها إذا تعودت أكلَ ما قد جفَّ ظاهره وداخله رطبٌ ، رجع أمرها إلى ما عليه الكلب . ثم الدجاج لا ترضى بالعذرة ، وبما يَبْقَى من الحبوب التي لم يأت عليها الاستمراء والهضم ، حتى تلتمس الديدان التي فيها ، فتجمع نوعين من العذرة (٣) لأنها إذا أكلت ديدان العذرة فقد أتت على النوعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكم (٤) في هجائه الأنصار بخبيث الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقرز » وهو الاشمزاز . والتقدر من تقدر الشيء : عده قدرا .

(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فغزله واطرحه . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثل بالدجاج من بين جميع الحيوان ، وترك ذكر الكلاب وهي له مُعرِضة فقال :

وللأنصارَ آكلُ في قرأها ^١لِحَيْثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ (١)
ولو قال :

وللأنصارَ آكلُ في قرأها ^١لِحَيْثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
لكان الشعر صحيحاً مرضياً .

وعلى أن الكلاب متى شبع ، لم تعرض للعدرة . والأنعام الجلالة وكذلك الحافر ، قد جعلت ذلك كالحمض إذا كانت لها خلة ، فهي مرة تتغذى به ومرة تتحمض . وقد جاء في لحوم الجلالة ما جاء .

(رغبة الملوك والأشراف في الدجاج)

وملوكننا وأهل العيش منا ، لا يرغبون في شيء من اللحان رغبتهم في الدجاج ، وهم يقدمونها على البط والنواض ، والقبيج والدراج . نعم وعلى الجداء والأعنت الحمير من بنات الصفايا . وهم يعرفون طبعها وسوء قوتها (٢) ، وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون المسمنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيب ما في الأنهار من السمك ، وأحسنها قُدوداً وخرطاً ، وأسبؤها شبوطاً (٣) ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطرى ، وفي

(١) ل : « كخيث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوتة وسبوطا .

القريس والنشوط^(١) ، وليس في الماء سمكة رقيقة الذكر ولا ذات
نحول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإثها [في ذلك ^(٢)] لأشد
طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل
١١٦ الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضلونها .
ولولا التعبد لجري عندنا مجراه عند غيرنا .
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها^(٣) .

(ما قيل في الجري)

وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العميان ، وجيد في الكوشان^(٤)
ودواء للكليتين^(٥) ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على
اليهود ، وغيط على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة
بعض البدع ، ولم يفلح عليه مكثر منه قط ، وهو محنة بين المتبدع

(١) في القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفي مبادئ
اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش »
وفي ل : « القريس » وهما كلمتان محرفتان . وأما النشوط فهي كلمة ساقطة
من ط . والنشوط : سمك يمقر في ماء وملح .

(٢) التكلفة من الأميروزيانا .

(٣) في ط : « لأذناها محشوا » وفي ل : « لأذناها محشيا » ومحشيا ومحشوا كلمتان
مقحمتان فأسقطتهما . واللام في « لأذناها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في الكليتين » وهو تحريف .

والشَّبِيُّ ، هلك فيه فِئْتَانِ (١) مذ كانت الدنيا : محلُّ ومحرَّم .
وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلد ، ناقصُ الدماغ ،
يلتهم العذرة ويأكل الجرذان (٢) [صحاحاً والفأر] ، وزهْمٌ لا يُسْتَطَاعُ أَكْلُهُ
إِلَّا مُحْسِيًّا (٣) ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المسخ ،
لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرمَى
كلُّه إِلَّا ذَنْبَهُ (٤) .

والأصناف التي تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجلالات من
الأنعام والجري والشبوط من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاج
والرَّحْمُ والمداهد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرَّحْمَةِ لذلك ، أن سموها الأنوق ، حتى سموا كلَّ
شيءٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :
حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدَرَّى وَاكْتَحَلْ بِلِحَارْتَيْهِ ثُمَّ وَلَّى فَفَتَلْ
* رِزْقَ الْأَنْوُقَيْنِ الْقَرْنَبِيِّ وَالْجَلْعَلِ (٥) *

(١) ط : « فتيان » وليس بشيء .

(٢) ط : « يلتهم العذرة ويتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما في ل . وانظر ماسيات في ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبخ للبغدادى ٦٤
حيث ذكر صفة الحمى . وفي سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنبه » .

(٥) في الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر في الجعل)

ولشدة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبيت في مجلس الأعمام يربوهم كأنه شرطي بات في حرس
وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتوه بطعامٍ وأكل (٢) بات يعشى وحده ألقى جعل
هذا البيت يدل على عظم مقدار النجو ، فهجاه بذلك ، وعلى أن الجعل
يقتات البراز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا
لأن الشعر يرتفع عنه .
والشعر قوله :

نعم جار الخنزيرة المرضع الغر ثى إذا ما غدا أبو كلثوم (٣)
ثاويًا قد أصاب عند صديق من ثريد ملبق مأدوم (٤)
ثم أنحى بجمعه حاجب الشمه س فألقي كالمغلف المهذوم (٥)
بضريط ترى الخنازير منه عامدات لتله المركوم
وقال الراجز [في مثل ذلك] :

١١٢

قد دقه ثارده وضومعا (٦)

مئمت ألبان البخاتي جمععا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثي » ، وتصحيحه من ل ومن البيان
٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجمده » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومعة :
مدققة الرأس .

سَجَّجَةَ الْعَوْدِ ابْتَغَى أَنْ يَنْجِعَا (١) مُثِمَّتْ خَوَى بَارِكًا وَاسْتَرْجَعَا

* عَنْ جَاثِمٍ يُحْسَبُ كَلْبًا أَبْقَعًا (٢) *

وفى طلب الجعل للزبل قال الراجز (وهو أبو العُصْنِ الأَسَدِي) :

مَاذَا تَلَاقَى طَلَحَاتُ الْحَرْجِ مِنْ كُلِّ ذَاتٍ مُبْحَنِّي غَمَلِّجِهِ (٣)

ظَلَّ لَهَا بَيْنَ الْحَلَالِ أَرْجَهُ (٤) مِنَ الضُّرَاطِ وَالْفُسَاءِ السَّمِجِهِ (٥)

فَجَعَّتْهَا قَاعِدَةً مَنْشِجَهُ (٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدْحَرْجَهُ

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدَّكَ بِهِ جُعَلَهُ (٧) » . وقال الشاعر :

إِذَا أَتَيْتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي يُغْرَى بِهِ الْجُعَلُ (٨)

يضرب هذا المثل للرجل إذا لصق به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه

[وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء ، فكلمًا قام

لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرنى)

وفى القرنى يقول ابن مقبل :

- (١) ط : « جمجمة العواء تبغى تنجما » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .
- (٢) في القاموس : « البقع محرّكة في الطير والسكّاب كالبلق في الدواب » وفيه : « البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .
- (٣) ط : « نبختق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبختق : خرقة تشتمع بها الجارية .
- (٤) ل : « بين الحجال »
- (٥) ل : السهجة .
- (٦) ل : « مفسحة » .
- (٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هى سدك - بمعنى لزم - كما فى ل . وفى الأمثال : « ألصق من جعل » .
- (٨) شب ، أى أتيج . وعنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجاراتِ بالليلِ قابعاً قُبوعَ القَرْنَبِيِّ أَخْلَفَتْهُ مجاعره (١)
والقبوع: الاجتماع والتقبض . والقَرْنَبِيُّ : دويبةٌ فوق الخنفساء ودون
الجعل ، وهو والجعل يتبعان الرَّجَلَ إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّيرِ الذي يُضَارِعُ الرَّخْمَةَ في ذلك الهدهدُ ، متنُ البَدَنِ وإن لم
تجدَه ملطخاً بشيءٍ من العَدْرَةِ ؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أفحوصه من الرُّبْلِ ،
وليس اقتيائه منه إلاَّ على قَدْرِ رغبته وحاجته في ألاَّ يتخذ بيتاً ولا أفحوصاً
إلاَّ منه ، فخامره [ذلك] التَّنُّ فَعَلِقَ ببدنه وجرى في أعراق أبيوه ؛ إذ كان
هذا الصنيع عامّاً في جنسه (٢) .

وتعترى هذه الشَّهْوَةُ الذُّبَانَ ، حتَّى إنَّها لو رأتُ عسلاً وقَدْرًا ، لكانت
إلى القَدْرِ أسرعَ . وقال الشاعر (٣) :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قفامالكٍ يُقْصِي الهمومَ على بثقٍ (٤)
وأعظمُ زهوًّا من ذبابٍ على خِرًّا (٥) وأبجَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرَقٍ (٦)
ويزعمون أنَّ الرُّنْبورَ لهجٌ بصيد الذُّبَانَ ، ولا يكاد يصيده (٧) إلاَّ وهو

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ما في ل .
(٢) ط : « إذ كان هذا التضييع عاما في جنبه » وهو تحريف ما في ل .
(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني كما سيأتي وكما في البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار
١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر في هجاء جعفر بن يحيى البرمكي .
(٤) البثق : منبعث الماء . ماعدال : « ثبق » .
(٥) ل : « خر » .
(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإذا أكل لحمه فمراق - كمراب - أو
كلاهما لكليهما .
(٧) ط : « يصيد » والوجه ما في ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ولا ستفراغها] ، فيعرف الزنهور ذلك ، ١١٣
فيجعل غفلته فرصة ونهضة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجده يروم صيده
وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الخلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسَ الْأَنْتَانِ وَالْقَنْدِرَةَ
وَابْنَ عَمِّ الْحَمَارِ فِي صُورَةِ الْفَيْلِ وَخَالَ الْجَامُوسِ وَالْبَقْرَةَ
يَمْشِي رُوِيْدًا يَرِيدُ حَلْقَتَكُمْ كَمْشَى خِنْزِيرَةً إِلَى عَذْرِهِ (١)
وقال حمادُ عَجْرَدٌ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعُقَيْلِيِّ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شِبْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوْرًا
أَشْبَهَ بِالْخِنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا (٢)
وَلَا رَأْيًا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا (٣)
لَوْ طَلَيْتُ جِلْدَتَهُ عُنْبْرًا لِنَتْنَتِ جِلْدَتُهُ الْعَنْبِرَا (٤)
أَوْ طَلَيْتُ مِسْكًَا ذَكِيًّا إِذَنْ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا

وقال أبو نُؤاسٍ فِي هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ :

إِذَا مَا مَدَحْتُ قَتِيَّ مِنْ خِرًا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرَا (٥)

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلْمُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كَانَ مُتَنِّبَ الْعَرَقِ :

(١) ط : « يريد خلقتكم مثنى » والوجه ما في ل .

(٢) المكسر - كنزل - : الأصل والخير .

(٣) اللطفس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتمهد نفسه . وطفس كقذر وزنا ومعنى -

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفدت » .

(٥) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا (١) وَرَعَدَتِ حَافَتُهُ وَبَرَقَا
أَهْلَكَتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءِ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبِثْ شَيْءٌ عَرَقَا وَخِرَقَا (٢) *

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فَثَلُّ الْكَلْبَ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ (٣)
بَلْ لَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرُّ مَنْ السَّكَّابِ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَلِرِيحِ الْخِنْزِيرِ أَطِيبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التَّبَّانِ
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن عمير :

غَزَا ابْنَ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتَ لَهُ ثَنَاءً كَرِيحِ الْجَوْرِبِ الْمُتَخَرِّقِ ١١٤
وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ (٤) :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَغْرِ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ (٥)
لِلْقَرْدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرِغْمِ الْقَرْدِ أَوْ تَعْسِهِ (٦)
لِلْقَرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارُ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ (٧)
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْمَةٍ بِنَايِهِ يَا قَرْدُ أَوْ ضِرْسِهِ
نَهَارُهُ أَخْبِثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبِثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إذا عارضني تألقا » .

(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .

(٣) في ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . والشعر من الحفيف لحقه التثنية في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنخيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . في رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نخسه » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « مالمذي أدناك » .

وليس بالمقلِّحِ عن غِيَّهِ (١) حتى يُدَلِّي القِرْدُ في رَمْسِهِ
 ما خَلَقَ اللهُ شَبِيهاً له من جِنِّهِ طَرًّا ومن إنْسِهِ
 والله ما الخَنْزِيرُ في نَتْنِهِ من رُبْعِهِ بالعُشْرِ أو خُمْسِهِ
 بل رِيحُهُ أَطيبُ من رِيحِهِ ومُسَّهُ أَلْيَنُ من مَسِّهِ
 ووجْهُهُ أَحْسَنُ من وجْهِهِ ونَفْسُهُ أَتَبَلُ من نَفْسِهِ
 وعودُهُ أَكْرَمُ من عودِهِ (٢) وجِنْسُهُ أَكْرَمُ من جِنْسِهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرف وضعه الخنزير بهذا المكان وفي هذا
 الموضوع ، حين يقول : وعوده أكرم من عوده .

وأىُّ عودٍ للخنزير (٣) ؟ ! قَبَّحَهُ اللهُ تعالى ، [وقبح من يشبهى أكله] .

وقال حمادُ عجرد في بشارِ بن بُرد :

إِنَّ ابنَ بُرْدٍ رأى رُؤْيَا فَأَوَّلَهَا (٤)
 رأى العَمَى نِعْمَةً اللهُ سَابِغَةً
 وقال : لو لمْ أَكُنْ أَعْمَى لَكُنْتُ كَمَا
 أَكَدُّ نَفْسِي بالتَطْيِينِ مَجْتَهِدًا
 أو كُنْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَقْنَعْ بِفَعْلِ أَبِي
 كإِخْوَتِي دَائِبًا أَشْقَى شِقَاءَهُمْ
 فقد كَفَانِي العَمَى من كُلِّ مَكْسَبَةٍ
 بلا مَشُورَةٍ لإنْسَانٍ ولا أَثَرٍ
 عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَكْفُوفًا عَنِ النَّظَرِ
 قد كَانَ بُرْدٌ أَبِي فِي الضِّيْقِ والعُسْرِ
 إِمَّا أَجِيرًا وإِمَّا غَيْرَ مُؤْتَجِرٍ
 قَصَّابَ شَاءَ شَقِيَّ الجَدِّ أو بَقَرٍ
 فِي الحَرِّ والبرْدِ والإِدْلاجِ وَالْبُكْرِ
 وَالرِّزْقِ يَأْتِي بِأسْبَابٍ مِنَ القَدَرِ (٥)

(١) كذا في معاهد التنصيص . وفي ط : « غيله » و ل : « فعله » .

(٢) ط : « أحسن » وارتضيت ما في ل ومعاهد التنصيص .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم . ووضع الكلام بهذه
 الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، ستمدا ما في ل .

(٤) ل : « فقال بها » .

(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

فصرتُ ذَانِشَبٍ من غير ما طلب
أضْمُ شَيْئاً إلى شَيْءٍ فَأَذْخَرَهُ (٢)
مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ زَمِيناً
فَقُلْ لَهُ لَا هِدَاةَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ
يَا ابْنَ النَّبِيِّ نَشَرْتَ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتَيْهَا
أَمَا يَكْفُفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
نَفْتَكَ عَنْهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
يَا عَبْدَ أُمَّ الطَّبَّاءِ الْمَسْتَطَبِّ بِهَا
بَلْ أَنْتَ كَالْكَلْبِ ذُلًّا أَوْ أذْلُ وَفِي
وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ
وَوَصَفِ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ حُشًّا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :
وَلِي كَنْيْفٌ بِمُحَمَّدٍ اللَّهِ يَطْرُقُنِي أَرْوَاحُ وَادِي خَيْبَالٍ غَيْرِ فَتَّارٍ (٩)

(١) ط : « إلا بمسألتي إن كنت في صفر » وهو تحريف .

(٢) ط : « فأخززه » .

(٣) العرر : المساوي والمثالب . في ط : « لاهدك الله » .

(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف ، وفيها « قد وفقت في النظر » .

(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . في أدب الكاتب ١٥٧ :

« الذفر : شدة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث » .

(٧) ط : « فسل أسيداً أو فاسأل » .

(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن

أمثالهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركاً في هذا الشعر . وفي ط :

« وفي نذالة النفس والخنزير والنقر » .

(٩) كذا في ل . وفي ط : « وارى خيال » ، وفي س : « وادى خيال » وفي م :

« واد خيال » .

له بدائع نئن ليس يعرفها^(١) من البرية إلا حازن النار
 إذا أتاني دخيل^(٢) زادني بدعاً كأنه لهج عمداً بإضراري
 قد اجتواني له الخلان كلهم وباع مسكته من قربه جاري
 فن أراد من البرسام أقتله أو الصداع فره يدخلن داري
 استكف النئن في أني اسكرته فليس يوجدني غير إضماري^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول^(٤) : ويلك ، ما حفظت بيت شعر قط ؟ فقال : بيتاً
 واحداً أشبهته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إنني^(٥) لا أحفظ إلا بيتاً
 واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشده ، فأنشدهم :

كأئما نكتهتها مده تسيل من مخرطة مجذوم

وزعم أصحابنا أن رجلاً من بني سعد - وكان أنتن الناس إبطاً - بلغه أن

ناساً من عبد القيس يتحدونه برجل منهم ، فضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦
 وقد أزيد^(٦) إبطاه ، وهو يقول :

أقبلت من جلته ناعتينا^(٧) بذي حطاط يعطس الخنونا^(٨)

(١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشئ .

(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .

(٣) يوجدني : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .

(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البلاء ٩٩ ما يفيد أن المحلول

مولي لتمام بن جعفر .

(٥) في الأصل : « أما أنا » .

(٦) ط : « زيد » .

(٧) في معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما . . وفي

ط : « باعينا » محرفة .

(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان في الإبل

وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « بسنى حضيض يعطس الخنونا »

وهو تحريف .

يَزْوِي لَهُ مِنْ نَنْتِنِهِ (١) الْجَيْينَا حَتَّى تَرَى لَوَجْهِهِ غُضُونَا
* نُبَيْتَ عَبْدَ الْقَيْسِ يَا بَطُونَا *

قال : ومَتَحَ أعرابِيُّ عَلَى بئرٍ وَهُوَ يَقُولُ :

يَارِيهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنَّي جَانِي عُبَيْثِرَانِ (٢)

وقال آخر :

كَأَنَّ إِبْطِيَّ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةُ خُرْءٍ مِنْ كَوَامِيخِ الْقَرَى (٣)
ويقال إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَائِحَةٌ أَنْتَنُ ، وَلَا أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ ،
مِنْ بَخْرِ فَمٍّ أَوْ نَتْنِ حَرٍّ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ رَائِحَةٌ أَعْصَمُ لِرُوحٍ مِنْ
رَائِحَةِ النَّفْحِ .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعْافُونَ تَسْمِيدَ بَقُولِهِمْ قَبْلَ
مُجْمِئِهَا وَتَفْتُقِ بَزُورِهَا (٤) وَلَا بَعْدَ انْتِشَارِ وَرْقِهَا وَظُهُورِ مَوْضِعِ اللَّبِّ مِنْهَا
حَتَّى رُبَّمَا ذَرُّوا عَلَيْهَا السَّمَادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يَرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى يَشْرَبَ
اللَّبُّ (٥) قُوَى الْعَدْرَةِ ، بَلْ مَنْ لَهْمُ بِالْعَدْرَةِ ؟ ! وَعَلَى أَهْمِ مَا يَصْبِيُونَهَا
إِلَّا مَغْشُوشَةً مُفْسَدَةً . وَكَذَلِكَ صَنِيعُهُمْ فِي الرِّيحَانِ . فَأَمَّا النَّخْلُ
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا (٦) أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْذَاعَ طَلِيًّا (٧) لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِدُونَ بِهَا

(١) ط : « من شته » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من
القيصوم ونوره مثل نورد وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا
أن له شمراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالذى يكون في وسط الأقحوان .
ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى فى ط :
« عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لقحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « يذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما فى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الْحَمَامَاتِ وَأَتَاتِينَ الْمِلَالِ (١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سعادهم الأبعادُ
كلَّهَا والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بين الثَّلَطِ جَافًا والخبثاءُ يابسًا ، وبين العَدْرَةِ
جَافَةً ويابسَةً فرق . وعلى أَنَّهُمْ يعالجون بالعَدْرَةِ وبُحْرَى السَّكْبِ ، من
الذُّبْحَةِ والخَانُوقِ (٢) في أَقْصَى مواضع التَّقْرِزِ (٣) وهو أَقْصَى الحلقِ ،
ومواضع اللهاة (٤) ، ويضعونها على مواضع الشُّوكَةِ ، ويعالجون بها
عُيُونَ الدَّوَابِّ .

(أقوالُ مسَبِّحِ السَّكْنَسِ)

وقال مسَبِّح (٥) السَّكْنَسِ : إِتَمَّا اشْتَقَّ الخَيْرَ مِنَ الخُرِّ . والخُرُّ في النومِ
خير . وَسَلْحَةٌ مُدْرِكَةٌ أَلْذُّ مِنْ كَوْمِ العَرُوسِ لَيْلَةَ العُرْسِ . ولقد دخلتُ على
بَعْضِ الملوِكِ لبعضِ الأسبابِ ، وإذا به قُعَاصٌ وَزُكَامٌ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وإذا
ذلك قد طاوله ، وقد كان بلغني أَنَّهُ كان هَجَرَ الجُلُوسِ على المقعدةِ وإِتْيَانِ
الخلَاءِ ، فأمرته بالعودِ إلى عادته ، فما مرَّت به أَيامٌ حتى ذهب ذلك (٦) عنه .
وزعم أن الدنيا مُنْتِنَةٌ الحِيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، والأَنْهَارِ والأودِيَةِ ، إِلاَّ أَنَّ
النَّاسَ قد غمَّهم ذلك لِنَتَنِ الحِيْطِ بِهَمِّهِمْ ، وقد حَقَّ حِسْمٌ لَهُ طَوْلٌ مُكْتَنُهُ ١١٧
في خِيَاشِمِهِمْ . قال : فَمَنْ ارْتَابَ بِخَبْرِي ، فليَقِفْ في الرَّدِّ إلى أن يمتحنَ
ذلك في أوَّلِ ما يخرُجُ إلى الدنيا ، عَن بَيْتِ مطِيبٍ ؛ وَلِيَتَشَمَّمْ (٧) تَشَمَّمْ

(١) المليل : الخبز واللحم وضعت في الملة . والملة : الرماد الحار . وفي ل : « القلال » .

(٢) الذبحة : وجع في الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفي ط : « الخانوق »
موضع الخانوق .

(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف ما في ل .

(٤) ط : « ومواضع اللهاة » وهو تحريف .

(٥) ط : « مسيح » .

(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .

(٧) ط : « ليشم » .

المتشَبِّث . عَلَى أَنَّ الْبَقَاعَ تَفَاوَتْ فِي النَّتَنِ . فَهَذَا قَوْلُ مَسْبُوحٍ ^(١) الْكِنَّاسِ .

(عصبية سامويه وابن ماسويه)

وزعم لي سَلْمَوِيَه وابن ماسويه مُتَطَبِّبَا الخلفاء ^(٢) ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ جِيْفَةٌ أَنْتَنٌ نَنْتَنًا وَلَا أَثْقَبٌ تُقْبَوًا مِنْ جِيْفَةِ بَعِيرٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي وَهَمَهُمَا ذَلِكَ عَصَبِيَّتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبِغَضِّهِمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي السُّكْتَبِ بِرَاكِبٍ ^(٣) الْبَعِيرِ . [وَيُقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ الْجِيْفِ أَنْتَنٌ ؟ فَقِيلَ : جِيْفُ السُّكْلَابِ . فَأَمْتَحَنَتْ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَنٌ مِنْهَا جِيْفُ السَّنَانِيرِ ، وَأَنْتَنٌ جِيْفُهَا الْمَذْكُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْنَ جِيْفَتَيْ سَنُورَيْنِ ذَكَرَيْنِ ^(٤)] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النَّتَنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لِعَلَّكَ إِنْ تَفَقَّدْتَهُ أَنْ تَوَافَقْتَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النَّتَنُ فَإِنِّي لَمْ أَشَمَّ شَيْئًا أَنْتَنَ مِنْ رِيحِ حُشٍّ مُقَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْحِصْيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ؛ فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمِ الْمُرَادِفَةِ الْمُرَاكِبَةَ ^(٥) وَلِرِيحِ الْقَارِ وَرِيحِ هَوَاءِ الْحُشِّ ^(٦) وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحٍ

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدام المعتصم . ترجم له القفطي ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خدام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ ليسك ، ٤١١ مصر .
وفي ط : « مطيب الخلقاء » وصحته في ل .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) في المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبواهم المتراكاة » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح دوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهةً من النَّتْنِ ومذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الرُّوح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الخلاء غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأما الطَّيبُ فإنَّه لم أشمَّ رائحةً قطُّ أحياءاً للنفس ولا أعصمَ للرُّوح ، ولا أفتقَ ولا أغنج ، ولا أطيَّبَ خمره من ريحِ عَرُوسٍ (١) ، إذا أحكمت تلك الأخلاط ، وكان عَرَفَ [بدنها] ورأسها وشعرها سالياً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلاَّ ريحُ الجنة .

(ما قيل في الظَّربان)

ومما قالوا في النَّتْنِ ، وفي ريحِ جُحْرِ الظَّربانِ خاصَّةً ، قول الحكم ابن عبدل :

ألقيتَ نفسَكَ في عَرُوضِ مَشَقَّةٍ	ولحصدُ أنفِكَ بالمناجِلِ أهونُ (٢)
أنتِ امرؤٌ في أرضِ أمكَ فلفلٌ	جَمٌّ وفضلنا هُناك الدَّنِينُ (٣)
فبحقِّ أمكَ وهى منك حقيقةٌ	بالبرِّ واللطفِ الذى لا يُخزَنُ
لا تُدنِ فاكَ من الأميرِ ونحوه	حتى يداوى ما بأنفِكَ أهْرَنُ (٤)
إن كان للظَّربانِ جُحْرٌ مُتِنٌ	فلجُحْرِ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهْرَنُ القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبيك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧

وفى ط : « أهون » والصواب فى ل وفيها سيأتى قريباً ، وفى عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الطَّربان - حين رمى قوماً بأنهم
يَفْسُون في مجالسهم ، لأنَّ الطَّربان أُنْتُنُ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فَسْوَةً . وقد عَرَفَ
الطَّربانُ ذلكَ فجعَلَه من أَشَدِّ (١) سِلَاحِه ، كما عَرَفَتِ الحُبَارَى مَا فِي
١١٨ سُلَاحِهَا من الآلة ، إِذَا قَرَبَ الصَّقْرُ مِنْهَا . وَالطَّربانُ يَدْخُلُ عَلى الضَّبِّ
جُحْرَه وَفِيه حُسُولَه أَوْ بِيضُه ، فَيَأْتِي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ فِي الجُحْرِ فَيَسُدُّه
بِيَدِيه ، وَيَحْوِلُ اسْتَه فَلَا يَفْسُو ثَلَاثَ فَسَوَاتٍ حَتَّى يُدَارَ بِالضَّبِّ فَيَخِرُّ (٢)
سُكْرَانًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَيَأْكُلُه ، ثُمَّ يَقِيمُ فِي جُحْرَه حَتَّى يَأْتِيَ عَلى آخِرِ حُسُولَه .
وتقول العرب : إِنَّه رَبَّمَا دَخَلَ فِي خِلَالِ الهَجْمَةِ فَيَفْسُو ، فَلَا تَمُّ
لَه ثَلَاثُ فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الإِبِلُ عَنِ المَبْرَكِ ، تَتْرَكُه وَفِيه قِرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهَا
الرَاعِي ، إِلاَّ بِالْجُهْدِ الشَّدِيدِ .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَدِيلٌ غَنَاؤُهُمْ فِي الهِيَاجِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرٍ شَدِيدِ
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرُ هَرِيرَ العَقُورِ الرَّصُودِ (٣)
وَأَنْتُمْ ظُرَابِيٌّ إِذْ تَجْلِسُونَ وَمَا إِنْ لَنَا فَيْكُمُ مِنْ نَدِيدِ (٤)
وَأَنْتُمْ تِيُوسٌ وَقَدْ تُعْرَفُونَ بِرِيحِ التُّيُوسِ وَقُبُحِ الحُدُودِ (٥)

قال : ويقال : « أفسى من الطَّربان » ويسمى مفرَّقَ النَّعَمِ ،
يريدون من نثن رِيحِ فُسَائِه . ويقال في المثل - إِذَا وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ

(١) ط : « أحد » .

(٢) ط : « فيحز » وصوابه في ل و ثمار القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثيل ، وفي ط : « مزيد » وهو تحريف ما في ل و ثمار القلوب .

(٥) ط : « الجلود » وفي الثمار : « وثن الجلود » .

شرًّا فتباينًا وتقاطعًا - : « فسا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أَنْتَن مِنْ ظَرِبَان » لأنَّ الضَّبَّ إِنَّمَا يَخْدَعُ (١) فِي جُحْرِهِ وَيُوغِلُ فِي سِرْبِهِ لَشِدَّةِ طَلْبِ الظَّرِبَانِ لَهُ . وقال الفرزدق في ذلك :

ولو كنتُ في نارِ الجحيمِ لأصْبَحْتُ ظَرَابِيُّ من حِمَّانٍ عَنِّي تثيرها (٢)

وكان أبو عبيدة يُسَمِّي الحِمَّانِيَّ صَاحِبَ الأَصَمِّ : الظَّرِبَانِ (٣) ، يريد هذا

المعنى ، كما يسمى كل حِمَّانِيٍّ (٤) ظَرِبَانًا .

وقال ابن عبدل :

لا تُدْنِ فَالِكَ من الأَمِيرِ ونَحْه حَتَّى يداوِيَ ما بَأْنَفِكَ أَهْرَنُ
إِنْ كانَ لِلظَّرِبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلَجُحْرِ أَنْفِكَ يا مُحَمَّدُ أَنْتَن

في شعره الذي يقول :

لَيْتَ الأَمِيرَ أَطاعِنِي فشفيتُهُ من كلِّ مَنْ يُكْفِي القَصِيدَ وَيَلْحَنُ

مُتَسَكِّورٌ يَحْثُو السَّكَّامَ كما تَمَّا باتتْ مَنَاحِرُهُ بَدُهْنٍ تُعَرَّنُ (٥)

وَبَنِي لَهْمٍ سَجَنًا فَكُنْتُ أَمِيرَهُمُ زَمَنًا فَأَضْرَبُ مَنْ أَشَاءُ وَأَسْجُنُ

قُلْ لابنِ آكِلةِ العِفاصِ مُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتَ من حَبِّ التَّقْرُبِ تَجِبُنُ (٦)

أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضِ مَشَقَّةٍ وَحَصَدُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ ٩١٩

أَنْتَ امْرُؤٌ فِي أَرْضِ أَمِّكَ فَلْفَلُّ جَمٌّ وَفَلْفَلْنَا هُنَاكَ الدَّنْدِنِ

(١) خدع الضب في جحره : دخل . وفي ط : « يشخدع » وهما بمعنى .

(٢) البيت في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تثير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط .

(٤) في الأصل « حمان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفي ط :

« متكوراً » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التمزب تختن » وهو تحريف مافي ط وما في م .

فبحقُّ أُمَّكَ وهى منك حقيقةً
 لا تُدَنِّ فَاكَ من الأميرِ ونَحَّه
 إنْ كَانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مِنِّينُ
 فسَلِ الأميرَ وَأنتَ غيرُ موقِّ
 وسَلِ ابنَ ذَكْوَانَ تَجِدُهُ عَالِمًا
 إذْ أنتَ تَجْعَلُ كلَّ يومٍ عَفْصَةً^(٤)
 أشبهتَ أُمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ
 فلئنْ أصبتَ دراهمًا فدفنتها
 فبما^(٥) أراكِ وَأنتَ غيرُ مُدْرِهِمِ
 إذْ رأسُ مَالِكِ لُعْبَةٌ بَصْرِيَّةٌ
 وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوْتُ^(٧) محمداً ودخانُ فيه
 ركبْتُ إليه فى رَجُلٍ أَنانى
 فقلتُ له ولم أعجلْ عليه ،
 فأعْرَضَ مُكَمِّحًا عَنى كَأَنى
 كَرِيحِ الجَعْرِ فوقَ عَطِينِ جِلْدِ
 كَرِيمِ يَطْلُبُ المَعْرُوفَ عِنْدى
 وذلكَ بعدَ تَقْرِيطى وَحَمْدى
 أ كَلِّمُ صَخْرَةَ فى رَأْسِ صَمْدِ^(٨)

- (١) ط : « لايجزن » وهو تحريف .
 (٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغانى ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب
 وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
 (٣) من الخزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تجزن » .
 (٤) ط : « غمصة » .
 (٥) ل : « لبما » وهما سيات .
 (٦) المغربية : الشديدة البياض . ط : « معربة » بالعين .
 (٧) ل : « فقلت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . والبيت فى اللسان (نجما)
 بدون نسبة . والتقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 (٨) المكحج : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل .
 والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « صمد » بالصاد
 ولا يتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ (١) لِيَدُنُو فَمَا يَزِدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مَسْتَهْنِ يَمِينًا أبا بَجْرٍ (٢) لَسْتُ خَمَنَ رَدَى
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْدَبَ مِنْ تَمِيمٍ لَخَفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
نَجْوَتُ (٣) مُحَمَّدًا فَوَجِدْتُ رِيحًا كَرِيحِ السَّكَابِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدٍ
وَقَدْ أَلْدَعْتَنِي (٤) ثَعْبَانِ نَنْنٍ سَيَبِلُغُ إِنْ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدٍ
وَأَذْنِي خَطْمَهُ فَوَدِدْتُ أُنِّي قَرَنْتُ (٥) ذَنُوهُ مِنِّي بِيُعْدٍ
كَمَا افْتَدَتِ الْمَاعِذَةُ مِنْ جَوَاهُ (٦) بِخَلْعَتِهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَزْنِدٍ ١٢٠
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَا حَتَّ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَسِيرٍ قَدِّ (٧)
وَقَدْ أَدْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتِّي قَتَلْتُ بِذَلِكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدٍ
وَمَا يَدُنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَأُو طَائِبُ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ (٨)
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا زَعَا فَا إِنْ هَمَمْنَا لَهُ بِوَرْدٍ (٩)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهُ عَلَيَّ فَوْحًا بِمِثْلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمَغْدِّ (١٠)
فَقَاتَ لَهُ : تَنَحَّ بِفِيكَ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحِ قُتَارِ رَنْدٍ (١١)

- (١) الآصرة : الرحم والقراية . وفي ل : « ذى صر » وليس بشيء .
(٢) البخر ، بالتحريك : نتن النهم . وفي ل : « بخر » والوجه ما في ط .
(٣) ماعدا ل : « نجوت » بالخاء ، وهو تحريف . وانظر ما سبق وكذا المحمص ١١ : ٢٠٩ .
واللسان (جلد ، نجاء) .
(٤) ط : « لدعتني » .
(٥) كذا في ط . وفي ل : « فديت » .
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت في الأصول متأخر عن البيت الذي بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « زعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .
(١٠) الغثيثة : القميح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المغد » وهو تحريف .
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عن »
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاً واسكن
فحدثني فإنَّ الصّدق أدنى
أباتَ يجولُ في عَفَجٍ طحور
[نكِهتَ عليَّ نكهةَ أخذريَّ]
فإنَّ أهديتَ لي من فيكَ حتفي
لکم شُرُداً يسرن مغنّياتِ
أما تخزي خزيت لها إذا ما
لأرجو إن نجوت ولم يُصنبي
وقلتُ له : متى استطرفتَ هذا
فقلتُ له : أما داويتَ هذا
فقال : أما علمتَ له رِقَاءً
فقلتُ له : ولا آلوه عيا
عليكَ بقيئةٍ وبجعرِ كَلْبِ
وحلتيتِ وكُرَّاثِ وثومٍ
وحنجرَةَ ابنِ آوى وابنِ عرسٍ

يفوحُ خِرَاكَ منه غيرَ سَرْدٍ (١)
لبابِ الحقِّ من كذبٍ وجحدٍ
فأعلمُ أم أتاكَ به مُعَدِّي (٢)
شتمٍ أعصلِ الأنيابِ ورَدِ [
فإنَّ كالذي أهديتَ أهدي (٣)
تكونُ فنونُها من كلِّ فندٍ (٤)
رَوَاها النَّاسُ من شيبٍ ومُردٍ (٥)
جَوَى إني إذن لسعيدٍ جدِّ
فقال أصابني من جوفِ مَهدي
فتعذر فيه آمالا بجهدٍ (٦)
فتسديه لنا فيما ستسدي (٧)
له فيما أسرُّ له وأبدي (٨)
ومثلي ذاك من نونٍ كنعدي (٩)
وعُودِي حَرَمَلٍ ودماغِ فهدٍ (١٠)
ووزنِ شَعيرةٍ من بزرٍ فقدي (١١)

- (١) (الطلاء، بالكسر : الخمر . وفي ط : « فيه غير سرد » .
(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفي ط :
أبت تجول في عفج طحون فاعلم إذا أتاك به معدي (كذا)
(٣) ل : « مهد » .
(٤) الفند ، بالكسر : النوع . وفي ط : « قند » ولا وجه له .
(٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه ما في ل . ل : « رآها الناس » والوجه ما في ط .
(٦) كذا .
(٧) في الأصل : « تسدي » ولا يستقيم بها القول .
(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفي البيت كلمة « عيا » وهي محرفة .
(٩) كذا في ل . وفي ط : « من لون كهتمدي » .
(١٠) ط : « وحنثيت » والصواب باللام كما في ل .
(١١) في القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفي ل : « فقد » بتقديم التثانف وهو
تصحييف . وفي ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلي » .

وَكَفَّ ذُرْحَرِحٌ^(١) ولسانِ صقرٍ ومثقالين من صوان رَقْدٍ^(٢)
يُدَقُّ وَيُعْجَنُ المنخول منه ببولِ آجِنٍ وبجَعْرِ قِرْدٍ
وتدْفِنُهُ زماناً في شعيرٍ وترقبه فلا يَبْدُو لِبَرْدٍ^(٣) ١٢١
فدَحْنُ فَاكٍ ما عَتَّقَتْ منه ولا يعجن بأظفارِ وَندٍ^(٤)
فإن حَضَرَ الشتاءَ وأنتَ حَيٌّ ، أراك اللهُ غَيِّكَ أمرَ رَشْدٍ^(٥)
فدَحْرَجْهَا بنادِقٍ وازدردِها متى رُمْتَ الشكْمُ أَى زَرْدٍ
فتَقْدِفُ بالمِصَلِّ على مِصَلِّ ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ^(٦)
وويَلِّكُ ما لِيَطْنِكَ مَذْ قَعْدُنَا كَأَنَّ دَوِيَّةً إِرْزَامَ رَعْدٍ^(٧)
فإنَّ الحِصَّةَ الناسورِ عندي دواءً إن صبرتَ له سِيْجِدِي
يُمِيتُ الدَّوَدَ عنكَ وتَشْتَمِيهِ إن أنتَ سَنَنْتَهُ سَنَ المَقْدِي^(٨)
به ، وطليته بأصولِ دِفْلِي وشيءٍ من جَنَى لَصْفٍ ورَنْدٍ^(٩)
أَطْيَ مِيتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهانَ اللهُ من نَاجَاهُ بَعْدِي

- (١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط :
- « زرحرح » ول : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
- (٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه . وفي ط : « رقد » محرفة .
- (٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » لنتجه القول .
- (٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .
- (٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
- (٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ وربما ، ومثله المصمعد والمسمعد . وفي ل : « مصمعد » .
- (٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .
- (٨) السن : الصب في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد » وفي ط « المقد » محرفتان .
- (٩) الدفلي : نبت مر قتل زهره كالورد الآخر وحمله كالحرنوب . واللصف : نبت ورقة كورق لسان الحمل أودق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سعدي » موضع « دفلي » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفي ل : « زيد » وليس بشيء .

(أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكر أشعار العرب في هجاء الكلب مجرداً على وجهه ، ثم نذكر ما ذموا من خلاله وأصناف أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشار بن برد :

عددت سويداً إذ فخرت وتولباً ولاسكلب خيراً من سويد وتولب
وقال بشار أو غيره :

أتذكر إذ ترعى على الحى شاءهم وأنت شريك السكلب في كل مطعم
وتلحس ما في القعب من فضل سوره وقد عاث فيه باليدين وبالفم
[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يتيب به ^(١) ويترك المال لعام جذبته
* يهن على الناس هوان كلبه] *

وقال آخر :

إن شريبي لا يغب بوجهه كإوى كأن كلباً يهارش أكلباً ^(٢)
ولا أقسم الأعطان ^(٣) بيني وبينه ولا أتوقاه وإن كان مجرباً
وهجا [أبو] الأحوص ^(٣) ابنأله فشبّه بجرو كلب فقال :
أقبح به من ولد وأشقى مثل جرى ^(٤) الكلب لم يفقح

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يشبه » وهو تحريف إملائي . وفي

البخلاء ١٥٥ : « يشبه » وليس بشيء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شراي لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعكان » .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفي ل : « جرى » .

إِنَّ يَرِ سُوًّا مَا يَقُمُ فَيَنْبِغُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ^(٢)

١٢٢

وَقَالَ أَبُو حُزَابَةَ^(٣) :

يَا ابْنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لَعَيْرٍ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ^(٤)

قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ أَنْكَ أَنْتَ النَّاقِصُ الْفَاءِ^(٥)

حَبَلَقَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَغْمُهُ الْمِزْرُ وَالرُّدَاءُ

بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سُوءٌ كَأَنَّهُمْ زَيْنِيَّةُ جِرَاءِ^(٧)

وَقَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ، وَذَكَرَ قُبْحَ وَجْهِهِ [فَقَالَ] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوًّا بِوَجْهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلِ^(٨)

فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلِ

(١) ط : « إن يرسوء لم يقم فينبغ » .

(٢) ط : « خلقة المستفتح » .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « أبو خدانة » . وأبو حزابة هو الوليد

ابن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر

وسكن البصرة ثم اكتب في الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها

مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . قال

أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر

الأغاني ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ ، والمشتبه للذهبي ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البدل . وفي ل : « أنت لقبير طلحة الفداء » وفي الأغاني ١٩ :

١٥٣ : « أنت لعين طلحة الفداء » . وابن علي هذا هو عبد الله بن علي بن علي

ولي سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذي يقال له

طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن علي . وكان طلحة يحب

ابن حزابة ، وكان عبد الله شحيحا مسكا .

(٥) اللقاء ، كسحاب : الحسيس الحقير . وفي ل : « اللقاء » وهو تحريف .

(٦) الخبلق : غم صغار لا تكبر أو قصار المذم ودماها . وفي ط « الدعاء » موضع

« الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفي الأغاني « بنو علي » . . . الخ .

(٨) كذا في ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفي ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذؤبَابِ السَّعْدِيُّ^(١) في هَوَانَ الكلب :

لِكِسْرَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ تَمِيمٍ لِيَالِيَ فَرَّ مِنْ أَرْضِ الضَّبَابِ
وَأَسْكَنَ أَهْلَهُ بِيَلَادِ رَيْفٍ وَأَشْجَارِ وَأَنْهَارِ عِذَابِ
فَصَارَ بَنُو بَنِيهِ لَهَا مُلُوكًا وَصَرْنَا نَحْنُ أَمْثَالَ الْكِلَابِ
فَلَا رَحِمَ الْإِلَهَ صَدَى تَمِيمٍ فَقَدْ أُرْرَى بِنَا فِي كُلِّ بَابِ
وَأَرَادَ اللَّعِينُ^(٢) هِجَاءَ جَرِيرٍ - وَجَرِيرٌ مِنْ بَنِي كُليبٍ - فَاشْتَقَّ

هِجَاءَهُ مِنْ نَسَبِهِ فَقَالَ :

سَأْفِضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كُليبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَيْثُ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْجَلُ فِي سَفَالِ
كِلَا الْعَبِيدِينَ - قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ لَتَيْمِ الْأَصْلِ مِنْ عَمِّ وَخَالِ
فَمَا بُقِيًّا عَلَيَّ تَرْكُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ
وقال رجلٌ من همدان ، يقال له الضَّحَّاكُ بن سعد^(٣) ، يهجو مروان بن محمد

ابن مروان بن الحسك ، واشتقَّ له اسماً من الكلب فجعله كلباً فقال :

لِحَجِّ الْفِرَارِ بِمَرْوَانَ فَمَلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومِ ظَلِيمًا هُمُّهُ الْهَرَبُ^(٤)
أَيْنَ الْفِرَارِ وَتَرَكْتُ الْمَلِكُ إِنْ قَبِلْتُ مِنْكَ الْهُوَيْنِي فَلَادِينُ وَلَا أَدَبُ^(٥)

(١) أبو ذؤبَابِ السَّعْدِيُّ : صحابي شاعر ، من سعد العشيرة . له في إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو في ط : « ابن دب » وفي ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها في الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زمة المنقري ، من بني منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض مابي جل مأكله إلا تنفجه عندي إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول ليل الضيف قد ولدا

(٣) نسبة العسكري في ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن المعاصي .

(٤) ط : « عاد الظلم ظلماً » . والظلم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبري ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَأَسَةَ الْحَلْمِ فِرْعَوْنَ الْعَذَابِ ، وَإِنْ يُطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ
وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللؤم :

١٢٣

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وكذلك قول الأسود بن المنذر (١) ، فإنه قال :

فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقَبَابِ (٢)
يُهِنُ سَرَاتِكُمْ جَاهِداً وَيَقْتُلِكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
وقال سحيمه بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبِيَّةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرٌ
وقال النجرائي في ذلك :

مِنْ مَنْزِلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرٌ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ
زَوْجَتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأَقْتُ جَرْتِي
أُمَّ هِلَالٍ أَبْشَرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشَرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحرص والإلحاح .
ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . وفلحس : رجل من بني شيبان (٣) كان
حريصاً رغيباً ، ومُلْحِفاً مُلْحِجاً . وكلُّ طُفَيْلٍ فهو عندهم فلحس .
والأرشم : (٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمم
الطعام ويتبع مواضعه . قال جرير في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة
في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيها وسرارة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الميداني (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيْنَ لِلضَّيَافَةِ أَرَشَمًا (١)
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ (٢) :

وَبَنُو الْمُهْجِمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ نُطُّ الْأَحَى مُشَابَهُو الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بَعْمَانَ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ
مَتَأَبِّطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَا لَخُدُودِ لَرِيحِ كُلِّ دُخَانِ (٣)
وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَمَثَلُ الْكِلا ب لَا يُحْسِنُ السُّكْلِبُ إِلَّا هَرِيرًا
وَأَمَّا مُمِيرٌ فَمَثَلُ الْبِغَا ل أَشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا (٤)
وَأَمَّا هِلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءٌ وَعِطْرًا كَثِيرًا (٥)

١٢٤

(بين جرير والراعي)

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعي وابنه جنْدَلٌ ، فقال له
ابنه جنْدَلُ : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا السُّكْلِبِ السُّكْلَيْبِيِّ ، فإلى متى ؟ !
وضرب بغلته ، فضى الراعي وابنه جنْدَلُ ، فقال جرير : وَاللَّهِ لَا تُثْقَلَنَّ

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفي ط : « قى » محرفا . والبيت على الصواب في اللسان
(ضيف، رشم، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقطصاب ٣٤٦ . وقد نسب
في كل تلك إلى البغيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشده أبو عبيد
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) ينتهى هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة
« وقال » وفي ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) السكيباء كسكتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبداهة في ل « ملابا » وهو
كسحاب عطر أو للزعفران . والشعر في كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتِه ما يريد ، فلما كان مع الصبح
انفتح له القولُ فقال :

فغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ولو جُعِلت فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ على خَبَثِ الحَديدِ إِذَا لَذَابَا
ثم وقف في موقفه ، فلماً مرَّ به جندلٌ قبض على عِنانِ فرسه ، فأنشده
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجْنَدِلُ ما تقول بنو نُمَيْرٍ إِذَا ما الأيرُ في إسْتِ أَيْكِ غابا
قال : فأدبِرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا (١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبُحِ الوجه - :
سَفَرْتُ فَمِلْتُ لَهَا هَجٍ فَتَبَرَّقَعْتُ فذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتُ ضَبَّاراً (٢)
وضَبَّارٌ : اسم كلب له (٣) .

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وأراد سفرأ : إن لسكلٍ رُفْقَةً كلاباً ، فلا
تسكنُ كلبَ أصحابِك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىَّ كلهم الطاعن (٤) » . ومن الأمثال
« وقَعَ الكلبُ على الذئب ليأخذ منه [مثل] ما أخذ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) في الصحاح : « هج مخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في

(هجج وهجر) برواية « هبارا » ، وكذلك في اللسان (هجر) ولكن في (هجج

وضبر) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الطاعن » . وانظر أمثال

الميداني ١ : ١٨٣ والتتميل والمحاضرة ٣٥٥ .

« الكلاب على البقر^(١) ». ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلها دلت برأقش^٢ ». وبراقش : كلبة قوم نبحت على جيش مروا ليلا وهم لا يشعرون بالحي ، فاستباحوهم واستدلوا على مواضعهم بنباحها .
قال الشاعر :

ألم تر أن سيد آل شور^٣ نيانة عضه كلب فانا^(٢)

(قتييل الكبش و قتييل العنز)

وقال صاحب السكب : قد يموت الناس بكل شيء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبض ولا نبض^(٣) . وقال عرفة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنز بالمريد فانا - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذ بان^(٤) مني معشري مكان قتييل العنز أن أتكلما

فيا ابن قتييل العنز هل أنت ثائر بزُرعة تيساً في الزريبة أزعما^(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى^(٦) :

أصبحت محتاجاً إلى الضرب في طلب العرف إلى السكب

(١) في الأصل : « الكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك

للميرى في حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهري ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بناه عضه كلب فانا

(٣) في القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .

(٥) الأزعم : ذو الزئمة ، وهي هنة معلقة في حلقة تحت اللحية . وفي ط « أزرما » .

(٦) أبو الهول الحميري شاعر مقل له شعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم في

الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفي ط « أبو الغول » محرفاً . والشعر في

العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق في الأوراق للصولي أخبار الشعراء

قد وَقَّحَ السَّبُّ له وجهه فصار لا ينحاش للسَّبِّ
إذا شَكَا صبُّ إليه الهوى قال له مالى وللصبِّ
أعني فتى يُطعن في دينه يشبُّ معه خَشَبُ الصُّلبِ (١)
قال : وقتل لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الكلاب أمثلها ؟ قال : لا .
قلت : ولم قال :

وَحِخْتُ هجاءهم لما تَوَاصَهـُوا
كخَوْفِ الذَّبِّ من بُقِعِ الكِلَابِ (٢) ؟
قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كخَوْفِ الذَّبِّ من سُودِ الكِلَابِ *

ألا ترى أنه حين أراد الهجاء قال :

كَأَنَّكَ بالمبَارِكِ بعدَ شهرٍ
تَحُوضُ عُمُورَه بُقِعِ الكِلَابِ (٣)
ويدل على ذلك قول الجَدَلِيِّ (٤) :

لَعَمْرِي لَجُوٌّ مِنْ جِوَاءِ سُويْقَةٍ
أحِبُّ إلينا أن نجاورَ أهله
أسافلُه مَيْثُ وأعلاه أجرعُ
ويصبحُ مَئاً وهو مرأى ومسمعُ
من الجوسقِ الملعونِ بالرِّى لا بنى
يقولون لى صبراً فقلتُ لَطالماً
على رأسه داعى المنيّة يلمعُ
صبرتُ ولكن لا أرى الصبرَ ينفعُ

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وحخت هجيتهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفراه خالد بن عبد الله القسرى هشام بن عبد الملك .

وفى ط : « بالمتازل » وهو تحريف . والعمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .

وفى ط : « عمورة » وفى ل : « عموره » وضواهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) . والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ فى ٢ : ٧٨ .

(٤) (٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضبى فى رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائيَ كانَ قُسمَ بَيْنَهُمْ وكانَ لي الصَّمانَ والحزْنَ أجمعُ^(١)
وكانَ لهم أجريَ هنيئاً وأصبحتُ بيَ البازلُ الكوماءُ بالرملِ تَضْبَعُ
أَجعلُ نفسِي عدلَ عِلاجٍ كماَ نما يموتُ بهِ كلبٌ إذا ماتَ أبقعُ
قالَ : فقدَ بَيْنَ كماَ ترى أنَّ الأبقَعَ شرُّها .

قالَ : وقلتَ : فلمَ قالَ الشاعرُ :

أرسلتُ أسداً على بُقعِ الكلابِ فقدَ

أَمسى شَرِيدهمُ في الأرضِ فُلالاً^(٢)

قالَ : فسكيفَ يقولُ ذلكَ وهو يمدحهم ؟ وإِذا صَغَرَ شأنُ من هَزَموا

١٢٦ فقدَ صَغَرَ شأنَ الممدوحِ . بلَ إِتِما قالَ « أرسلتُ أسداً على سودِ الكلابِ » .

قالَ : وإِتِما جاءَ الحديثُ في قتلِ سُودِ الكلابِ ، لأنَّ عَقْرَها أَكثَرُ ما تكونُ
سوداً ، وذلكَ من غلبَةِ أنفُسِها .

وليسَ في الأرضِ حيوانٌ من بقرَةٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وإنسانٍ ،

إِلاَّ والسُودُ أشدُّها أَسْراً وَعَصَباً^(٣) ، وأظهرها قُوَّةً وصَبْراً .

وقالَ أبو سعدِ الخزوميُّ^(٤) في هجائه دِعْبِلا :

(١) ط : « وكان لي الكنان » .

(٢) في اللسان : وهم قوم فل : مهزومون ، والجمع فلول وفلال . ولالأخفش في هذه
الكلمة بحث جيد في اللسان .

(٣) في لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومي من عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
وقد عاصر دعبلا وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعت الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٧
بأنه دعي بنى مخزوم . وفي ط : « أبو سعيد » والصواب ما في ل . ويؤيد ذلك قول
ابن أبي الشيص فيه (الأغاني ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دعبل :

إن أبا سعد فقي شاعر يعرف بالكنية لا بالوالد

يَا ثَابِتَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ إِهْمَا دُولٌ وَأُحْرٍ بِهَا بَأَنَّ تَتَنَقَّلَا
هَلَا جَعَلْتَ لَهَا كَحُرْمَةَ دِعْبِلٍ فِي اسْتِ [أَم] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دِعْبِلَا

[وقال ابن نوفل] :

وَجِئْتَ عَلَى قَصْوَاءَ تَنْقُلُ سُوءَهُ إِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سُوءَةٍ لَا تَهَابُهَا (١)
وَتَزْعُمُ أَنَّ لَمْ تَخْزِ سَلْمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتِ بَعْدَ الرِّجَالِ كَلَابُهَا (٢)

وقال الحسن بن هانيء يهجو جعفر بن يحيى :

قَفَاً خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَثْقِ (٣)
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِرًّا (٤) وَأَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِ

وقال أبو الشَّمْتَقِ :

أَهْلُ جُودٍ وَنَائِلٍ وَفَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِالنَّدَى وَالْعَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَادْنَى مَكَانِي وَتَلَقَّيْتُ بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ
لَا كَمَثَلِ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّوِّ مِ شَبِيهِ السُّكَلِيَّةِ الْقَمَلَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَعْرَضَ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَحْبَةِ سُوسِيَّةِ (٥)
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرٌ بَغْلٍ غَابَ فِي دُبُرِ بَغْلَةٍ مِصْرِيَّةِ

وقال أيضاً :

أَلَا قُولا لِسِرَّانِ الْخِزَارِيِّ وَوَجْهِ الْكَلْبِ وَالْتِيْسِ الضَّرُوطِ (٦)

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٢٨ .

(٤) ل : « خر » .

(٥) ط : « سوسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لسرّان » .

له بطنٌ يَضُلُّ الفيلُ فيه ودُبْرٌ مثلُ راقود النشوط (١)
 وأَيْرٌ عارمٌ لا خَيْرَ فيه كدورٍ سفينةٍ في بثق روط (٢)
 ولحيةٌ حائكٍ من باب قلب (٣) موصلةً الجوانبِ بأخيوطِ
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرَقَّعةٌ جوانبُهُ بقوطِ (٤)
 إِذَا نَهَضَ السِّكْرَامُ إِلَى المَعَالِي تَرَى سَرَانَ يَسْفُلُ فِي هَبُوطِ
 وقال أيضاً في ذلك :

١٢٧

يا رازقَ السكِّبِ والخزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهماءٍ دويَّةٍ (٥)
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتِه حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينِيه (٦)
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصلَّتان العبدى (٧) :

أقول لها والدَّمْعُ يغسلُ كحلِّها متى كان حَكْمُ اللهِ في كَرَبِ النخلِ
 فأجابه الصلَّتانُ فقال :

تُعَبِّرُنا أن كانت النُّخْلُ مالنا ووَدَّ أبوك السكِّبُ لو كان ذا نَخْلِ
 يعيره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النَّخْلِ (٨) .

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيح داخله بالفار . والنشوط : سلك يعمق في ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينثق الماء . وفي ل : « زوط » وليس بثىء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بقوط » وقد كتب هذا البيت تالياً للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه سابقاً له كما في ل .

(٥) ط : « في يهماء روية » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلَّتان العبدى يهجو جريراً » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعير جريراً وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر إليه المراجع السابقة .

وقال وضاحُ اليمن :

وأَكمَّ السَّرَّ غَضباناً وفي سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ
وأَتْرَكَ القَوْلَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ حتى يكون لذاك النَّجْدِ مُطَّلَعٌ (١)
لأَقْوَتِي قُوَّةَ الرَّاعِي ركائبه بيبتُ ياوَى إليه السَّكْبُ والرُّبْعُ (٢)
ولا العَسِيفِ الَّذِي تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ حتى يَثُوبَ وباقى نَعْلُهُ قِطْعٌ (٣)

وقال محمد بن عبيد السكاتب مولى بجيلة ، وأبوه (٤) من سبي دابق وكاتب

زهير ، وصديق ثمامة ، يهجو أباسعد (٥) دعى بني مخزوم ، وبعد أن لقي منه ما لقي :

فعلتُ نزارُ بك الَّذي اسْتَأهَلْتَهُ نفيًا وضرَبًا
فهجوتُ قحطانا لأهْ جَوْهَمَ مكايدَةً وإرْبًا (٦)
وأردتُ كما تشتنى بهجائهم منهم فترَبًا
ووثقتُ أَنَّكَ ما سببتُ ، حَمَاكَ لَوْمُكَ أَنْ تُسَبَّا
كالسَّكْبِ إنْ يَنْبَحَ فليدس جوابه إلا أَحْسَنَ كَلْبًا (٧)
خَفَضُ عَليكَ وَقَرُّ مَكا نَكَ لا تَطْفُ شَرْقًا وَغَرْبًا
واكشِفْ قِناعَ أَيْبِكَ فالأَباءُ لَيْسَ تُنالُ غَضَبًا

(١) ط : « حتى يكون بذلك » .

(٢) الربيع : ولد الناقة في الربيع ، وفي ط : « الولع » وصوابه في ل ، وفي الحماسة ١ : ٢٦١ . والشعر في الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أي وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهي النوبة . وفي ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزي (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما في الأغاني ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفي ط : « من سبي وأبق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نهبت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجومكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالسكب » .

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدٌ كَطَعْمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكَهُ
بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدِي لِي الشُّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
دَعْوَتٌ وَقَدْ طَالَ الشَّرَى فِدَعَانِي
فَوْصَفَهُ كَمَا تَرَى أَنَّهُ يَبْدَى لَهُ الْبُغْضَاءُ .

وقال آخر :

سَرَّتْ مَاسَرَّتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ
عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وقال راشد بن شهاب اليشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبْتُ شَمَالَ عَرِيَّةٍ
بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نعال السكرام (١) :
إِذَا طَرِحَتْ لَمْ يَطْبِ السُّكْلَبِ رِيحُهَا
وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُشَمَّتْ
وقال اللعين في بعض أضيفه (٢) ، يخبر أنه قرأه لحم كلب . وقد قال

ابن الأعرابي : إنما وصف تيساً :

فَقُلْتُ لِعَبْدِي أَقْتُلَا دَاءَ بَطْنِهِ
وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لِمَنْ زَوَائِدُ (٣)
فِجَاءِ بَخْرَشَاوَى شَعِيرِ عَائِمَاهَا
كَرَادِيسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ
وقال خلبد عيين (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيَّرْتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَائِنَا
وَوَدَّ أَبُوكَ السُّكْلَبِ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلِ

(١) للبغدادى كلام في البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :
إِذَا وَضَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلَهَا تَضْوَعُ مَسْكَهَا مَا أَصَابَتْ وَعَبَّرَا
وروايته في اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ما قبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموماً القافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :

* وَأَعْفَاجِهِ الْعَظْمَى ذَوَاتِ الزَّوَائِدِ *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضاً بالبحرين يقال لها « عيين » فنسب إليها . وقد أجازته زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دَعْبِل بن عليّ :

ولو يُرْزَقُ النَّاسُ عَنْ حِيلَةٍ لَمَا نَالَ كَفًّا مِنَ التُّرْبَةِ
ولو يَشْرَبُ الْمَاءَ أَهْلُ الْعَفَا ف لَمَا نَالَ مِنْ مَائِهِمْ شَرْبَةً
ولسكنه رزقٌ مَنْ رَزَقَهُ يَعْمُ بِهِ السُّكْبَ وَالسُّكْبَةَ

بَاب

(ذَكَرَ مِنْ هُجِيِّ بَأْ كُلِّ لُحُومِ السُّكْلَابِ وَلُحُومِ النَّاسِ)

قال سالم بن دارة الغطفاني^(١) :

يَافَقَعَسِيٌّ لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَهُ لَوْ خَافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ
* فَمَا أَكَلْتَ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ *

وقال الفرزدق في ذلك :

إِذَا أَسَدِيٌّ جَاعٌ يَوْمًا بِبِلْدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكَلُهُ
وقال مساور بن هند :

إِذَا أَسَدِيَّةٌ وُلِدَتْ غَلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلُؤْمٍ فِي الْغَلَامِ
يُحْرَسُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَجِدْنَ مِنَ الطَّعَامِ^(٢)
تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْقِيَاتٍ بِرَائِثُهَا عَلَى وَضَمِ الثَّمَامِ^(٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أَنَّ اللعينَ إِنَّمَا قَرَاهِمُ كَلْبًا وَلَمْ يَقْرِهِمْ

تيساً ، وَأَنَّ الصَّوَابَ خِلَافُ مَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ .

وقال مساور بن هند أيضاً :

بَنِي أَسَدٍ أَنْ تُمَحَّلَ الْعَامُ فَقَعَسُ^٤ فَهَذَا إِذْ دَهَرُ السُّكْلَابِ وَعَامُهَا

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلاً هجاءً ، وله ترجمة مشهورة في الخزانة ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء .

١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ما قبله والبخلاء ١٩٧ .

(٣) وضَم الثَّمَام : مثل اللقطة والظون . وفيه ط : « الثَّمَام » وصوابه في البخلاء ١٩٧ .

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدی^(١) :
وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شيطه الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الدبيری^(٢) في أكلهم لحوم الناس :

إذا ما ضفت يوماً فقعسيًا فلا تطعم له أبدا طعاما
فإن اللحم إنسان فدعه وخير الزاد ما منع الحراما
وقد هجيت هذيل وأسد وبلعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس ،
قال حسّان بن ثابت يذكر هذيل :

إن سرّك الغدر صرفاً لا مزاج له فأت الرجيع وسل عن دار حيان
قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيان

وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل :

وأتمم أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحد بعد^(٣)
تداعوا له من بين خمس وأربع وقد نصل الأظفار وانسباً الجلد^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدی : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن رثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدی » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدّم » . وفي البخلاء ١٩٨ : « شخفة بن مخدّم » وفي ط :

« زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو مما يهجي به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء وصوابه في ل والبخلاء .

ورَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ما شكَّد (١)

وقال الشاعر في ذلك في باهلة :

إِنَّ غَفَاقًا أَكَلَتْهُ باهله تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ

* وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفَاقٍ ثَاكِلَةً (٢) *

وهجا شاعر آخر بلعنبر، وهو يريد ثوب بن شحمة (٣)، وكان شريفاً وكان ١٣٠

يقال له مجير الطير. فأما مجير الجراد فهو مدليج بن سويد بن مرشد بن خيرى (٤)

فعيّر الشاعر ثوب بن شحمة (٣) بأكل الرجل العبرى (٥) لحم المرأة إلى أن أتى

ثوب (٦) من الجبل فقال :

عَجَلْتُمْ مَا صَادَكُمْ عِلَاجٌ مِنَ الْعُنُوقِ وَمِنَ النَّعَاجِ

* حَتَّى أَكَلْتُمْ طِفْلَةً كَالْعَاجِ *

فلما عيّرته قال ثوب (٧) :

يَا بِنْتَ عَمِّيَ مَا أَدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَا تُجْنُ خَيْثَ الزَّادِ أَضْلَاعِي (٨)

إِنِّي لَدُو مِرَّةٍ تُحْشَى بُوَادِرُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعٍ

ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان (٩) :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفساء يالك ماشكد

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفاقا » و « أم غفاق » بالعين ، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجار الطير فكان لا يثار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ

الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القبي » ، وفي البخلاء « بأكل القبي » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سبيان ، ط : « لآجر » ل : « لا يجر » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبه سوداء تغرى بنايها عراقاً من الموتى مِراراً وتَكْدِمُ (١)
أترح لها كلبٌ فضنتُ بعرقِها فهارشها وهي على العرقِ تَعْدِمُ (٢)
فقف على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُدَيْحُ بن رباح شار الزنجي (٣) :

مَا بَالُ كَلْبِ بَنِي كَلْبٍ سَبَّنا أَن لَمْ يُوازِنَ حَاجِبًا وَعِقالا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رفعك
قبرٌ بتُّسْتَرُ (٤) فقال شقيق : حين وضعك قبرٌ بالمشعر ، يا ابن قتيل النساء
وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيان قتيل (٥) الكلاب ، وذلك أنه
لجأ في الردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبج عليه فخاف أن
يدل على مكانه فقتله فقتل به .

(أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرع من لحسة كلب أنفه » . ويقال :

(١) ط : « تغرى بنايها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابهما في ل .

(٢) تعدم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذلي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله .

مافي رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي الكامل ٤١٥ : ليبسك « رباح بن سنج الزنجي » .

وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بتشير » .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوَةٍ » وهى السكلبة ، وجمعها لِعَاءٌ^(١) . وفى المثل : « الأُم من كلبٍ على عَرَقٍ » ، و « نَجِم كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : السكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌ ، وإن كان أبقعَ فهو عجمىٌ .

وقال الأصمعى عن حمّاد بن سلمة عن ابنِ أُختِ أبي بلالٍ مرْدَاسِ ابنِ أديّة^(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إننا حوّلنا بعد كم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولما خرج شمر بن ذى الجوشن [الضَّبَّابى] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائمُ أن كلباً أبقعَ يبلغُ فى ٩٣١ دماهم ، فأولَّ ذلك أن يقتلهم^(٣) شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُتسلخاً برصاً^(٤) .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمون الخوارجَ : كلابَ النار^(٥) .

(١) فى ط : « لَعْوَةٌ » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرادس بن أديّة » . وأبو بلال كنية مرادس نفسه كما فى

الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر في تشبيهه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب^(١) يصفه بالسرعة في الخضر ،
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضبع وبسط يديه
ورجليه حتى يمس قصصه الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً^(٢) أظفاره ،
وأنه لا يحتشئ ريحاً مع ما^(٣) يصيب الكلاب من اللهث . فإن كان كما تقولون
فلم وصف الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ^(٤) لا يلتفت أحد لفته^(٥) !
وقال أبو ذؤاد الإيادي في ذلك :

عن لسان كجثة الورل الأحمر مجّ الندى عليه العرار^(٦)

ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة الكلابي^(٧) :

كأن لسانه ورلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخدٌ أسيلٌ كالمسنّ وبركة كجوجؤ هيق دفه قد تمورا

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهي الحد . وفي ط : « بسباء » محرفاً .

(٣) ل : « لا يحتشئ ريحاً مع ما » و ط : « لا يحتشئ ريحاً ما » وسويت القول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسي » وفي ط : « المنسا » .

(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي ذبارة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .

(٧) ط : « حماد عجرد الكلابي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب وهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرارا

وفي ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره في شيء . وقال عُقْبَةُ بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهةِ والصَّهْوَةِ والجَنبِ

ولم يذكره في شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبه بن سابق :

ولها بركةٌ كجوجو هيقٍ ولبانٌ مضرّجٌ بالخصابِ

ولم يذكره في شيء . وقال خُفاف بن نَدْبَةَ :

عبل الذراعين سليم الشظا كالسيد يوم القرّة الصارد^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشظا عبِل الشوى شَنِجِ النَّسَا أقبّ كتيسِ الحلبِ الغدوان^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبه بن سابق .

١٣٢

وأرساغ كأعناقِ ظباءٍ أربع غلبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الجعديُّ :

كأن تماثيلَ أرساغه رِقَابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لها متنتانِ خَطَاتَانَا كما أكبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّمِرُ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال أبو دُوَاد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافي ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعتاده الأطباء ، يخرج منه شيء شبيه باللبن إذا قطع . والغدوان :

النشيط المسرع ، وفي ط : « الغدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان .

يمشى كمشى نعماتين تُتابعان أشقَّ شاخصٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ابن الصِّعق^(١) :

بمجنَّبٍ مثلِ العُقَا بِ تَخَالِهَ لِلضُّمْرِ قِدْحَا^(٢)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال ربيعة بن جشم [النمرى] ، وروى لامرئ القيس^(٣) :
وساقانِ كعباهما أصمعا نِ لِحْمِ حَمَاتِيهِمَا مِنْبِرٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى :
كَأَنَّ حَمَاتِيهِمَا أَرْنَبَانِ تَقْبَضَتَا خَيْفَةَ الْأَجْدَلِ^(٤)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك^(٥) :
كَأَنَّ حَمَاتَهَا كَرْدُوسٌ فَحَلِيٌّ مَقْلُصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال الأعشى :
أَمَا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فِسْكَانُهُ جِدْعٌ سَمَا فَوْقَ النَّخِيلِ مَشْدَبٌ
وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْمَفَارِسُ مَعْرَضًا فَتَقُولُ سِرْحَانُ الْغَضَا الْمُتَصَوَّبُ^(٦)
أَمَا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسْوِقُهُ سَاقٌ يَقْمِصُهَا وَظَيْفٌ أَحْدَبُ

(١) هو يزيد بن عمرو بن خوَيْلِد . له ترجمة في الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنَّب : المموج الساقين . وفي : ط « بمجنَّب » وليس بشيء .

(٣) جملة « وروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفي ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منهُ وجاعرة كأنَّ حماها لما كشفت الجِلَّ عنه أرنبٌ^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعفي^(٢) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثلُ سرحان الغضا

أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٌ قُوصُ الوقعِ عاريةُ النَّسَا ١٣٣

ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلته وإذا ولَّى تقول مَلَمَّمٌ ضَرَبٌ^(٣)

لأمٌ إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانَه عَقَبٌ

يمشي كمشى نعامةٍ تبعَتْ أخرى إذا هي راعها خطبٌ

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أبطالاً ظبي وساقاً نعامةٍ وإرخاءَ سرحانٍ وتقريبٌ تتفُلُ

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدى :

أما إذا ما أقبلت فطارةٌ كالجدع شدَّبه نقيُّ المنجلِ

أما إذا ما أعرضت فنبيلةٌ ضخمٌ مكان حزامها والمر كل^(٤)

أما إذا تشدَّدت فهي نعامةٌ تنفي سناكبها صلاب الجندل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعامة طولٌ وظيفها وقصرٌ

(١) الجِل : غطاء الفرس . وفي ط : « الحيل » محرفاً . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الغالك على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « ضرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت فنعامه »

ساقِهَا وَعُرَى نَسِيهَا^(١) . وَمَا يَشْبَهُ مِنْ خَلْقِهِ خَلَقَ الْأَرْنَبَ صِغَرَ كَعْبِيهَا .
وَمَا يَشْبَهُ مِنْ خَلْقِهِ خَلَقَ الْحِمَارَ الْوَحْشِيَّ غِلْظَ لَحْمِهِ ، وَظُمًا فَصُوصِهِ
وَسَرَاتِهِ ، وَتَمَحَّصَ عَصَبِيهِ^(٢) ، وَتَمَكَّنَ أَرْسَاعِهِ ، وَعَرَضَ صَهْوَتِهِ .

قال صاحب السكلب : قد قال أبو عبيدة : إنَّ مما يشبه من خلقه
خَلَقَ السَّكْلَبَ هَرَّتَ شَدِيقِهِ ، وَطَوَّلَ لِسَانَهُ ، وَكَثَّرَ رِيقَهُ ، وَأَجْدَارَ
قَصِّهِ^(٣) ، وَسَبَّوْغَ ضُلُوعِهِ ، وَطَوَّلَ ذِرَاعِيهِ ، وَرُحِبَ جِلْدِهِ ، وَلَحُوقَ بَطْنِهِ .
وقال طفيل العنوي ، يصف الخيل :

تَبَارَى مَرَاخِيهَا الزَّجَاجَ كَأَنَّهَا ضِرَائِكُ أَحْسَتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ^(٤)
وقال طفيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَائِحٍ وَإِنْ يَلْقَى كَلْبَ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبُ^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتانُ والثلاثةُ ، من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب السكلب : لعلنا إن تبعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تقدّمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعنى ، فنلتقط^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخي - وهن المسرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :
جمع زج . أي تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المتخزل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراخيا » . وذلك تحريف . انظر احيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذي ينزل البئر فيملاً الدلو ، والمائح : الذي يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل
« كأن على أعطافها ثوب مائح » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » . وانظر

أدب السكاتب ٨٧ والاقْتِضَابُ ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فلتلقط » .

وترى السكيتَ أمامه وكأنه رجلٌ مُغاضِبٌ ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصٌ تَرَّاحٌ إِلَى الصَّرَاحِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَّاءِ تَرَّاحَ لِسُكَّالِبِ (١)
وقد شبهوا بالسكلب كلَّ شيءٍ .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، السكلب ، والمزنوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها

والذي يهيجها فقال :

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَّفَّ دِيكٌ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٌ (٢)

فهلاً قال : والتف كلبٌ كما قال : والتفَّ ديكٌ !! وقال أبو حية :

[و] تَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَنَّ بَدَفَهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأَظْفَرِ (٣)

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَدَفَهَا (٤) هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ المَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شداد العبسي :

وَكَأَنَّما يَبْنَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الوَحْشِيُّ مِنْ هَرَجِ العَشِيِّ مُؤَوِّمٌ (٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقد في هذا البيت ذكره المرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزاها » ، والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هرج . . » . وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرٌّ جَنِيْبٌ كَلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ^(١)
وقال المثقَّبُ العَبْدِيُّ :

فَسَلِّ اَلْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْتٍ عُدَاْفِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ الْقِيُونِ
وَبِصَادِقَةِ الْوَجِيْفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِيْنِ^(٢)

قال صاحب السكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة
بالخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والسكلبُ ليس
يوصف بالخالب ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بنَ حجرٍ
قال في ذلك :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

فذكر الموضع الذي يوصف بالخلبِ والحدش والحمش والتظفير ، فلما
أراد أن يفزَّعها ويثوِّرها حتى تذهبَ جافلةً في وجهها^(٣) ، أو نأدةً ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقَّ المرح والنشاط^(٤) قال :

* وَالْتَفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٍ^(٥) *

وقال أبو النجم :

لَوْ جَرَّ شَنٌّْ وَسَطَهَا لَمْ يُجْفَلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرِزٍّ مَعْضَلٍ^(٧)
[ويروى : تحفل] . ولو قال أوس :

(١) ط : « اتقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدرة :

* كأن هرا جنيباً عند مغرضها *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الوجع ، كما في اللسان (ررز) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفَّ شَنُّ برجلِها وخنزير *

لسكان جائزاً ، لولا يُدسُّ الشنُّ وقحوه ، وأنه ليس مما يلتوى على

رجليها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكَلِّمْ بَنَائِيهِ ظَفَرًا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر

وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجلُّ

لرجلٍ [أن] ^(١) يُعْطِي عَطِيَّةً وَيَرْجِعُ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ .

ومثل الذى يُعْطِي العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ ، حَتَّى إِذَا

شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يرجع في هبته إلا الوالد من ولده . والعائد في هبته كالعائد في قئته » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أن أبا بكرٍ أمر

بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمي تحت أبي بكر ،

وكان جرواً لى تحت سريره ^(٣) فقلت له : يا أبت ، وكلبي أيضاً ؟ فقال :

لا تقتلوا كلب ابني ، ثم أشار بإصبعه إلى الكلب - أى خذوه من تحت

السري - وأنا لا أدري ، فقتل .

وإسماعيل بن أمية قال : أمتان من الجن مسختا ، وهما

الكلاب والحيات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجلُ قدرَ نفسه صار عند نفسه

أذلَّ من الكلب .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاءه ثم عاد في قئته » .

(٣) ط : « تحت السري » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمه أنه إذا أَسْمَنَتْه
أكلك ، وإن أَجَعْتَهُ أنكرك . ومن لؤمه اتبَاعَهُ لمن أهانه ، وإِلْفَهُ لمن
أَجَاعَهُ ؛ لأنه أَجْهَلُ من أن يَأْنِسَ بما يُوْنِسُ به ^(١) وأَشْرَهُ وَأَنْهَمُ وأَحْرَصُ
وأَلْجُ من أن يذهب بمطعمته ^(٢) ما يذهب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أَنَّا لم نجدَه يجرُسُ المحسنين إليه بنباحه ، وأرْبَابَهُ
الذين رَبَّوهُ وتَبَنَّوهُ ^(٣) إلا كحراسته لمن عَرَفَهُ ساعةً واحدةً ، بل لمن أَدْلَهُ
وأَجَاعَهُ وأَعْطَشَهُ . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإِنَّمَا هو فيه من فضل البَدَاءِ
أو النَّمْحَشِ ، وشِدَّةِ التحرُّشِ والتسرُّعِ . وقد قال الشاعر في ذلك :

إذا تَخَاذَرْتُ وما بي من خَزَرٍ ثم كَسَرْتَ العَيْنَ من غير عَوَرٍ ^(٤) ١٣٦

أَبْدَى إِذَا بُوذِيَتْ من كلبٍ ذَكَرَهُ ^(٥) أَسْوَدَ قَزَاحٍ يُعَوِّي في السَّحَرِ ^(٦)

وإِنَّمَا ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذي ^(٧) يعترى نِسَاءَ السُّفْلَةِ
من الصَّخْبِ .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأةٌ ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التيبب

(١) ل : « منه » .

(٢) مطعمته : طعمه . وفي ط : « بمطعمه » .

(٣) ط : « ووأسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبدى ، من البداء . ط : « أبزى إذا بوزيت » صوابه في ل . وانظر الأمال

(١ : ٩٦) وأمثال الميداني (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند الديرى (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذى يذفع ببوله دفعا . وفي ط : « فراع » . وفي ط : « تعوى فى السحر »

وفي ل : « يغضى فى السحر » .

(٧) ط : « ولا الذى » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفزع من كل شيء وينبحه .
والبردون ربما رمح البردون مبتدئا ، وقلق وصهل صهيلا في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على المرموح ، وليكنه يكون جباناً ،
فإذا رأى البردون الذي يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلق رمح . وهذه العلة تعرض للمجنون ؛ فإن المجنون الذي
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلا لأن
المرة أوهمته أنه يريد بسوء ، وأن الرأي أن يبدأه^(١) بالضرب . وعلى مثل
ذلك يرمى بنفسه في الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيار النظام ، فإننا خرجنا ليلة
في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدمته شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب
الرّعاء ، وكره أن يعدو فيغريه ويضربه^(٢) ، وأنف أيضاً من ذلك — وكان أنفاً
شديد الشكيمة أبناء للهزيمة — وكره أن يجلس مخافة أن يشخر عليه^(٣)
أو لعله أن يعضه فيهرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء^(٤) . فلما جزنا حدّه
وتخلصنا منه ، قال إبراهيم في كلام له كثير ، يعدّد خصاله المذمومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبّع فاذهب مع السباع ، وعليك
بالبرارى والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنّا سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأه » .

(٢) يضربه : يغريه . وفي الأصل : « ويضربه » .

(٣) في ط : « يشخر عليه بيوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولانتكر قولى وحكايتى عنه بقول ملحون . من قولى « إن كنت
سبع » ولم أقل « إن كنت سبعا » ! .

(إفساد الإعراب لنوادير المولدين)

وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يُفسد
كلام الأعراب^(١) ؛ لأنَّ سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة^(٢)
وذلك المخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دَخَّتْ على هذا الأمر - الذى
إنما أضحك بسُخْفِهِ وبعض كلام العجمية التى فيه^(٣) - حروف الإعراب
والتحقيق والتثقيب^(٤) وحوادثه إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ،
وأهل المروءة والنجابة^(٥) انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته .
ثم قال أبو إسحاق : إن أطمعه اللصُّ بالنهار كسرة خُبزٍ خلاه ،
وَدَارَ حَوْلَهُ لَيْلًا . فهو فى هذا الوجه مرتشٍ وآكلٌ سُحْتٌ ؛ وهو مع
ذلك أَسْمَجُ الخلقِ صوتًا ، وأحمق الخلقِ يَقْظَةً ونوما ، ينام النهار كله على
نفس الجادة ، وعلى مدقِّ الحوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقى طريق ، وعلى
سبيل الحمولة^(٦) وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب ، والنصب
والتعب ، والغيظ والغضب ، وبالحمى والذهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

١٣٧

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما فى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيب » والوجه ما فى ل :

(٥) ل : « والثخانة » .

(٦) الحمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بعر وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الحمولة »
بالحاء مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطئته دابةٌ فأسوأ الخلقِ جزعاً وألمه
لوماً ، وأكثره نباحاً وعوَاءً ، فإن سلم ولم تطأهُ دابةٌ ولا وطئه إنسان ،
فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنه في حالٍ متوقعٍ للبليَّةِ . ومتوقعٍ البليَّةِ في
بليَّةٍ . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأ حالاً منه ؛ لأنه أسوأهم
جزعاً وأقلهم صبراً ، ولأنه الجانى ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق
الحالية له معرضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

وبعد فإنَّ كلَّ خلقٍ فارقَ أخلاقِ الناسِ فإنه مذموم . والناس ينامون
بالليل الذى جعله الله تعالى سكناً ، وينتشرونَ بالنهار الذى جعله الله تعالى
لحاجاتِ الناسِ (١) مسرحاً .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إن سهره بالليل ونومه بالنهار
خصلةٌ ملوكيةٌ لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك ألدَّ لكنت الملوكِ بذلك
أولى . وأمَّا الذى أشرتُم به من النوم فى الطرق الخالية ، وعبتموه به من
نومه على شوارعِ الطُّرقِ والسككِ العامةِ (٢) وفى الأسواقِ الجامعة ،
فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشأنِهِ] . ولولا أن الكلبَ يعلم ما يلقى من الأحداثِ
والشفهاءِ وصبيانِ الكتَّابِ ، من رضِّ عظامِهِ بألواحهم إذا وجدوه نائمًا فى
طريقِ خالٍ ليس بمحضرتِهِ رجالٌ يهابون (٣) ، ومشيوخةٍ يرحمون ويجزون
الشفهاءِ ، وأن ذلك لا يعتريه فى مجامعِ الأسواقِ - لقلَّ خلفه عليك ، ولما
رقد فى الأسواقِ . وعلى أن هذا الخلقُ إنما يعترى كلابِ الحُرَّاسِ ، وهى

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفى ل : « على مربعات السكك العامة »

(٣) فى الأصل « فى طريق ليس خالٍ بمحضرتِهِ .. الخ » وكلمة « خال » مزحجة

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فن أخطأ وأظلمُ فمن يكلف السباعَ أخلاقَ الناسِ وعاداتِ
البهائمِ !! وقد علمنا أن سباعَ الأرضِ عن آخرها إنما تهيج وتسرح وتلتمس
العيشة وتلتاقى على السفاد والعظام ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرك بدُّ من سكون يكون بهاماً له .
ولولا صرفُهم^(٢) التماسَ الجمام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لسكانت الطبائعُ تنتفض . فجعلوا النومَ بالليل
لضربين : أحدهما لأنَّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُورة ،
كان ذلك أنزعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنَّه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأنَّ الليلَ موحشٌ مخوفٌ الجوانب من المواقم والسباع ،
ولأنَّ الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ،
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبرِّهبار^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقادتهم طبائعهم وساقطهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرهبار : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية

وأهل البصرة طا : البرهبار . أنساب السمعي ٧١ . وانظر ماسياني في حواشي ٣ : ٤٣٥

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنها تتصرف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأما ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإنّ^(٢) الملوك لم تجهلوا فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لسكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرّ الخزون ، وجمعت المقدار الفاضل عن اتّساع النهار إلى المقدار الذي لابدّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل صدرها صالحاً . فلما طال ذلك عليها أعانها الميران^(٤) ، وخفّ ذلك عليها بالدربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنّة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوامّ إذا كانت لاتتناول الشراب ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء^(٥) ، وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسرّ وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) ، وقال الراجز :

* اللَّيْلُ أَحْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ *

وقالوا في المثل : « اللَّيْلُ أَحْفَى (٧) لِلْوَيْلِ » .

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ما في ل .

(٦) ط : « به باقى التدبير »

(٧) ط : « أنفى للويل » . وانظر أمثال الميداني (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوك العجم تلهى المحزون بالسماع ، وتعدل المريض ، وتشغله
عن التفكير ، حتى أخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم . ولذلك
قال ابن عسلة الشيباني (١) :

وسماع مُدجّنةٍ تعلّنا حتى ننام تناوّم العجم -
فصحوت والنمرى يحسبها عمّ السك وخالة النجم (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإِنما يعنى فى البيت الثرىا . ومدجّنة : يعنى
سحابة دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب -- وإذا كان نساء العرب
١٣٩ فى الحملة أعقل من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدّمة
فيهم (٣) -- فرووا جميعاً أنّ أمّ تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يتناً ، ولا سقيته
غَيْلاً ولا أبته على مآقة » .

فأمّا اليتن فخرج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سوء ،
ودليل على الفساد . وأمّا سقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الجبلى ، وذلك
فسادٌ شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

(ما ينبغي للأم في سيااسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأقة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفرعةُ أو اللوعةُ أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللَّ ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسره ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسرى فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فرعٍ أو غيظٍ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأمُّ الجاهلةُ والمرقصةُ الحرقاءُ ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثيرٌ منها ذلك الفساد ، وترادفُ ، وأعان الثاني الأوَّلَ والثالثُ الثانيَ حتَّى يخرجَ الصبيُّ مايقمًا . وفي المثل : « صاحبي متيقٌ وأنا تيقٌ » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرِّفيقِ والزَّميلِ ، وقد استفرغه الضُّجر لطول السفر (١) فقلبه ملآن ، فأوَّلُ شيءٍ يكون في ذلك المثل من المكروه لم يحتمله (٢) بل يفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ما قاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه المملوك)

فاحتاج حُذاقُ المملوكِ وأصحابُ العناية التامةِ ، أن يداووا أنفسهم بالسمع الحسن ، ويشدُّوا من متنتهم بالشراب ، الذي إذا وقعَ في الجوفِ حرَّكَ الدَّم ، وإذا حرَّكَ الدَّم حرَّكَ طباعَ السرور ، ثمَّ لا يزالُ زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

في مكيال الدم ، زائداً في الحركة المولدة للسرور . هذه صفة الملوك . وعليه بنوا أمرهم ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه .

وقال صاحب السكلب : أمّا تركه الاعتراض على اللص الذي أطعمه أياماً وأحسن إليه مراراً ، فإنما وجب عليه حفظ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدتهم (١) له . فإذا كان عهده ببر اللص أحدث من عهده ببر أهله (٢) ، لم يكلف السكلب النظر في العواقب ، وموازنة الأمور (٣) . والذي أضرر اللص من البيات غيب قد ستر عنه ؛ وهو لا يدري أجراء ليأخذ أم جاء ليعطى ، أو هم أمره أو هو المتكلف لذلك ؛ ولعل أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقوا ذلك منه بالضرب والإجاعة ، وبالسب والإهانة .

وأما سماجة الصوت فالبغل أسمع صوتاً منه ، كذلك الطاووس على ١٤٠ أنهم يتشاءمون به . وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القماری والدبّاسي ، وأصناف الشفانين (٤) والوراشين . فأما الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميع الطير والسباع والبهائم فكذلك . وإتمامك أن تدم السكلب في الشيء الذي لا يعم . والناس يقولون : ليس في الناس شيء أقل من ثلاثة أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ الناس بعد مختلطون ممتزجون . وربما كان من الناس بل كثيراً ما تجده وصوته أقبح من صوت السكلب ، فلم تخصّص السكلب بشيء عامّة الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عواؤه من وطء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان ، فجزع

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت ما في ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر بردون ؛
وهو في هذا الموضع للفرس أشد^(١) مناسبة منه للحمار .
على أن الديك لا يذكر بصبر ولا جزع .

(نوادر ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الديك : حدثني العتبي^(٢) قال : كان في اليونانيين ممرور
له نوادر عجيبة ، وكان يسمى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكماء يروون له
أكثر من ثمانين نادرة [مامنها] إلا وهي غرة وعين من عيون النوادر :
فمنها أنه كان كلما خرج من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط
والظهور ، ألقى في أصل باب داره وفي دوارته حجراً ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه^(٤) كلما رجع من حاجته ، فكان
كلما رجع^(٥) لم يجد الحجر في موضعه ، ووجد الباب منصفقاً . فكمن
له في بعض الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينما هو في
انتظاره إذ أقبل رجل حتى تناول الحجر ، فلما نجاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « العتبي » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

اليابُ ، فقال له : مالك ولهذا الحجر؟ ومالك تأخذه؟ فقال : لم أعلمُ أَنَّهُ لك . قال : فقد علمتَ أَنَّهُ ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلمُ الناسَ الشُّعْرَ ولا يقول الشعر؟ قال : ديسيموس كالمِسْنِ الذي يشحذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل في السُّوق فقال : أتأكل في السوق؟ فقال : إذا جاع ديسيموس في السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاماً غايظاً وسطاً عليه ، وفحش في القول ، وتحلَّم عنه فلم يجبه ، فقيل له : مامنك من مكافأته وهو لك مُعرض؟ قال : أرأيتَ لو رَحَكَ حِمارٌ أكنتَ تَرْمُهُ؟ قال : لا . قال : فإن ينبج عليك كلب تنبح^(١) عليه؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيةَ إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلباً ؛ لأنَّه لا يخلو من شرارةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنت كلبٌ نَبَّاح ، وما زال ينبج علينا منذ اليوم ، وكلبٌ من هذا؟ ويا كلب ابن الكلب ، وأخسأً كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصُّوف من جزَّ كلبه » ، و « أجمعُ كلبك يتبعك » ، و « أحبُّ شيءٍ إلى الكلبِ خانقُهُ » ، و « سمنُ كلبك يأكلك »

(١) ل : « فإن ينبج عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ماو ل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلباً » .

و « أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ »^(١) ، و « كَالسَّكْبِ يَرِيضُ فِي الْآرِيِّ فَلَاحُو
يَأْكُلُ وَلَا يَدَعُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ » .

(بَرَأَقِش)

وفي أمثالهم في الشؤم : « عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَأَقِشٌ » .
وبرأقش : كلبه نبحت على جيشٍ مرؤا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع
الحى ، فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم^(٢) .

(الجن والجن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيلُ المكيُّ عن أبي عطاءٍ العطاردي
قال : سمعت ابن عباس يقول : السُّودُ مِنَ الْكِلَابِ الْجِنِّ ، وَالبُقْعُ مِنْهَا الْجِنُّ .
ويقال إنَّ الْجِنَّ ضَعْفَةُ الْجِنِّ ، كَمَا أَنَّ الْجِنِّيَّ إِذَا كَفَرَ وَظَلَمَ وَتَعَدَّى وَأَفْسَدَ ،
قِيلَ شَيْطَانٌ ؛ وَإِنْ قَوَى عَلَى الْبِنْيَانِ وَالْحَمَلِ الثَّقِيلِ ، وَعَلَى اسْتِرَاقِ السَّمْعِ
قِيلَ مَارِدٌ ، فَإِنَّ زَادَ فَهُوَ عَفْرِيَّتٌ ، فَإِنَّ زَادَ فَهُوَ عَبْقَرِيٌّ . كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا
قَاتَلَ فِي الْحَرْبِ وَأَقْدَمَ وَلَمْ يَحْجَمْ فَهُوَ الشَّجَاعُ^(٣) ، فَإِنَّ زَادَ فَهُوَ الْبَطْلُ ، فَإِنَّ
زَادَ قَالُوا : بُهْمَةٌ ، فَإِنَّ زَادَ قَالُوا : أَلَيْسَ^(٤) . فلهذا قول أبي عبيدة .

وبعض النَّاسِ يَزْعَمُ أَنَّ الْجِنَّ وَالْجِنَّ صِنْفَانِ مُخْتَلِفَانِ ، وَذَهَبُوا إِلَى قَوْلِ
الْأَعْرَابِيِّ حِينَ آتَى بَعْضَ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ لِيَكْتَتَبَ فِي الزَّمَنِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمَنِيَّ فَإِنِّي لَزَمِنٌ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَائِهِ مُسْتَكِنٌ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقا طريفا للمثل في إكليل الهمداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يحجم . . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليث » وهو تحريف .

أبيت أهوى في شياطين تُرِنٌ مختلفٍ نجارهم حينٌ وجنٌ

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي عنبسة^(١) عن أبي الزبير عن جابر : (٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عيذه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عيذه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكنا نقتلها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بني عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان^(٤) فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسى ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر^(٥) : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : فقد صحَّ الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنها من الجن والحن ، وأن أمميتين مسيختا ، وهما الحيات والكلاب .

(١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .

(٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبي الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتي في ل روى بعد الذي يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أنبانا نافع » . (٤) ط : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفي حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطبَ عثمانَ خُطبةً إلا أمرَ بقتل الكلابِ وذبح الحمامِ .

وعن الحسن قال : سمعتَ عثمانَ بنَ عفَّانَ يقولُ : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمامَ .

قال : وقال عطاءٌ : في قتلِ كَلْبِ الصَّيْدِ إذا كان صائداً أربعونَ درهماً ، وفي كلبِ الزرعِ شاةٌ .

(ماورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاءٍ عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيدِ بأربعين درهماً ، وفي كلب الغنمِ بشاةً ، وفي كلبِ الزرعِ بفرق من طعام^(٢) ، وفي كلبِ الدارِ بفرق من ترابٍ ، حقَّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحقَّ على صاحبِ الدارِ أن يقبضَه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلاً إذا كان في مقدار الفراق .
وفي قوله : وحقَّ على صاحبِ الدارِ أن يقبضَه ، دليلٌ على أنه عقوبة على اتخاذه^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام للمالكه . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإسكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلاً . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهي عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ماورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذ رجلاً وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مَعْرُورَةٌ وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

وعن ابن أبي أنيسة^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال : حدثنا هُنَيْدَةُ بن خالد^(٦) الخزاعي
قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجبان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ماعدا ل : « ابن أبي شيبة » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق

قال : حدثنا هيرة » .

(٦) ط : « هنيبرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلَمَّا انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلبٌ في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقي هؤلاء من عمل فلانٍ شيئاً ، كلُّ كلبٍ منها ينقُصُ قيراطاً في كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بـكلبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقُصُ من أجره كلَّ يومٍ قيراطٌ ، والقيراطُ ^(١) مثلُ جبلٍ أُحدٍ » .

يونس عن أبي إسحاق ^(٢) عن مجاهد ^(٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمٍّ له تهديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إلى الغنمِ فاستأنستُ برعائتها وكلابها فقد نزلتُ قاصيةً ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوريُّ عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ الكلاب من الجنِّ ^(٤) وإنَّ الجنَّ من ضعفة الجن ، فإذا غشيمك منها شيءٌ فألقوا إليها شيئاً أو اطرده (٥) ، فإنَّ لها أنفُسَ سوء .

وهشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا يتهنوننا عن شيء من اللعب ونحنُ غامان ^(٦) إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد

ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجنُّ » بالجمع ، والصواب بالخاء كما في ل .

(٥) كذا جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل (١) فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرت بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنه الناس ، لأنَّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنَّه كره للفُرسان ورجالِ الحرب (٢) اتِّخاذ ما يتَّخذه الفلاح وأصحابُ التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهَّب الفُرسان وفي دُرْبَةِ رجالِ الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمر بقتل الدِّيكة ١٤٤

ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتِّخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والدِّيكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم رويت أن الحمام مسخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أن عمر إنَّما (٣) أمر بقتل الدِّيكة حين كره الهراش بها والقمار بها . فاعل كلاب المدينة في تلك الأيام كثير فيها العقور (٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولاة المدينة ربَّما دمروا على صاحب الحمام (٥) إذا خيف قبَله

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « وللرجال » .

(٣) في الأصل « لما » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العتر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا قبْضة .

القمار^(١) وظنوا أنه الشرف^(٢) . وذكروا عنه الرمي بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالك لم تُخرجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري^(٣) والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروي بعضهم في الإربانة أنها كانت خيطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتسكون علامة لها ودليلاً على جنس سرقتها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحانة ، وفي سهيل أنه كان عشاراً باليمن^(٤) وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكاة^(٥) ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين^(٦) وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن الكلاب أمة من الجن مُسخت . والذئب أحق بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنه وحشيٌ وصاحبُ قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفي ل : « به الشرف » ، وفي ط : « أنه السرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدي » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاة : عظامه مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري .

معجم الملعوف ١٥٥ . وفي ط : « الخداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نبت عليه ص ١٥٢ .

وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدي ، والكلب ألوف وصاحب ديار ، وبه يُضربُ المثل .
والذئب خثور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناسُ في الديار
الكلابَ مقامَ السنابير للفأر^(١) . والذئب مضرّةٌ كلّه ، والكلبُ منافعُه
فاضلةٌ على مضارّه ، بل هي غالبيةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفةٌ جميع هذه
الأشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتّخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعباد
والولاة والنسّاك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحتمسبة
وأصحاب التكلّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك التّكبير على^(٢)
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دورٍ من لا يعصمهم ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا
أنّه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلا فالنّاسُ
في جميع أقطار الأرض لا يُجمعون على مسالمة أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا عُذرهم وأبرزوا صفحتهم^(٣) . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عند
قاض بأنّ في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يرُدُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذُ
الكلاب مأموراً به ، لما كان إلا كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة^(٤) ،
وجميع الذئب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حمار
عزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » واللواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١
والنّسار ٣٦٢ .

(ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباباً في دهر الأنبياء ونزول الوحي ، لا يعرض مثلها في غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى في الأرض على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يراءى في السكك^(١) في صورة سُرَاقَة المُدَلِّجِي ، وظهر في صورة الشيخ النَّجْدِي . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجلٍ يتبع حاماً طياراً فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » ، فخبرونا عن يتخذ الحمام^(٢) من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين^(٣) ومن بني هاشم إلى من دونهم ، أترعمون أنهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنهم من نجل الشياطين ؛ أو ترعمون أنهم كانوا إنساً فمُسخوا بعدُ جنّاً ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى قول عمر : لأنزِعَنَّ شيطانه من نُخْرَتِهِ^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة^(٥) : فلما أتاني ما تقولُ تَرَقَّقَصْتُ شياطينُ رأسي وانتشيتُ من الخمرِ

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصريين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهزمة : مقدم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مرة أبو الوجيه العسكلي : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »
قيل له : وأى الشياطين تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمى كل حية شيطانا . وأنشد الأصمعي :

تلاعب مثنى حصرمى كأنه تعمّج شيطان بذي خروع قفر^(١)

وقالت العرب : ما هو إلا شيطان الحماطة . ويقولون : « ما هو إلا شيطان »

يريدون القبح ؛ و « ما هو إلا شيطان » ، يريدون الفطنة وشدّة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ما قتلنا إلا شيطان برصاً^(٢)

١٤٦ لأن الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان . قال طفيل الغنوي :

* وشيطان إذ يدعوهم ويثوب^(٣) *

وقال ابن ميادة :

فأما أتاني ما تقول محارب تغنت شياطيني^(٤) وجنّ جنونها

وقال الراجز :

إني وإن كنت حديث السنّ وكان في العين نبوءة

فإن شيطاني كبير الجنّ

وقال أبو النجم :

إني وكلّ شاعرٍ من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وهذا كله [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن روضة :

أتاني وأهلي بالدمّاح فعمرة مسبّ عؤيف اللؤم حتى بنى بدر^(٤)

(١) تعمج : تلوّى . وفي ط : « تمنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما في ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخدواء . وصدرا البيت كما في اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :

* وقد منت الخدواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرمّاح » ل : « بالدمّاح » . وانظر ياقوت (دمّاح ، غمرة) . ل : « حتى بنى بدر » .

فلما أتاني ما يقولُ ترقّصتُ شياطينُ رأسي وانتشيتن من الخمر

(خرافةُ العذريُّ)

وفدرويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بني عذرة استهوته الشياطين ، فتحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوماً] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وخرافة حقٌّ » .

(حديث عمر مع الذي استهوته الجن)

ورويتم أنّ شريك بن خناسة دخل الجنة وخرج منها ومعه ورقة من ورقها ، (١) وأنّ عمر سأل الرجل المفقود الذي استهوته الجن فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفول والرمة . (٣) وسأل عن شرابهم فقال : الجذف (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعقّ وأحوبا
لكالثور والجنّي يضرب ظهره (٦) وما ذنبه أن عافت الماء مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجذف بالتحريك : نبات يكون بالبين لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .

وق ط : « الجذق » وهو تحريف .

(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهره » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أن الجن خنقت حرب بن أمية ، وخنقت مرداس بن أبي عامر ،
وخنقت الغريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عباد ، واستهوت عمرو بن عدى
واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات (١) أقوياء على رد الصحيح
وتصحيح السقيم ، ورد تأويل الحديث (٢) المشهور إلى أهوائكم . وقد
١٤٧ عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع
ولا قنص فقد آثم (٣) » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع
والضرع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلب الضرع إلا ليحرس الماشية
وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلب عند طروق الأسد والنمر والذئب
وجميع ما يقتات اللحمان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره
ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويجهج بها بعض الهججة ، إلى أن
يلحق بها من يحميها ، ويتوafى إليها (٤) من يذود عنها ، إذ ليس في هذا
القياس أنا متى وجدنا دهرأ تكأثر فيه اللصوص ويفشو فيه السراق ،
وتظهر فيه الثقوب ، ويشيع فيه التسلق ، ممن إذا أفضى إلى منزل القوم لم
يرض إلا بالحرية (٥) ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأنفس ، وهو لا يصل
إلى ما يريد حتى يمر على النساء مكشفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يد
ألا يرضى أن يتوعد بذبح الأولاد [و] أن يتقى بالمال ، (٦) حتى يذبح ،

(١) ل : « ملأ بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصراب في ل .

(٣) ط : « فهو آثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحرية » .

(٦) ل : « وإن لم يتقى بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسكن شيئاً أو أمن قليلاً ، أن يركب الحرّم بالسوءة العظمى
وبالتى لاشوى لها (١) . فهذا الحال أحقُّ بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصريين (٢)
يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصريين (٣) لا يُرين
ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمسكان كثيرة من يستقى ويتحوب (٤) للحياطة ،
والتسلق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحقُّ بالتحصين (٥) والحياطة ،
وأيهما أشبه بالتغريير والإضاعة : اتخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من
قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة السراق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أننا لو حللنا (٥) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب
الناس (٦) ، وبين اتخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمتنع
كلُّ محروس من إعطائهم (٧) تلك الأجرة ، ولو وجد اللصوص ذلك من أعظم
الغنم وأجود الفُرص (٨) . أو ما تعلمون أن هذا الحرّم ، وهذه الحرمات (٩) وهذه
العقائل من الأموال ، أحقُّ بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من
حفظ الغنم وحرّم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لاجتمع على قطيع واحد ، والذى يُخاف من الذئب
السَّلة والخطفة (١٠) ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لا تخطئ .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرمة .

(٧) فى الأصل : « إعطاه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الفُرض » .

(٩) ط : « الحريمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعدة ، ومن تُجِب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمَّ يجالدون دون ذلك ^(١) بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لولا ^(٢) أنهم قد أحسوا من أنفسهم الجراحة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أن قلوبهم أشدَّ من قلوب الأسد لما خرَّجوا ، على أن جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أن السلطان لم يُؤَلَّ ^(٣) إلا لملكائهم . و [الكلاب لم تتخذ إلا لـ] الإنذارِ بهم ، وعلى أنهم إن أندرَ بهم قاتلوا قتالَ من لا ينجيه إلا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد ^(٤) وكان أكثرُ كلابها عقورا ، وأكثرُ فتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والكلبُ العقورُ والكلبُ السكُّبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكُّب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهِالُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أن آباءها وأمهاتها ^(٥) كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسب أن آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يولم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أباهها وأمهاتها » والوجه ما في ل .

وأَمَّهَاتِهَا قَدْ كُنَّ يَعْرِفُن فَصَلَ (١) مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِي ، وَأَنَّهُنَّ اعْتَقَدْنَ عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَى تَقْصِيرٍ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنِ مَعَانِدَةٍ بَعْدَ الْإِسْتِبَانَةِ حَتَّى فَعَلْنَ ذَلِكَ - كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ تَدْعُوا أَنَّ هَذِهِ الَّتِي نَقْتُلُهَا هِيَ تِلْكَ الْجَاهِدَةُ لِلنَّبْوَةِ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرَّبُوبِيَّةِ ، وَأَنَّهَا لَا تَنَّا كَحِ وَلَا تَتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ (٢) أَنْ تَقْتُلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا مِنْ طَرِيقِ الْمَخْنَةِ وَالتَّعْبُدِ (٣) وَإِمَّا إِذَا (٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَضَى عَلَى جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ الْمَجْرَى عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أُجْرَى مَوْتُ جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ فَعْلٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ، عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا فَتَرَكَ النَّاسُ لِلْعِلَّةِ وَرَوَوْا الْخَبَرَ (٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَلِ ، مَجْرَدًا غَيْرَ مُضْمَنٍ (٦) . وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخَرَ السَّكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوَّلَهُ ، وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا السَّكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ دَارَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ سَائِعٌ (٧) غَيْرَ مُسْتَنَكَّرٍ وَلَا مَدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فصل » .

(٢) ل : « في البدئ الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير ميمز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويم [في الفواسق ما قد رويم في (١) الحية والحدأة والعقرب
والفأرة والغراب ، ورويم [في الكلب العقور ، وكيف يُقتلن (٢) في الحل
والحرَم . فإن كنتم فُقهاء فقد علمتم أن تسمية الغراب بالفسق ، والفأرة
١٤٩ بالفؤيسقة ؛ أن ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق (٣) ، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة (٤) فلا يقربن مُصلانا » وهو على غير
قوله عز وجل ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ . وقد قال بعض الرُّجَّاز
وذكر ذنباً :

أما أتاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائطِ أستغيثُ
والذئبُ وَسَطَ غنمي يعيثُ وصحتُ بالغائطِ ياخيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطِّ
في القرطاس ، وإن اختلفت أما كنهه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عنوا بالكلام .
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما في ل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، واللذئب والأسد ، على معنى
ينتظم معنيين^(١) : أحدهما الامتحان والتعبّد بفكر القلب وعمل الجارحة ،
لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت
العصى لا تُغنى فيه على جهة الدّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمّر بالقصد إلى
قتله ، وإنما الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان
كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره^(٢) . وقد أمرنا
بالقصد إلى قتل الحيّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛
لأنّ جنسها الجنسُ المتلف متى همّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغى
بالسيف إلا وهو مقبلٌ غيرٌ مدبر ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما
يُقتل الكافر مقبلاً ومدبراً ؛ إلا أنّ قتل الكافر يجمع الامتحان^(٣)
والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن
بجنسها^(٤) والاحتتيال لمنعها ، دون قتلها . وإذا ولى الباغى من غير أن يكون
يريد الرجوع إلى فئمة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤنَسَ منه
الزُّورُ . وسبيل الأحناسِ والسُّباعِ وذواتِ السموم من الهمج والحشرات ،
القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيض لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جنائياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان
قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضبِّ والجريِّ ، وعن مسخ السكّاب والحكّاءِ
وأنّ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذى كُنّا كتبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) ممن يدعى علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه المظنَّ
الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشنقناقُ والشيصبانُ^(٢) وتنسكوير^(٣) ودركاذاب^(٤)
ومن قاتل امرأة ابن مقبل ؟ ومن خانق الغريص^(٥) ؟ ومن هاتف سعد^(٦) ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيحدث عنهما الجاحظ
في الجزء السادس . وانظر الثمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » محرفاً .

(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاداب » .

(٥) الغريص هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولاهه للثريا صاحبة عمر
ابن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالكامل ، لمعرفة الكتابة والرعى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا
أن الجن قتلته ، وسمع هانفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده

ورميناه بسهمين فلم نخط فواده

وخبّرنا عن بنى أقيش^(١) وعن بنى لبني ، ومن زَوْجُهَا ؟ وعن بنى غَزْوَان
ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزوبعة^(٢) ، والميدعان^(٣) ، وعن النقار ذى الرقبة^(٤)
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم^(٥) ، وعن أطيقس اسم كلب
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لا تنبح من سماه^(٦) ؟ وأين
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ في الفأر والقرد والخنزير
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّي ، أنهنَّ كلَّهنَّ مسخ [وكيف خُصَّت
هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نصدّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟
وكيف صارت الظباءُ ماشيةً الجنِّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّر كلَّ شيء
إلا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضريةٍ وعاشت من ضربتين^(٧) ؟ ولم صارت
الأرانب والكلاب والنعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقد مطايا
للسّواحر ؟ وبأى شيء زوّج أهلُ السّعلة ابن يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على يد حرمي

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مردا من قوارير التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبي في ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ،
وقد عجن دواء أصفر لكل ماثرب له ، فكان يستشق به كل مبرود ومحرور ،
فصار مثلا في البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٥ : « كان
لعبيد الله بن أبي بكر ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاشي ،
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . في ط : « أشعار بأصفر
سليم » وهو تحريف صوابه في ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيقش » . وفي ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدهيرى في كلب
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا في الجزء السادس ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وأبى منصور^(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه
شفشف^(٢) ؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء^(٣)
وشيطان الحماطة ؟ ولم علق السمك المالح بأذنايه [والطرى بأذانه]^(٤)
وما بال الفراخ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كل شىء أصل
لسانه مما يلي الحلق^(٥) وطره مما يلي الهواء ، إلا لسان الفيل ؟ ولم قالت
الهند : لولا أن لسانه مقلوب لتسكلم ؟ ولم صار كل ما ضغ وآكل يُحرك فكّه
الأسفل ، إلا التماسح [فإنه^(٦)] يُحرك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان
الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلا فى الأجفان العالية ؟ وما بال عين
الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقر^(٧) وما بيضة الديك ؟
ولم اذتبع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباتى العقوق^(٨) وما بال لسان سمك
البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء
على وجهه^(٩) ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقبله ذكره ؛

(١) ل : « سمية نصير على يد جرى . . الخ » .

(٢) ل : « سفش » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنايه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكية ، فليس السمك
أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل : « مما يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « المصفور » وهو تحريف . وبيضة المقرقيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الإفتراس
أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى
أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب^(١) شِقْشِقَةُ البعير وغُرْمُول الحمار [والبَغْل] وكَيْدُ الكوسج
بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان] ؟
وخبَّرَنِي عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل^(٢) وإذا أوقدت النارُ
أَمَسَكَتْ^(٤) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والخرافة . لئردَّكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر^(٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطَرَفَتَ هذا المذهب ، فاقْرَأ رسالتي^(٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهي مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لا يحيط بها^(٦) إلا من أطالَ الكلام . وجملة
ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضراء ، وواحدُها ضِرْوَةٌ^(٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلا السَّلُوقِيَّةَ ؛ وهي من أحرار الكلاب
وعتاقها^(٨) ، والجلّاسية^(٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيِّها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضئدع . وفي ط : « تنعق » ، والنميق إنما هو لليوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي

الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقدر رسالتي » والوجه « فاقرا » .

(٦) ل : « لا يحصيا » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » وصححه كما ترى .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها^(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلَوقِيَّةِ ، ولكنَّها تقصِّرُ عن السَّلَوقِيَّةِ بعيداً . وسَلُوقٌ من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّدُ الطبع ، كريمُ العنصرِ حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة^(٢) :

تَمَدُّ السَّاقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وتوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَّاحِبِ
وقال الأصمعيُّ : سَمِعْتُ بعضَ الملوكِ وهو يركضُ خلفَ كَلْبٍ وقد دنا
حَطَمَهُ من عَجَبِ ذنبِ الظبي^(٣) وهو يقول : إيه فدتك^(٤) نفسي !!
وأُشْدُ لبعضِ الرِجَازِ^(٥) :

* مفدييات وملعنات^(٦) *

قال صاحب الديك : فلماً صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤمِ
والنَّذالةِ ، والحِرصِ والشَّرهِ^(٧) ، والبَداءِ والتسرُّعِ وأشباه ذلك ، صاروا
يشتقُّون من اسمه لمن هجَّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

واستغْنِ بالوجِبَاتِ عن ذَهَبٍ لم يبقَ قبلكَ لامرئٍ ذَهَبُهُ^(٨)
يرِدُ الحريصِ على متائفه والليثُ يبعثُ حينه كَلْبُهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيهها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفدييات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحِرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليلة وجبة » . وفي ل : « الوجنات »
وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر -
قال عامر بن الطفيل^(٢) :

ومدجج يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب^(٣)
ومن ولد ربيعة بن نزار كلب^(٤) بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ،
ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع
أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من
جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا
الباب كليب^(٥) بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وبرة . ومنه
بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سَيْكُفِيكَ من ابني نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبةِ الشمُّ الطوالُ الأشاجعِ^(٦) ٦٥٢
والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة
الذين سمعت بهم - تزوجها خزيمه بن [النعمان] من بني ضبيعة بن
ربيعة بن نزار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عزة^(٧) الضبعي

(١) في الأغاني (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواعب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزانة الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شيل بن عمرو) ، وفي الأمالي (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة)

وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعة) وفي القاموس (شبيل

ابن عروة) وفي ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا

كله ما أثبتته من ل ، ومانبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٤ جوتنجن . وقد نهت على ذلك في تصحيفي للخزانة . =

صاحب الغريب - وكان شبيعيًا من الغالية (١) ، فصار خارجيًا من الصُّفريّة - :

بنو كلبية هَرَّارة وأبوهُمُ خَزِيمَةُ عبدُ خاملُ الأصلُ أو كَسُ
وفى مَيَّةَ [الكلبية] يقول أبوها ، وهو علاج بن شحمة (٢) :

إنَّ تَكُ قد بانَت بِمَيَّةَ غرِبة فقد كان جَمَّالاً يَمَلُّ مَزَارُها (٣)
دعَتْها رجالٌ من ضُبَيْعة كَلْبِيَّةً وما كان يُشكِي في المَحولِ جِوارُها (٤)

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم في الرُّقعة التي كانت بإرم الكلبية (٥) . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبية .

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من السَّراة (٦) أن بنى أخته قتلوا كالبية لجاره ، وكانوا أعدَّ منه (٧) فغضب ومضى ، فسَمَّى ذلك النجد الذي هَبَط منه نَجْد الكَلْبِيَّة .

[وبطَسُوج بأدوريا نهر يقال له : نهر الكلبية] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب : وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى السَّراة وبرى من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) إرم الكلبية : موضع قريب من النجاج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قنعب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسَّراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفي ل : « أنجد » . وفي ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبّاد بن أنف الكلب . ومن ذلك أبو عمّر الكلبُ الجرميُّ النحويُّ (١) ،
وكان رجلاً من العلية عالمًا ، عَرُوضيًا [نحويًا] فرضيًا . وعلّويه (٢) كلب المطبخ ،
وكان أشرب الناس للنبيد ، وقد راهنوا بينه وبين محمد بن عليّ .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحي (٣) والضبة التي يقال لها الكلب .
وكذلك الكلبة والكلبتان ، والكلّاب والكلّوب .

وقال راشد بن شهابٍ في ذلك المعنى :

أمكن كلاب القنا من ثغورها وأخضب ما يبدون استاهها بدم (٤)

[وقال] :

فسوف يرى الأقوام ديني ودينكم إذا كلبتا قينٍ ومقراضه أزم (٥)
وقال الراجز :

ما زال مذكان غلامًا يستتر (٦) له على العير إكافٌ وثفر
* والكلبتان والعلاة والوتر *

وقال أشهب بن رُميلة ، وكان أوّل من رمى بنى مجاشع بأنهم قيون : ١٥٣

يا عجبًا هل يركب القينُ الفرسَ وعرقُ القينِ على الخليلِ نجس (٧)
ولمّا أداته إذا جلسُ الكلبتان والعلاة والقبسُ

وكان اسم المزنوق فرسٍ عامر بن الطفيل : الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمي ، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبي عبيدة ،
وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفي الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر
نزهة الألباء ١٩٨ وبقية الرواة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفي ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر

في خزانة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أن حرب أيام هراميت^(١) إنما كان سببه كلب -
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح :
كلاب النار .

وقد قال جندل بن الراعي [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالك تطبل
الوقوف على كلب بنى كليب ؟ !
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عَلَيْكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنَّا عَذَابٌ مُرْسَلٌ
إِنَّ السَّماوَةَ لَأَسْماوَةٌ فَالْحَقِي بِمَنابِتِ الزَّيتونِ وابْنِي بِجَدلٍ^(٢)
وبأَرْضِ عَكٍّ فِي السَّواحِلِ إِنَّها أَرْضٌ تَدوبُ بِها اللَّقاحُ وَتَهزَلُ
وقال حُصَيْنُ بنِ القَعْقاعِ^(٣) يرثي عُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ :

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ خِنْدِفٍ كَلَّها بِعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهابِ
قَتَلُوا ذُوأَباً بَعْدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ فَشَفَى الغَليلَ وَرِيَّةَ المِرتابِ
يَوْمَ الحَليلِ بِذِي الفَقارِ كَأَنَّهُ كَلِبٌ بِضَرْبِ جِماجِمِ وَرِقابِ
وقال آخر^(٤) :

لِللَّهِ دَرٌّ بِبَنِي الحِدادِ مِنْ نَفَرٍ وَكَلٌّ جَارٍ عَلَي جيرانِهِ كَلِبٌ
إِذا غَدُوا وَعِصِيُّ الطَّلحِ أَرَجُلُهُم كَما تَنصَبُ وَسَطَ البِيعَةِ الصُّلبِ
وَإِذا كانَ العُودُ سَريعَ العُلوقِ فِي كَلِّ زَمانٍ أَوْ كَلِّ أَرْضٍ^(٥) ، أَوْ

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق
٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س والأغاني ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

في عامّة ذلك قالوا : ما هو إلاّ كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وزر بن] جابر (١) حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدر كنه أمّ كلبه »
يعني الحصى .

ومأ ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو
الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

* لاقيت مطلاً كنعاس الكلب (٢) *

يقول : مطلاً مقرّماً (٣) دائماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم* كعين الكلب في هبي قباع (٤)

قال : هذه أرض ذات غبرة من الجذب (٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذي يهتدى به إلاّ وهو كأنه عين الكلب ، لأنّ الكلب أبداً مغمض*
غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والمهبي : الظلمة واحدها هاب ، والجمع هبي
مثل غازٍ وغزى . والقباع : التي قبعت في القتام ، واحدها قابع ، كما يقبع
القفند وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرق الجارات بالليل قابعاً قبوع القرني أخلفته مجاعره (٦)

والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرني : دويبة أعظم من الخنفساء .

(١) كان من وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للشعالبي قول في هذا البيت بشار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أنوم
من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل الترمطة : مقارنة الخطو .

(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني (كعين الكلب النعاس) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل : « أسلمته مجاعره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلاب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلَّتْ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنَّ الأرقامَ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عوى متهمَّ الأسنانِ (١)

وقال الشاعر في منظور بن زيان :

لبئس ما خَلَفَ الآباءَ بعدهمُ في الأمهاتِ عِجانُ الكلبِ منظورُ
ومن هذا الضرب قول الأعرابي (٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيْنَا لصغرى فَيَّ من أهلها لا يزيئها
كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هَجْمَة

يعذَّبُ فيها نفسَه ويُهَيِّئُها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لحا اللهُ جَرَمًا كَلِّمًا ذَرَّ شارِقَ وجوهَ كِلابٍ هارِشتَ فازبأرتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشئتُ نَجْتِي كُمَيْتِ طِمْرَةَ ولم أجعل النعماء لابن شعوب
وما زال مُهرى مَزَجَرًا الكلبِ منهمُ لذنْ غدوةً حَتَّى دنتُ لَغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « إن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق

البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدىء سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري

٤٢ وحامسة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعْتَهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِعٍ
 مِنَ الطَّرْفِ حَتَّى خَافَ بِصَبْصَةِ الْكَلْبِ

وقال شريح بن أوس (١) :

وَعَيْرَتَنَا تَمَرُ الْعِرَاقِ وَنَحْلُهُ
 وَزَادَكَ أَيْرَ الْكَلْبِ شَيْطَهُ الْجَمْرُ

وقال آخر (٢) وهو يهجو قوما :

فَجَاءَا بَجْرَشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيْهِمَا
 كِرَادِيْسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ

وقال الحارث بن الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا
 هَشُّوا وَقَالُوا : مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ
 وَلَعُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي ، حين ارتشى ضمرة النهشلي ، ونفر عليه

عباد بن أنف الكلب الصيداوي (٣) فتال سبرة :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أُمَّكَ هَابِلُ
 وَالْحَيْكُمُ مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
 أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمَثَلِهَا لَا يُنْشَدُ

شِعَاءً فَاقِرَةٌ تَجَلُّ نَهْشَلًا
 دَنْسًا تَغُورُ بِهِ الرَّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرَّفَاقَ أَمَالَ حَكْمَكَ حَبُّهَا
 فَلَكَ الْلِقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فُضِحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَّ كَأَنَّهُ
 كَلْبٌ يَبْصِبُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلا يَكُنْ دُونَهَا
 خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابُ شَوْكَتِهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَتَا زَيْفِيَّةَ
 غَلْمٌ يَشُورُ عَلَى الْبِرَاشِ أَعْقَدُ

وقال مزرد بن ضرار :

وَإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ
 تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمَّكُمْ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقري كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمالي المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة .

وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بنى الصيدا . المعمرين ٤٣ .

وليت الذي ألقى فناؤك رحله لتقرّيه بالت عليه الشعالُ
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْر الأعضاء .

وقال :

ياسبرُ يا عبدَ بنى كلابِ يا أيرَ كلبِ مُوثقِ ببابِ
أكان هذا أولَ الثوابِ يا ورلاً رقرقَ في سرابِ
* لا يعلّقنكم ظفري ونابِي *

وقال الآخر (١) :

كأنّ بنى طهيةَ رهطَ سدّمي حجارةَ خارى يرمى الكلابيا

وقال صاحب السكّلب : ومما اشتقّ من اسم السكّلب في موضع
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائل . ويقال إنّه قيل في رجلين
من بنى ربيعة مالم يُقلّ في أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قوظم : « أعزُّ من كليب وائل » ، والآخر : « لاجرٌ بوادي عوف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً ،
وكان يحمى السكّال ولا يتكلمُ عنده إلاّ خفصاً ، ويجري الصيد ويقول :
صيدُ أرضِ كذا وكذا في جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتّعه (٢)
فرما قذّف به في الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقيه بحريم
الحوض فلا يرده بعير حتّى تصدُر إبله .

(١) هو جرير كما في البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٢٩٩ .

(٢) كتّعه بمعنى شد قوائمه . وانظر أمثال الميداني ١ : ٤٤٦ وانمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التيمي (١) :

أظنَّ ضِرَارُ أُنَى سَأَطِيعِهِ وَأُنَى سَأَطِيعِهِ الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ
إِذِ اغْرورقت عيناه واحمرَّ وجهه وقد كادَ غِيظاً وجهه يَنْبُضُ (٢)
تَقَدَّمَ فِي الظلمِ المَسِينِ عَامِداً ذِرَاعاً إِذَا ما قُدِّمْتَ لَكَ إِصْبَعُ (٣)
كَفَعَلِ كَلِيبٍ كُنْتُ أَنْبِئْتُ أَنَّهُ يَخْلُطُ أَكْلَاءَ المِياهِ وَيَمْنَعُ (٤)
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ أَرانِبِ ضاحِ وَالظَّبَاءِ فَتَرْتَعُ
وقال دريد بن الصمة :

لَعَمْرُكَ ما كَلِيبٌ حِينَ دَلَّى بِجَبَلٍ كَلْبَهُ فِيمَنْ يَمِيحُ (٥)
بِأَعْظَمَ مِنْ نَبِيِّ سَفِيانٍ بَغِيًّا وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِيحُ (٦)
وقال العباس بن مرداس :

كَمَا كانَ يَبْغِيها كَلِيبٌ بِظَلْمِهِ مِنَ العَزِّ حَتَّى طاحَ وَهُوَ قَتِيلُها
عَلَى وائِلٍ إِذْ يُنْزِلُ الكَلْبَ ما حَا وَإِذْ يُمْنَعُ الأَكْلَاءَ مِنْها حَلولُها (٧)
وقال عباس أيضاً لسكليب بن عهمة الظفري (٨) :

(١) هنا ينتهي السقط في ل .

(٢) ط : « يتبضع » .

(٣) ل : « إذا ما أرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحل) .

(٥) ط : « كليبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يبرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفي ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « عيمة » وفي الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمْتُ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
تَبَغَى بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وَإِخَالُ أَذِّكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَنَانَهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال الذابغة الجعدى :

١٥٧

كَلِيبٌ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمَسْهَمِ
وقال قَطِرَانُ الْعَبْشِيُّ ، [ويقال الْعَبْشِيُّ ^(٢)] :

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بِنِ مَرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَأَثَلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْلُهَا^(٣)
أَجْرًا كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَّتْ وَأَثَلًا حَتَّى اسْتَحْفَفَتْ عَقُولُهَا^(٤)
بَأَهْوَنَ مِمَّا قَلْتِ إِذْ أَنْتِ سَادِرٌ وَاللَّذَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا^(٥)
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة ^(٦) :

نَحْنُ أَبْسَنَا تَغْلَبَ ابْنَةَ وَأَثَلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَحْيَلًا^(٧)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مَتَذَلًّا^(٨)
وقال رجل من بني سدوس :

وَأَنْتِ كَلِيبِيُّ لِكَلْبٍ وَكَلْبِيَّةٌ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرٌ

(١) ل : « سنانها مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسى » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدت واثلا » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام ، وهى

تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفي ط : « أنابته بالناب » وليس بشئ .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها وأنْ أصبحوا منهم شريد وهالك
وإنَّ كلاً حَيِّكٍ فيهم بقية لو أنَّ المنايا حالمها متاسك^(١)
كلاب وكعب لايبيت أخوهم ذليلاً ولا تعيى عليه المسالك^(٢)

وقال رجل من بني كلاب من الخوارج^(٣) ، لمعاوية بن أبي سفيان :

قد سرت سَيْرَ كَلِيبٍ في عَشِيرَتِهِ لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جَسَّاسِ
لَطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها كطِرة البرد، أعيافتُها الآسى^(٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أوَّل عمل وليه الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ، وعلى أيِّ سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراني أميراً إلا على موضعٍ تسترني منه أكمة ، أهونُ بها عليٌّ ؟ ! وكرراً رجعا ، فقيل في المثل : « أهونُ من تبالة على الحجاج » .

والعامية تقول : هو أهونُ عليٌّ من الاعراب على عركوك^(٥) .

١٥٨

(١) ل : « وإن كلى حبيك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبي العبيس .

(٤) المائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عاندها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن

عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .

هذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على

النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولى قبل ذلك ما ولى ،
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، وأنت اسمك الحجاج .
قال : فأنا والله كليب ، أئى سمّيتى به وأنا صبي . فمات ، و [كان]
استخلف على الخراج ^(١) يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبي كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض لزجر الطير والغال ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى ^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتفاعل فيه الشدة ^(٣) والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم
ما لقي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة
وانخبّ والمسكّر والسكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت ،
والسكسب وغير ذلك .

(١) فى الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت

كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدّة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦

ولذلك صورَّ عبيد الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدأً ، وقال :
كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيرَ إلى ذلك فطارت عليه .
وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمَّى ابنه بحجر وجبل ،
وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاً سَمِيَ
بِبرِّذون^(١) ، وبغل ، وعُقَاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
قال الأوَّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبرِّذونا ،
ولعلَّه لا يكون رأهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيده لأموالهم
يحتاجون إليها يوماً ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقاً محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك
ونحن نجده يسمَّى بنجم ولا يسمَّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضهم قد سمَّى بذلك
عبدأله ، وفيه يقول :

كَوْكَبٌ إِنْ مُتُّ فَهَيْ مَيْتِي لَأُمْتُ إِلَّا هَرِمًا يَا كَوْكَبُ
ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمون بأحد ولا بشير
وأجاء وسلمى ورضوى ، وصنِّد وحميم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا
رغوسهم من خيامهم . ويسمون بَبْرَج ولا يسمون بفَلَّك ، ويسمون بقمر
وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرض وسماء . وهواء ١٥٩
وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أنَّ جبلاً أبلغ

(١) في الأصل : « سمي برِّذون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لهما « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقوني وقالوا لاتغن ولو سقوا (جبال حنين) ماسقت لغنت

من حجر ، وطوداً^(١) أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .
وقد سمّوا بأسد وليث وأسامة وضرغام^(٢) . وتركوا أن يسمّوا بسبع
وسبعة . [وسبع]^(٣) هو الاسم الجامع لكلّ ذى ناب ومخلب .
قال الأوّل : قد تسمّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمّوا بأبان وسلّمى .
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت
لها أسماء تركت لثقلها ، أو لعلّة من العلل ؛ وإلّا فكيف سمّوا^(٤) بسلمى
وتركوا أجاً ورّضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربّما فعلوا ذلك على أن يتفق لواحدٍ ولودٍ
ولعظمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حماراً ، فيسمّى ابنه بذلك ؛ وكذلك
الكلب والذئب ، ولن يتفق في ذلك الرقت أن يسمع بذكر فرس ولا حجرٍ
أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثور ، أو كلب اسم رجلٍ معظّم ،
تتابعت عليه العرب تطيرٌ إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصّةً بعده . وعلى
ذلك سمّت^(٥) الرعية بنيتها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسأهم ، وعلى ذلك
صار كلٌّ علىٰ يكنى بأبي الحسن ، وكلُّ عمّر يكنى بأبي حفص ، وأشباه ذلك .
فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليّ كالسّماء والأرض والهواء والماء والنار ،
وأسماءٍ آخرٌ مشتقاتٌ منها على جهة النّمال ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط : « بسما » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمرا . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمى إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى موضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحُمْلان والمكس .
وقال جابر بن حني (١) :

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
وكما قال العبدى في الجارود (٢) :

أيا ابن المعلى خلتنا أم حسبتنا صرارى نعطى الماكسين مكوسا (٣)

(١) في الأصل : « خارجى » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان (مكس) ، وقصيدته في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاف : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلى ، صحابي كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذى يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سراق المجد عليك بمدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟
وكيف أمسيتم؟

وفال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً
أبا ضمرة! قال: نعمت فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عيم صباحاً أيها الظلُّ البالي وهل يعمن من كان في العُصر الخالي
وعلى ذلك قال الأول (١):

أتوا نارِي فقلتُ متونَ قالوا سرّاة الجنِّ قلتُ عمّوا ظلاماً
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيّد المطاع: أبيت اللعن،
كما قيل (٢):

* مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحياً بتحية الملوك ويقال له: أبيت
اللعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبد أن يقول لسيدهِ ربِّي، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ
البيت. وكذلك حاشية السيّد والملِك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال
الحارث بن حلزة:

ربُّنا وابننا وأفضلُ من يم شئٍ ومن دون ما لديه الشنَاء

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب
٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبيد حين ذكر حذيفة بن بدر :
وأهلكن يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنه وربَّ معدَّ بن خَبْتٍ وعَرَعْرَ
وكما عيَّر زيدُ الخليل حاتمًا الطائيَّ في خروجه من طيِّ من حرب
الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول (١) :

وفرَّ من الحربِ العَوَانِ ولم يكنْ بها حاتمٌ طبًّا ولا متطبِّبًا
وريب حصنا بعد أن كان آبيًّا أبوة حصنٍ فاستقالَ وأعتبًا
أقمُ في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ماتقضتْ حربنا أن تطربا
وقال عوف بن محمَّل (٢) ، حين رأى الملك : إنه ربي وربَّ السكبة .
وزوجه أمُّ أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقوَّام الملوك السدنة وقالوا الحجبة (٣) .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب
النحوى حين أنشدَه شعر الأسدى :

ومركضة صريحي أبوها تُهان لها الغلامه والغلام (٥)

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر نسخة دواوين العرب
١٠٧ والأغاني (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو السنى يقال فيه : « لاجر بوادى عوف » . أمثال الميداني ٢ : ١٦٧ . وهو
من بني ذهل بن شيبان ، ومن أشرف العرب في الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه .
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محمَّل الخزاعي ، فإن هذا إسلامي كان
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقتصيده المشهورة التي فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمي إلى ترجمان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا لبحية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
أخذ عنه أبو عبيدة كما في البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهري : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامه ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك ، وأسماءه زالت مع زوال معانيها ، كالمربع والنشيطه وبقى^(١) الصفايا ؛ فالمربع : رُبع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس ، وصار في الإسلام الخمس ، على ماسنه الله تعالى . وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه . وبقى^(١) الصفي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغمم ، وهو كالسيف اللهم^(٢) والفرس العتيق ، والدرع الحصينة ، والشئ النادر .

وقال ابن عنمة الضبي^(٣) حليف بني شيبان ، في مرثيته بسطام ابن قيس :

لك المربعُ منها والصفايا وحكُمك والنشيطه والفضول
والفضول : فضول المقاسم ، كالأشياء إذا قسم وفضات فضلة
استهانت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والجارية ،
وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم كأبي رجاء العطاردي^(٤) ، بن سالمه^(١) ، وشقيق بن سالمه ؛ ومن الشعراء التابعة الجعدى

(١) كذا ولعلها «نق» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه في س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام في الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبي رجاء ترجمة في الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنَّهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سَمَّى الأرضَ التي لم تُخفَّر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الأورَى لَأَيًّا مَا أُبَيَّنُّهَا والنوى كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ
ومنه قيل سِقَاءُ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :
ظَلَمَ البِطَاحَ لَهُ انْهَالُ حَرِيصَةٍ فصفا النطافُ لَهُ بُعِيدَ المَقْلَعِ
وقال الآخر :

قالت له مِيَّ بأعلى ذِي سَلَمٍ لو ما تَزَوَّرْنَا إذا الشَّعْبُ أَلَمٌ
* أَلَا بَلَى يامِيَّ واليومُ ظَلَمٌ ^(١) *

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

* أنا أبو زينب واليومُ ظَلَمٌ ^(٢) *

وقال ابن مقبل :

عادَ الأذلةُ في دارٍ وكانَ بها هَرَّتْ الشَّقَاشِقُ ظَلَامُونَ للجُزْرِ
وقال آخر :

وصاحبِ صدقٍ لم تَنَلْنِي أذاتِهِ ظَلَمْتُ رَفِي ظَلَمِي لَهُ عامِداً أُجْرُ
وقال آخر :

لايَظْلِمُونَ إذا ضَيَّفُوا وطأبَهُمْ وهم لجودهم في جُزْرِهِمْ ظَلَمٌ

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) فى الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبية السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان في الحق أن تنحر نحرأ . وظلمهم
الجزر^(١) أيضا أن ينحروها صحاحا سمانا لاعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سميت بهذا لأنها تنال
غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع
الشبه في موضعه .

ومن المحدث المشتق ، اسم منافق لمن رآعى بالإسلام واستسرى بالكفر
أخذ ذلك من النفاق والقاصعاء والدأماء^(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل
التيثم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحروا ذلك وتوخوه .
وقال : ﴿ فَاَمْسَحُوا بِيُوجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثرت هذا في الكلام حتى
صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت
صحبته وملاستهم له^(٣) .

وكما سموا رجميع الإنسان الغائط ، وإنما الغيطان البطون التي كانوا
ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاء الحاجة للستر .

ومنه العذرة ، وإنما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن
لما طال إلقاؤهم النجوى والزبل في أفئنتهم ، سميت تلك الأشياء التي رموا
بها ، باسم المكان الذي رميت به . وفي الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتِكُمْ » .
وقال ابن الرقيات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « صحبته وملاسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ .

وانظر ص ٢٥٥ .

كان لا يحجبُ الصديقَ ولا يعْتَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَدِرَاتِ
ولسكنهم لكثرة ما كانوا يُلقون نجوهم في أفئدتهم سموها باسمها .

ومنه النُّجو : وذلك أنَّ الرجلَ كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تَسْتَرُّ بنجوة . ١٦٣
والنُّجو : الارتفاعُ من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهبَ يَنْجُو ، كما قالوا ذهب
يتغوَّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرج ، وإلى المنوضاً ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،
وإلى الحشِّ ، وإِنَّمَا الحشُّ القطعةُ من النَّخلِ وهي الحِشَّان . وكانوا بالمدينة
إذا أرادوا قضاءَ الحاجةِ دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ
الحشِّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلَّ ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب
للخَرءِ ، لأنَّ الاسمَ الخَرءُ ، وكلُّ شيءٍ سواه من ^(١) ورجيع وبراز وزبل وغائط
فكلمه كناية .

ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّةُ موضعُ الخُبْزةِ ، فسموا الخُبْزةَ باسم موضعها .
وهذا عند الأصمعيِّ خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة
فسميت المَزَادَةُ باسم حامل المَزَادَةِ . ولهذا المعنى سموا حاملَ الشعرِ
والخديثِ راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صدأقها . قالوا : وإِنَّمَا كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة .
وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثَةِ والدى ولا شادَ مالى مُستَفادِ النوافِجِ
وكانوا يقولون : تَهْنِيكَ النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصَّدَاقِ .

ومن ذلك أَسْمَ كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقَبَّةِ والخِيمَةِ
والخيام^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عايبها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا
يقال ذلك اليوم . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوَّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجور : قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا
القُحَّابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا السكناية عن من زنت وتكسَّبت
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إِنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَّابُ *

[وقال^(٢)] :

وإذا ما قحبت واحدةً جاوبَ المبيدُ منها^(٣) فخصفُ

وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا

متاعه وعورته وشواره . والشوار : المتاع^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون^(٥)]
الآير والحِرَّ والامست .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) ط : « فمحب » وأثبت ما في س و م . ومعنى خصف شرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيه الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد^(١) : من ذلك ١٦٤ قوله : « إذا لاينتطح فيها عزان » . ومن ذلك قوله : « مات حثف أنفه » . ومن ذلك قوله : « ياخيلى الله اركبى » ومن ذلك قوله : « كلُّ الصيدِ فى جوفِ النمرِ » ، وقوله : « لايلسع المؤمن من جحرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرها من أخزم)

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : « شنشنة أعرها من أخزم » ، يعنى شبه ابن العباس بالعباس . وأخزم : فحل معروف بالكرم .

(ما يكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايقولن أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقلن لقيست نفسى » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمن الظاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الرجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهى عن قول القائل : استأثر الله بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال^(٢) استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب المغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه فى ل .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنّة الله وسنّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحِفٌ ، للمسجد القليل الذَّرْعُ ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربّما صغروا الشيء من طريق الشَّفَقَةِ والرَّقَّةِ ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنّ فلانٌ أخبِّيٌّ وصُدِّيقيٌّ ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابن مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِيٌّ علياً^(١) . وقال الحباب بن المنذر^(٢) يوم السَّقِيْفَةِ : أنا جُدَيْلُهَا الحَكْكُ ، وعُدَيْقُهَا المَرَجَّبُ . وهذا كقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة : الحُمَيْرَاءُ ، وكقولهم لأبي قابوسَ المَلِكِ : أبو قُبَيْسِ . وكقولهم : دَبَّتْ إِلَيْهِ دَوِيْهِيةُ الدَّهْرِ ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقّة المسلك .

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الحضرة ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فُعِيلٍ في أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقولهم
 المُعَيْدِيّ ، وكنحو سُلَيْم ، وضمير ، وكليب ، وعُقَيْر ، وجُعِيل ، ومُحْمِد ،
 وسُعِيد ، وجُبَيْر ، وكنحو عُيِيد ، وعُيِيد الله ، وعُيِيد الرماح^(١) . وطريق التحقير
 والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجَيْل ونُذِيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صَغَّرْتَهُ كان
 أملاً للاصْدَر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله ،
 وكعب بن جُعِيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
 وبنية ، لا يتغيَّر ، كنحو الحَمِيَّاء والشُّكَيْتِ ، وجُنَيْدَة ، والقَطِيعا ،
 والمربِطاء ، والسُّميراء ، والمليساء - وليس هو كقولهم القُصَيْرِيّ ، وفي
 كبيدات السماء والثريا .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا !
 كأنَّه كره قولي أنا .

وحدَّثني أبو عليُّ الأنصاري ، وعبد الكريم الغفاريُّ قالا : حدَّثنا
 عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُيِيد^(٢) يجلس في داره ، وكان
 لا يَدْعُ بابَه مفتوحا ، فإذا قرعه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحه له . فأتيتُ
 البابَ يوماً فقرعته فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ما أعرف أحداً
 يسمَّى أنا . فلم أقُلْ شيئاً وقتُ خلفَ الباب ، إذ جاء رجلٌ من أهل

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد
 المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا
 ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان فقرع الباب ، فقال عمرو : من هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قديمٌ عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلما وجدت فرجةً أردت أن أليج الباب ، فدفع الباب في وجهي بعنف ، فأقتُ عنده أياماً^(١) ثم قلت في نفسي : والله إنني يوم أتغضب على عمرو بن عبّيد ، لغير رشيد الرأي . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقالت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجل عند الشعبيّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علمك ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتقوا تكذيب الله ، ليتق أحدكم أن يقولَ قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبت لم أقله .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لا يهل أحدكم أهريق الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمر رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزينا إن كنا لانعلم أن الله أعلم ؛ إذا سئِلَ أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا أعلم لي بذلك .

وسمع عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اللهم اجعلني من الأقلين ! قال : ما هذا للدعاء ؟ قال : إنني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وقليلٌ من عبّادِي الشّكور ﴾ وقال : ﴿ وما آمنَ معه إلا قليلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قول الرجل لصاحبه : ضعه تحت إبطك ، وقال :

هَلَّا قَلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنْكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرَأَتْ فَرَسًا بِحَضْرَةِ
سَالِمَانَ - (١) فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّشِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحَجَّاجُ لَأَمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ (٢) : عَمَدْتَ إِلَى مَالِ اللَّهِ
فَوَضَعْتَهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦
فَتَلَجَّجَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَدْعًا أَوْ رَفْعًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذِيكَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي
وَأَمْتِي ، وَلَسْكَنُ يَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي ،
وَلَسْكَنُ يَقُولُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَائِلِ لِلسَّكَابِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ
عَيْنًا » ، وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعْرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى
أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنَ السُّكْرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوُونَ الْأُمُورَ مَعَ عِلْمِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتْ
الْمُؤَنَةُ ، وَلَسْكَنُ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةً ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِنْخِبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا
الْمَنْرَعِينَ مَشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عَمْرًا ، وَوَلَّى عَمْرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بِعَهْدِ مَنْهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْعَبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَاوِمٌ فِيهَا الْحَجَّاجُ
وَإِنْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَمَّاجِمِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةَ
وِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُوا العِنبَ الكَرَمَ ؛ فَإِنَّ الكَرَمَ هو الرجلُ المسلمَ » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدي^(١) قال : وجهُ هذا عندنا ، أنَّ القومَ قالوا : ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله » . يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهمُ أَنَّهُ إِنَّمَا أوقع الكلامَ على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيْلُ ؛ لأَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ أيضاً من أسماءِ جبريل . ألا ترى أنَّ موسى قال : « لَيْتَ أَنْ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا^(٢) ، ومعه روح سيفرت^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بعلزبول^(٤) ، يريدون شيطاننا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعنى القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العبدي البصري ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس

٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرُد الليل . فكره ذلك وقال :
إن سهيلاً لم يأت بحرّاً ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد
كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقول الرجلُ للغيمِ والمسحابة : ما أخلقها للمطر !
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنهم من خوفهم عليهم العودُ
في شيء من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوهم من الكلام الذي فيه ١٦٧
أدنى متعلق .

وروا أن ابن عباسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمته على فمي ، فإنّما
يختم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قزح . وقال : قزح
شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعرّيج والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من
عادات الجاهليّة . وكان أحبّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما
يقال بيت الله ، وزوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله (١) .

وقالت عائشة رضی الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيّ بعده» . فإنّما تكنّ ذهبتُ إلى نزول المسيح
فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تغيّروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل
لكم ، والفظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضی الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ،
وقال : ليس الإسلام إلاّ لله (٢) عزّ وجلّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس
سهل ، وقد كرهه ابن عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث فسر
الشعبي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمّوا الطريق السكّة .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال قل تبعت جنازة .

كأنه ذهب إلى أنه عني أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة .

والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ،

وهي عندي شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .

وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القفيز

بدنينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .

وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال

يل قولوا : قد قضوا الصلاة ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلّوا ؛ لقوله :

﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين

انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف

الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أوّل المنصرفين . وقد كرهه

ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طامث ، وكره مجاهد

قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،

فلعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿١﴾ فَقَدْ قَالَ النَّاسُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَلَمْ ١٦٨
يَقُولُوا عَرَفَةَ .

(رَأَى النِّظَامَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ)

وَصُورٍ مِنْ تَسْكُلُهُمْ فِي التَّأْوِيلِ)

كان أبو إسحاق يقول : لا تترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا
أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على
غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن
عندكم عكرمة ، والكلبي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ،
وأبو بكر الأصم ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم ^(١) وأسكن إلى
صوابهم ، وقد قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عز
وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها ، بل إنما عني الجباه وكل
ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجبهةٍ وأنفٍ وثفنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه

ليس يعنى الجمال والنوق ، وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن

الناس غيروه ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

(١) في الأصل : وبتفسيره .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾
قالوا : يعني أنه حشَرَهُ بِلا حِجَّة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيَلُّ لِمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف
كان في الجاهلية قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :
وادٍ في جهنم ، ثم قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ (١)
بلغة اليمن .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من وصلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هي : سَلٌ سَبِيلًا إليها
يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تَسَمَّى ، وعلى أى شىء وقع قوله
تَسَمَّى فِتَسَمَّى ماذا ، وما ذلك الشىء ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْمٌ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أن كلام الجلد من أعجب العجب !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّا يَا كُلَّانِ الطَّعَامِ ﴾ : إنَّ هذا إِنَّمَا كان
كناية عن الغائط . كأنه لا يرى أن في الجوع وما ينال أهله من الدلالة
والعجز والفاقة ، وأنه ليس في الحاجة إلى الغذاء — ما يُسَكِّفِي بِهِ في الدلالة
على أنهما مخلوقان ، حتَّى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) في القاموس : المِقْطَرَةُ : الحجرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَنِيَابِكَ فَطَهَّرٌ ﴾ : إنه إنما عني قلبه . ٦٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللحياني : (الجبَّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبَّاراً في الضَّخْم والقوَّة ، فتأوَّل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبَّاراً على معنى قتَّالا ، وتأوَّل في ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ أى قتَّالاً بغير حق . والجبَّار : المتكبر عن عبادة الله تعالى ، وتأوَّل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ (١) ، وتأوَّل في ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ أى لم يجعلنى متكبراً عن عبادته ، قال الجبَّار : المسلَّط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلَّط فتقهرهم على الإسلام . والجبَّار : الله .

وتأوَّل أيضاً (الخوف) على وجوه ، ولو وجدَه في ألفٍ مكانٍ لقال : والخوفُ على ألفٍ وجه ، وكذلك الجبَّار . وهذا كله يرجع إلى معنى واحد ؛ إلاَّ أنه لا يجوز أن يوصف به إلاَّ الله عزَّ وجلَّ .

(تكلف بعض القضاة في أحكامهم)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي (٢) : إنَّ أبى أوصى بثلث ماله في الحصون . قال : اذهب فاشتر به خيلاً ، فقال الرجل : إنه إنما ذكَّر الحصون ! قال : أما سمعت قول الأسعر الجعفيّ :

(١) في الأصل : « ولم أك » وليس في الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .
(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العبدي ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمت على تجنبي الردى^(١) أن الحصون الخيل لا مدد القرى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخيل .

وخبرني النوشرواني قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدّي بثلاث
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر^(٢) :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعادِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًّا .

وقالوا في قوله : ماسأءك ونأءك : [نأءك] : أبعدك . قالوا : وسأءك^(٣)

أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيِّنَاتٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلّف .
وقال ابن قميّة^(٤) :

وحال أفعال إذا هي أعرضت على الأصل لا يسطيعها المتكلّف

وقال الله وهو يخبر عن نبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدّة إعجابهم بالغريب

من التأويل .

(١) في ط : « الوري » وهو تحريف ما في س .

(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٢٨٧ . لكن وجدت البغدادي في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماسأءك ونأءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكفين ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قميّة » وصوابه : « ابن قميّة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى في أبي حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبي حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهل الناس بما كان (١) !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠
الماء الحارُّ في الشتاء ، والبارد في الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثَّة التي قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجَّ : صرورة .

وأنت إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليَّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبي (٢) :

لو أنها عرَّضتَ لأشمطَ راهبٍ عبدَ الإلهِ صرورةٌ مُتبتِّلٍ
لدنا (٣) لبهجَّتِها وحُسنَ حديثِها ولهمَّ من تأموره بتنزُّلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ في مراتبِ العبادة ، وهو اليومَ

اسمٌ للذي لم يحجَّ إمَّا لعجزٍ ، وإمَّا لتضييعٍ ، وإمَّا لإنكارٍ (٤) . فهما مختلفان كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربعة بن مقروم بن قيس الضبي ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفي نحو سنة ٢٠ .

(٣) هي في شعر شبيه بهذا للتابعة « لونا » .

(٤) في الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكّنهم وألمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق
وأوجب طاعة . وكما أن له أن يبتدىء الأسماء ؛ فكذلك له أن يبتدئها
مما أحب . . . قد سمي كتابه المنزل قرآناً ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجود للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجارحة التي (١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقبا . فواحدة أن يسمى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً
وإذا كان جحوداً كان شركاً ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به (٢)] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي (٣) :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلِ مَجْرَمٍ
وإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ مِنْ نَبَاحِ الْكِلَابِ .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظبيَ إذا أسَنَّ ونبَّتْ لقرونه شَعْبٌ نَبَّحٌ ، وهو قول
أبي دُوَادٍ (١) :

وقصرَى شَنِجَ الأَنَسَاءِ ۚ نَبَّاحٌ مِنَ الشَّعْبِ

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وَيَنْبَحُ بَيْنَ الشَّعْبِ نَبْحًا كَأَنَّهُ نَبَّاحٌ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَائِرِيئِهَا
وَبَيَّضَهَا هُزْلُ المَسْوَدِّ غَيْرَهَا كَمَا ابْيَضَّ عَنْ حَمَضِ المَرَا حِ نَبِيئِهَا (٢)

١٧١

لأن الظبيَ إذا هُزِلَ ابْيَضَّ ، والبمير يَشِيبُ وجهُه من أكلِ الحَمَضِ .

وكذلك قال ابن لجأ (٣) :

* شَابَتْ وَلَمَّا تَدُنْ مِنْ ذَ كَائِمَا (٤) *

كما قال الآخر :

أَكَلْنَا حَمَضًا فَالْوُجُوهُ شَيْبُ شَرِبْنَا حَتَّى نَزَحَ القَلْبُ

وقد تصير النَّاقَةُ الحمرَاءَ إذا أتممت حبشيَّة . ولذلك قال الشاعر :

* حمرَاءَ لِاحْبَشِيَّةِ الإِمَامِ *

وما أشبه ذلك بقول العبدى (٥) :

وداويتها حتى شَدَّتْ حَبَشِيَّةً كَأَنَّ عَلِيمًا سُنْدُسًا وَسَدُوسًا

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو داود كما فى اللسان (نبح) . والقصرى :

أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأتشاء نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيهقي فى المعاني الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تميم بن عذمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد ليج الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر ثم استحالَت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفى الأصل : « من ركابها » . وانظر المعاني الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاف . الاقتضاب . ٤ . والمفضليات ١٤٣ . وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألفت شعرها وطرت ،
تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصقعب النهدي^(١) :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنٌ خَبِتٍ تَظَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْحُصُومِ .

كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكْتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبْطٍ وَرُومِ^(٢)

نُبَاحُ الْهَدْمِدِ الْحَوْلِيِّ فِيهِ كَنْبَحُ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْمُقِيمِ^(٣)

ويقال إن الهدمد ينبح . وربما جعلوا الهدمد ، (الذي ينبح) ،

الحمام الذكر . قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذكّر كيف يصنع فيها - :

وَإِذَا اسْتَرْنَ أَرْنَ فِيهَا هُدْمِدٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضَبَتْهُ بِجِسَادِ^(٤)

وقال طفيل في الشبوح والجماعات^(٥) :

وَأَشَعْتُ تَرْهَاهُ الشُّبُوحُ مُدْفَعٌ عَنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلِ^(٦)

وقال الجعدي^(٧) :

فَلَمَّا دَنَوْنَا لَصَوْتِ النَّبَاحِ وَلَا نُبْصَرِ الْحَيِّ إِلَّا التَّمَاثَا

وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مَجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتًا مَابَهُ بَحْحُ

لَا يُدْرِكُ الشُّعْرَاءُ مَنَزَلَتِي فِي الشُّعْرِ إِنْ سَكْتُوا وَإِنْ نَبَّحُوا

وقال عمرو بن كلثوم :

١٧٢

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسته ونشرها (٢٨٩ - ٢٩١) .

(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاح » و « قبط » وتصحيحه من الجماسة .

(٣) هذه في ط . وليست في س .

(٤) ط : « وإذا استرن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) في الأصل : « الجماعات » .

(٦) المحتل : السبيء الحال ، ورواية اللسان : « ممن حرف الدهر » . وفي الأصل :

« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المخصص ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعبي . وانظر الأغاني (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا فَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحى شعراؤهم ، وهم الذين ينبجون دونهم ،
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحى كل عقور ، وكل
ذئ عيون أربع (١) .

وأما قوله (٢) :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مَقِيدَةَ الْحِمَارِ (٣)

وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ (٤)

فالطواعين (٥) هي عند العرب رماح الجن . وفي الحديث : « إن
الطاعونَ وَخَزَمَ الشَّيْطَانَ » .

وقال أبو سلمى (٦) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ أَرْمَاحِ رَمَنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ

وَمَنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ

رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كَلَّمَا كَلَّبُ مِنَ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشر في الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغسافي
وفي آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون في الحرة . اللسان (رمح ،
حمر) .

(٤) ط : « رماح الحى » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة في التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « والطواعين » .

(٦) الرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد في ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبِحُ كَلْبِي جَاهِدًا مِنْ وِرَائِكُمْ وَأَغْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤَنِّبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَعِدَّ تَعْرَهَا (١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابِهَا

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَأِنِّي وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَأَمٍ كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زبيد (٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيًّا كَلَابِهِمْ وَكَفَكَفْتُ عَنْكُمْ أَلْكَلْبِي وَهِيَ عُقْرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣٣ قال صاحب السكلب : قد علمنا أنكم تتبعم على الكلب كل

شيء هجى به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد

رأينا الشعراء قد هجوا الأصناف كلها ، فلم يفلت منهم إنسان ولا سبع ،

ولا بهيمة ولا طائر ولا همج ولا حشرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضعيع ،

(١) تعر ، كنع ، صاح . وفي ط : « تعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لسنا فصيحاً بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية .

الأغانى ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى

فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم السكى وزبيد بهيئة الصغير .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِم بِالْحَمُولِ ، فَكَفَاكَ بِالْحَمُولِ دَقَّةً وَلَوْ مَاءً وَقِلَّةً
وَنَدَالَةَ . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

فَأَبْلِغْ إِيَّاساً أَنَّ عِرْضَ ابْنِ أُخْتَيْكُمُ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حَسَنَهُ أَوْ تَبَدَّلَ^(١)

فَإِنْ تَكُ ذَا طَوَّلٍ فَإِنِّي ابْنُ أُخْتَيْكُمُ

وَكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مَغْتَلِي^(٢)

فَكُنْ أَسْداً أَوْ ثَعْلَباً أَوْ شَيْبَهَهُ

فَهُمَا تَسْكُنُ أَنْسَبَ لِيكَ وَأَشْكَلُ

فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ^(٣)

وَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِيْبَالُ أُشْبَلِ

وَلَنْ تَجِدَ الْآسَادَ أَحْوَالَ ثَعْلَبٍ إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بِمَدْخَلِ

فَهَذَا مِنَ الثَّعْلَبِ . وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ^(٤) :

وَإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِيكُمْ تَهْرُ عَلَيْهَا^(٥) أُمَّكُمْ وَتَسْكَالِبُ

وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاوُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِيَهُ بِالتُّ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

فَقَدْ وَضَعَ الثَّعْلَبُ كَمَا تَرَى بِهَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي كَفَاكَ بِهِ نَدَالَةَ . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

فَمَا عَادَتْ بِنْدَى يَمُنُ رُءُوساً وَلَا ضَرَّتْ لِفَرْقَتِهَا نِزَاراً

-
- (١) فِي الْأَصْلِ : فَاصْبِرْ خَشِيَةً وَتَبَدَّلْ ، وَتَضْحِيحُهُ مِنْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَغْتَلٌ » وَالصَّوَابُ « مَغْتَلِي » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ أَوْ « مَعْتَلٌ » كَمَا فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَى وَاعْتَلَى : ارْتَفَعَ .
(٣) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « ثَعَالِبٌ » .
(٤) فِي ط : « مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الشَّمَاخِ .
(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْنَا » .

كعنزِ السَّوءِ تنطحُ من خلاها (١) وترأْمُ من يُجِدُّ لها الشَّفارا

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحرر :

إنا وجدنا بني سَهْمٍ وجاملهم كالعنزِ تَعَطِفُ روقها فترتضعُ
وقال الفرزدق :

على حين لم أترك على الأرضِ حَيَّةً ولا نابجاً إلا استقرَّ عقورها
وكان نُدْفِعُ إذ هجاني لأهله كباحثةٍ عن مُذِيَّةٍ تستثيرُها
فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرضِ أقلَّ شراً ولا أكثرَ خيراً
من شاة .

وقال الخريمي (٢) :

يا للرجال لقومٍ قد ملَّتهم أرى جوارهم إحدى البلديات
ذئبٌ رضيعٌ وخنزيرٌ تعارضُها عقاربٌ وُجنتُ وُجناً بِحَيَّاتٍ (٣)
ما ظنُّكم بأناسٍ خيرٌ كسبهم مُصرِّحُ الشَّحتِ سموه الأمانات
فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عَجْرَدٍ في بَشَّار :

قد كان في حَيٍّ غزاةً شاغلٌ للقرد عن شتمى وفي ثوبانٍ
أو في سمعةٍ أختها وشراذها لمجونها مع سيفلة المجان
أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرَّ البغاء بأوكس الأثمان (٤)

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الخريمي » وهو « الخريمي » كما سبق التنبية في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الـوجن : الدق ، ومنه مبيحة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

ولكن معاذ الله لست بقاذفٍ بريئاً لسواقٍ لِقومٍ نوائحِ
وما قلتُ في الأعمى لجهلٍ وأمه ولكن بامرٍ بيني لي واضح
سأعرضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمه ولست عن القرد ابن بردٍ بصافح

وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيد بن خثعمٍ أرى القردَ والخنزيرَ مُحْتَبانِ
أمامَ بيوتِ القومِ من آلِ خثعمٍ وراءَ قبيحاتِ الوجوهِ بطنِ

وقال العتّابي :

أسجدُ لِقردِ السوءِ في زمانِهِ وإن تَلَقَّاكَ بِخنزَوانِهِ (١)

* لا سيّما ما دام في سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رياحَ اللّؤمِ من شحّه (٢) لا يطمَع الخنزيرُ في سلحِهِ
كفّاه قفلٌ ضلّ مفتاحهُ قد يئس الحدّادُ من فتحِهِ

وقال خلف بن خليفة (٣) :

فسبحانَ من رزقهِ واسعٍ يعمُّ به القردَ والقردَهُ

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر

اللسان (قرا ص ٣٦) والمغرب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شه » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل ، كان في زمن جرير والغززدق ، وكان يقال له الأقطع

لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو مُجِعَ كلُّه لكانَ مثلَ هِجاءِ الناسِ للكلبِ ،
وكذلك لو جمعَ جميعُ ما مُدِحَ به الأسدُ فما دُونُه ، والأمثالُ السائرةُ التي
وقعت في حمدِ هذه الأشياءِ ، لما كانتَ كلُّها في مقدارِ مديحِ الكلبِ . فهذه
حُجَّتُنَا في مرَبةِ الكلبِ على جميعِ السباعِ والبهايمِ .

١٧٥ ولما قالَ معبدٌ في قتلِ الكلبِ ، وتلاقولَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنْتَ
عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْعَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قالَ أبو إسحاق : وإن
كنتَ إنما جعلتَ الكلبَ شرًّا الخلقِ بهذه العلةِ ، فقد قالَ على نسقِ هذا
الكلامِ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَأَلَّا نَعَامٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قالَ في الإبلِ والبقرِ والغنمِ أعظمُ ، فأسقطَ
من أقدارها بقدرِ معنى الكلامِ . وأدنى ذلكَ أن تُشْرِكَ بينَ الجميعِ في الذمِّ
فإنَّك متى أنصفتَ في هذا الوجهِ ، دعاكَ ذلكَ إلى أن تُنصِفَها في تَبَّعِ ما لها
من الأشعارِ والأمثالِ والأخبارِ والآياتِ ، كما تَبَّعتَ ما عليها .

(الشرف والجمول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عدلا : إذا استوى
القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرة^(١) والفرسان
والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء
[في] الأرحاء^(٢) وكان الآخر قليل الذرة^(١) والعدد ، ولم يكن فيم خير
كثير ولا شر كثير ، خلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم
الناس^(٣) ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلة ونذالة إذا لم
يكن شر ، وكان محلهم من القلوب محل من لا يعبط الشعراء^(٤) ، ولا يحسدهم
الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيين نهذاً وختعما
نزيعان من جرم بن ربان إنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محجبا^(٥)
وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرة^(١) وكان فيهم خير كثير وشر
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجوا ويضرب بهم المثل ،
ولعل أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) الذرة : النسل . وفي الأصل : « الذرة » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرحاء » .

وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرقوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابها ما أثبت من س .

(٤) أي يعبطهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يفيظ الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن ربان » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرًّا ، أمثلَ حالاً في العامَّة ،
ممن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيما إذا جاؤروا من يأكلهم
١٧٦ وحالفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنيًّا أو باهلة .

ولو أن عبسًا أقامت في بني عامر ضعيفًا ما أقامت ، ولذهب شطرُ
شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بنَ زهيرٍ لما رأى دلائلَ الشرِّ قال لأصحابه :
الذلُّ في بني غطفان خير من العزِّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئاً من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاضمهم ، بأكثر من
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم
ذلك إلى الندم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً (١) ،
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام (٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدَّة الصلوة عليهم .

(بكلِّ وادِ بنو سعد)

وقد خرج الأضبط بن قُريع السَّعْدِيُّ من بني سعد ، فجاورَ ناساً ،
فلما رأى مذهبهم وظلمهم ونهكهم (٣) ، قال : « بكلِّ وادِ بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإيقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « ونهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عبّاس بن ربيعة الرّعلي سيّد بني سليم ، وقد ناله ضيم في بعض
الأمر ، فأبى الضيم ، فلما حاول مفارقتهم [إلى] بني غمّ عزّ عليه^(١)
فقال في كلمة له :

وأُثمُّ تُزجِي التّؤام لبعلها وأمُّ أُحيمك كزّة الرّحم عاقِرُ
وزعموا أنّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر^(٢) ، وخبر عن هذه القصّة في يومٍ
من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شبيل بن عزرة^(٣) بالطلاق : إنّه لعربيٌّ
في الحقيقة لغيةٍ أو لرشدة !

(قبائل في شطرها خير كثير)

وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر
شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة .
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غني^(٤) وباهلة ، واليعسوب والطفافة
فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ،
مثل^(٥) باهلة وغني ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنّهم
آلة^(٦) لمدارج الأقدام ، ينسكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماش .

(١) في الأصل : « فلما حاول مفارقتهم بني غمّ أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وأنظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يحيى » وإنما هو « غني » وسيتكرر الحديث عن غني وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليعسوب والطفافة ، وهاربة البقعا (١) وأشجع الخنثى
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .
وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلا] (٢) بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالاً ممن
فيه الخير الكثير وبعض الشرِّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر (٣) :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ مَبْتَدِئًا

بِبُخْلِ أَشْعَثَ وَاسْتَثْبِتَ وَكُنْ حَكَمًا (٤)

تُخْرِجُ خَزَاعَةَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ

وَلَا تُعَدُّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا (٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خزاعة ظلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرقبان (٦) الأسدَى :

(١) هاربة البقعا هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية)

مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبيل بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بنى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان والياً على مصر . وقد كان ولي دعبلا

على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغركها » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرقبان » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرقبان »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمال القائل ٢ : ٢١١ . وانظر

اللسان وتاج العروس (ضرر، مسخ) .

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلْحَمِ الْخَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وكما قال الشاعر في علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العلباء كالعلباء لا حلو ولا مرٌّ
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ
فهذا ونحوه من أشدّ الهجاء .

والحمول اسمٌ لجميع أصناف النقصِ كُلِّهَا أو عامِّهَا ، ولكنّه كالسُّرِّ
عند العلماء . وليس ينفك العامة إذا ضرّتك الخاصة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففي
عُكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ، ما ليس في ثور ، وقد سلّم ثور إلّا
من الشئ اليسير ، مما لا يرويه إلّا العلماء ، ثم حذت البليّة وركد الشرّ ،
والتحف الهجاء على عُكل وتيم ، وقد شعّثوا بين مزينة شيئاً ، ولكنهم
حبّبهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهبأ لهم من الإسلام ، حين قلّ حظُّ تيم فيه .
وقد نالوا من ضبّة ، مع ما في ضبّة من الخصال الشريفة ؛ لأنّ الأب متى
نقص ولده في العدد عن ولد أخيه^(١) فقد ركبهم الآخرون بكلّ عظيمة ،
حتى يروا تسليم المربع إليهم حظّاً ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم
في النوائب ؛ وحتى ربّما كانوا كالعضاريط والعُسفاء ، والأتباع ، وفي الأتباع
والدخلاء ، ثم لا يجدون من ذلك بدءاً ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلّوهم ،
فاستباحوهم ، فرأوا أنّ النعمة أربحُ لهم .

(١) في الأصل : « متى نصر ولده في العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ
في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرَّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرياء فذلك
حيث لا يرفعون رءوسهم من الذلِّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلف^(٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضيبة ، وأسد وغطفان
فإن هؤلاء أقوياء لم يُنْهَكوا كما نُهكت باهلة وغني ، لحاجة القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسهم إن تذكروا^(٣) على حال ؛ فقد لقيت ضبةً من سعدٍ ، وعبسٌ
من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما^(٤) لقوا .

وقد رأيت مشقةً ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
نبي ذبيان .

وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغة
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة .

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الحلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ما » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خنيم^(١) وسُفيان
الثوري ، لما علمت العامة أن في العرب قبيلة يقال لها ثور . ولشريف^٢
واحد ممن قبلت^(٢) تيم أكثر من ثور وما ولد .

وكذلك بلعبر ، قد ابتليت وظلمت ومُخست ، مع ما فيها من الفُرسان
والشُعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر
الرجال إسلاميين وجاهليين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلا الخمس^(٣)
والثنتف .

ورب قومٍ قدر ضؤوا بجمولهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون
حتى يصب الله تعالى على قمم رعوسهم حجارة القذف ، بأبيات يسيرها
شاعر ، وسوط عذاب يسير به الراكب والمثل ، كما قال الشاعر :

إِنْ مَنَافًا فَفَقَّحَةٌ لِدَارِمٍ^(٤) كَمَا الظَّيْمُ فَفَقَّحَةُ البَرَاجِمِ

وقال الشاعر^(٥) :

وَجَدْنَا الحُمَرَ مِنْ شَرِّ المطَايَا كَمَا الحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خنيم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجه .

(٣) الخمس بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزيد الأعجم أوردها العيني ، ونقلها عنه البغدادي في خزنة

الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهي - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أنني وأبا حميد كما النشوان والرجل الحليم

أريد حياة ويريد قتل وأعلم أنه الرجل اللئيم

فإن الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد
والفعال ، مثل ثُمير ، يصير أهله إلى ما صارت إليه ثُمير وغير ثُمير ، فما ظنك
بالظلم وبمناف وبالخبطات ، وقد بلغ مضرّة جرير عليهم حيث قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ ثُمَيْرٍ فَلَ كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابَا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قومًا آخرين :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعْفًا هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهِجَاءُ بَنِي ثُمَيْرِ

وَحَتَّى قَالَ أَبُو الرَّدِّدِيِّ :

أَتَوْعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي ثُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتَ ثُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من
أول كرمها ، كما بكى مخارق بن شهاب^(١) ، وكما بكى علقمة بن علاثة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتِ لُخْدَاش^(٢) بن زهير . وما زال يهجو
من غير أن يكون [رآه ، ولو]^(٣) كان رآه ورأى جماله وبهائه ونبله [و]^(٤) الذي
يقع في النفوس من تفضيله ومحبته [و]^(٤) من إجلاله والرقّة عليه - أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكعب العنبري ، وانظر الحديث في البيان ٤ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « لخراش » .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النَّبِيتِ وَغَسَّانَ بن مالك بن عمرو بن تميم^(١) ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة
إِلَّا دَغْفَلَ بن حنظلة^(٢) ، وإِلَّا النُّخَّارَ العُدْرِيَّ وإِلَّا الكَيْسَ النَّمْرِيَّ^(٣) ،
وإِلَّا صُحَّارَ العَبْدِيَّ ، وإِلَّا ابنَ شَرِيَّةَ وأبو السَّطَّاحَ^(٤) وأشباههم ومن شابه
طريقهم والاقْتَبَّاسَ من موارِيثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عربي تميمي ، فهو يعطى حقَّ القوم في الجملة ولا يقتضى ما عليه
وعلى رهنطه في الخاصَّة . والحرمَانُ أسوأ حالا في العامة من هذه القبائل
الحاملة وهم أعدُّ وأجلد .

(ما تبدل به القبائل فيصيبها بالحمول)

وبلَّةٌ أخرى : أن يكون القبيلُ متقدِّمُ الميلاد ، قليل الذلَّة قليل
السيادة ، وتبيهاً أن يصير في ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ،
فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلِّ من رآهم أو سمع بهم ،
أضعافُ الذي هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .
ومن شؤم الإخوة أنَّ شرفهم ضعفة إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنَّ
شرفهم شرفٌ من قبلهم من آباءهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم
وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان
خيراً له .

(١) في الأصل : « تميم » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) في الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين في فهرسته ١٣١ .

(٣) في الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) في الأصل : « ابن أبي السطاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وما سيأتى في ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعفت قريش - لما جاءت به من الخصال الشريفة الثامنة ؛
من أركان كنانة - سنام الأرض وجبلها^(١) وعينها التي تبصر بها ، وأنفها
التي بها تعطس ، فما ظنك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير
ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوين إذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال ؛ في الجود
والإفضال ، أو في الفروسية^(٢) أو في البيان ، فإن كان الآخر وسطاً من
الرجال ، قصدوا بحسن مآثره في الطبقة السفلى لتبيين البراعة في أخيه ،
فصارت قرابته التي كانت مفخرةً هي التي بلغت به أسفل السافلين .
وكذلك عزة بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرةً في عزة
ومرةً في ضبيعة أضجم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو د كثير من هؤلاء
القبائل التي سامت على الشعراء أو على العوام أن يكون فيهم شطر
مالعزيين من الشرف ، ولو أن الناس وازنوا بين خصال [هذه^(٣)] القبائل
خيرها وشرها لكانوا سواءً^(٤) .

١٨٠ وقال صاحب السكاب : ذكرت عيوب السكاب فقلت : السكاب
إذا كان في الدار محق أجور أهل الدار حتى يأتي على أقصاها ، لأن الأجور
إذا أخذ منها كل يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
أن يأتي على آخرها . وقلت : في السكاب أشد الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسة والفروسية : الخدق بركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سعاد » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنعهُ النَّوْمَ لَيْلاً وَالْقَائِلَةَ نَهَاراً ، وَأَنْ يَسْمَعَ الْحَدِيثَ . ثُمَّ الَّذِي عَلَى سَامِعِ النَّبَاحِ مِنَ الْمُؤَنَةِ مِنَ الصَّوْتِ الشَّدِيدِ .
ولو لم يكن في الكلب ما يؤذى بشدة صوته إلا بإدامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك مما ينغص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أُرطاة بن سُهَيْبَةَ في بعض افتخاره :

وإني لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ موهنا إذا أغدِفَ السَّيْرَ البَخِيلُ المَوَاكِلُ^(١)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلٌ
وما دون ضيفي ، من تَلَادٍ تحوزُهُ يَدُ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ تُصَانَ الحَلَالِيلُ
وقال ابن هرمة :

ومستنبحٍ نَبَّهْتُ كِلَابِي لَصَوْتِهِ وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي اليَفَاعِ فجَاوِبِ
فجاءَ حَفِيَّ الصَّوْتِ قَدِ مَسَّهُ الضَّوَى بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الغِرَارِينِ قَاضِبِ
فَرِحْتُ وَاسْتَبَشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتَهُ^(٢) وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كَلَّ آثِبِ

وقال آخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعُمُ كَلْبَهُ

دَعِ الكَلْبَ يَنْبِخُ إِتْمَا الكَلْبُ نَابِحٌ^(٣)

(١) ط : « إلى الضيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون

الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكمم كلبه : يشد فاه خوفا من أن ينبخ ،

فيدل عليه » . والبيت للراعي كما في العمدة ٢ : ١٥١ هجوبه الخطيئة ، وانظر ماسياتي في نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

تَشَأْتُ غَلاماً أَتَقَى الذَّمَّ بِالْقِرَى إِذا ضَافَ ضِيفَ من فِزارَةَ رَاقِبُ
فَإِن أَبَ سارٍ أَسَمَعَ الكَلبَ صَوْتَهُ

أَتى دُونَ نَبَحِ الكَلبِ ، وَالسَكَبِ دائِبُ

وقال بشار بن برد :

سَمَى اللهُ القِبابَ بَتْلَ عَبدى وبالشَرقينَ أَيامَ القِبابِ (١)

وأياماً لَنا قَصُرَتْ وطالَتْ عَلى فُرعانِ نائِمَةً للسَكلابِ

وقال رَجُلٌ من بَنى عَبدِ اللهِ بنِ غَظفانِ (٢) :

إِذ أَنتَ لَم تَسْتَدِيقِ وُدِّ صَحابَةٍ عَلى دَخَنِ أَكثَرَتِ بَثُّ المَعايبِ (٣)

وَإِنِّي لَأَسْتَبِقِ أَمراً السَّوءِ عُدَّةً لَعُدوَةَ عَرِيضٍ مِنَ النَاسِ جَانبِ (٤)

أُخافُ كَلابَ الأَبَعدينَ وَنَبَحَها إِذا لَم تَجاوِبُها كَلابُ الأَاقِربِ

وقال أُحِيقَةُ بنُ الجَلاحِ (٥) :

ما أَحسَنَ الجَيدَ من مُلِيقَةٍ وَاللَّاءِ بَيَّاتِ إِذ زانَها تَرائِبُها

يا لَيتَنى لَيلةَ إِذا هَجَعَ الِ نَاسٌ وَنامَ السَكلابُ صَاحبُها

وقلتَ : وَفى الكَلبِ قَذارَةٌ (٦) فى نَفسِهِ ، وإقذارُهُ أَهلُهُ لِكَثَرةِ سَلاحِهِ

وَيَولُهُ ، عَلى أَنَّهُ لا يَرضى بِالسَلاحِ عَلى السَطوَحِ ، حَتّى يَحفِرَ بِبَرائِثِهِ وَيَنقُبُ

بِأَظفارِهِ ، وَفى ذَلكَ التَخريبُ .

(١) فى الأَصل : « أَثارُ القِبابِ » ، صوابُهُ من دِيوانِ بشارِ ١ : ٢٤٩ .

(٢) نَسبٌ فى حِسانَةِ البَحْرى ٣٩٤ إِلى النَعمانِ بنِ حَنظَلَةَ العَبدى .

(٣) الدَخَنُ : المَقدِّمُ وَسِوَهُ الخَلقُ ، وَمَعنَاهُ قَريبٌ مِنَ الدَخَلِ .

(٤) العَرِيبُ ، كَمَكِيتٍ : الَّذى يَتَعرَضُ لِلنَاسِ بِالشَرِّ .

(٥) انظُرِ الشَعرَ فى الخِزانَةِ ٣ : ٣٢١ .

(٦) فى الأَصل : « قَذارَةٌ » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الهوكف ، وفي الهوكف من منع النوم ومن إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتفزع الولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرّض للزوّار ؛ ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجحه وتهيجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم والوثوب عليهم (١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرّم والأزواج ، والسّراريّ والحظيّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقَبَّع وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أشطّ (٢) وأنعظ بمحضرتين ، ولعلهنّ يكنّ مغيبات (٣) أو محتاجات إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلهنّ ، وإذا عجز عن أن يعمهنّ .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجمي أمّ أناس من العرب ، أن الكلب الذي كان يسمّى قرحان (٤) ، كان يأتي أمهم ، حتّى استعدوا عليه ، وحبسه في ذلك عثمان بن عفّان رضی الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشطّ الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق والثقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثله ، لما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتى مات
في حبسه ^(١) . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجَشَّمُ نَحْوِي وَفَدُّ قُرْحَانَ شُقَّةً تَطَّلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ
فَزَوَّدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْمَرْزَانَ أَمِيرٌ ^(٢)
فَأَمَّكُمْ لَا تَرَكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرٌ
إِذَا عَثَّنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةَ بَيْتَ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرٌ ^(٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبيُّ أنه أبصرَ رجلاً يَكُومُ كَلْبَةً من كِلَابِ الرِّعَاءِ ، ومَرَّ
بذلك الرُّبَّ العَظِيمِ في ثَفَرِهَا - وَالثَّنْفَرُ مِنْهَا وَمِنَ السَّبْعِ ، كَالْحَرِّ مِنَ الْمَرَاةِ
وَالظَّبْيَةِ مِنَ الْأَتَانِ وَالْحِجْرِ ، وَالْحِيَاءِ مِنَ النَّاقَةِ وَالشَّاةِ - فزعم أنها لم تعقد
عليه ، ولا ندرى أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما النَّاسُ فِي مُلْحِ أَحَادِيثِهِمْ : أَنَّ رَجُلًا أَشْرَفَ عَلَى رَجُلٍ وَقَدْ نَاكَ
كَلْبَةٌ فَعَقَدَتْ عَلَيْهِ ، فَبَقِيَ أَسِيرًا مُسْتَحْزَبًا ^(٤) يَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ . قَالَ : فَصَاحَ
بِهِ الرَّجُلُ : اضْرِبْ جَنْبَيْهَا . فَأَطْلَقْتَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْزَاهُ اللَّهُ
أَيُّ نَيْالِكِ كَلْبَاتٍ هُوَ !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان
يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج
لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ :
« بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبّرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ،
فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أينُّ كلبه ، فرأى
رأسَ إنسانٍ يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،
فتأمَّل في ذلك (٢) فإذا هو بحارس يذيك كلبه . قال : فرجته وأعلمته أنني
قد رأيته ، فصبَّحني من الغد يقرع الباب على ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما
جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمشي على وجهك إلى
البراري . قال : جعلتُ فداك ، أسألك أن تستر علي ، ستر الله عليك ،
وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويحك ، فما اشتيت من كلبه ؟ ! قال :
جعلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو ينيك إناثَ
الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضه ؟
قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها
في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [أن] (٥)
يوعبه كلَّه لم تستقر له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور
الناس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة ، فقال :
لا أدري لعلها لاتعقد عليه ، لأنه لا يُدخِلُه فيها إلى أصله ، ولعل ذلك أيضاً
إنما هو شيءٌ يحدث بين الكلاب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع
الالتحام . قال : فقلت : فطيبٌ هو ؟ قال : قد نكحت عامة إناثِ
الحيوانات فوجدتهنَّ كلهنَّ أطيّبَ من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ماذاكَ إلا لشدَّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا دار الماء في صُلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فرَّبما التزمتُ السكَّلة وأهويتُ إلى تقيلها . ثم قال : أما إنَّ السكَّلابَ أطيَّبُ شيءٍ أفواهاً ، وأعذبُ شيءٍ ريقاً ؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قُدَّامٍ ، ولو ذهبتُ أن أنيكها من خلف وثنيتُ رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظنَّ بي أني أريدُ غيرَ ذلك فتسكِّدُم في ووجهي . قال : فقلت : فإني أسألك بالذي يسترُّ عليك ، هل نزعْتَ عن هذا العمل مُنذُ أعطيتني صفقة يدك بالتَّوبة ؟ قال : ربَّما حننتُ إلى ذلك فأحتبسُ^(١) بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنِّي لأحنُّ إليها ، ولقد تزوجتُ بعدك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعود شيئاً لم يكذبصبرُ عنه ! قال : فقلت له : هل تعرف اليومَ في الحُرَّاسِ من ينيك السكَّلات ؟ قال : نعم ، خذ محمويه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارسا الحمائي فإنَّ فارساً كان حارساً وكان قيمَّ حمَّام ، وكان حلقياً ، فزعم أنَّه ناك السكَّلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبُح وتشنَّج ، حتَّى كان لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحنُّ لسكَّلبِ عنده حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتَّى قتله اللصوص ، ثمَّ أشرفَ على فارسٍ^(٢) ، هذا المحتسبُ الأحذبُ ، وهو ينيك كلبه فرماه بحجر فدمَّعه^(٣) .

قال : فالسكَّلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك الرجال ، وليس شيءٌ أحقَّ بالنفي والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمَّعه : أصاب دماغه .

من السباع العاديّة الوحشيّة في راحة ، إلاّ في الفِرط^(١) فإنّ لها عُراماً على بعض الماشية ، وجنّايةً على شرار العامّة^(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بعير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمح حمار ، ولعلّ ذلك يكون في الدهر المرّة والمرتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلاّ عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسّلاح تذهبون ، وإلى قشّريّين السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى نتن السّلاح وقدر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسنورُ أكثرُ في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان ذلك في السنابير مغتفراً ، لانفعاهم بها في أكل الفأر ، ففنافع الكلاب أكثرُ ، وهي بالاعتقاد أحقّ . وفي إطلاق ذلك في السنور دليلٌ على أنّه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمري إنّه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرسَ ولا البرذونَ والبغلَ والحمارَ والتيسَ في المواضع التي تراها النساءُ . والكلبُ ١٨٤ في ذلك أحسنُ حالا . وقد كرهه ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والديكّةَ والدجاجَ والبطّ خاصةً ؛ لأنّ له عند السفاد قضيبياً يظهر ، وكذلك التيس من الطباء ، فضلاً عن تيس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم مجرى في وجوه كثيرة

(١) للفِرط : الندرة . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحمام^(١) خاصّةً من الاستشارة^(٢) ، والسكّم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس^(٣) مثله ، ثمّ التقبيل والتغزل والتنّفّس^(٤) ، والابتهاج بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأثني للذكر و [عدم] ^(٥) إمكانها لغير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء ممّا ذكرتم^(٦) . فلم أفردتم الكلب بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرْمولَ واحدٍ منها ، حقّرت بعلها أو سيّدتها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرْمول يعارضها فى النوم ، وينبئها ساعة الغفلة ، ويحدث لها التمتّى لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُّ إلى ما هو أخسُّ وأصغرُّ؟!

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان^(٧) عند العَبث والتعرُّض ، والتحكك والتهبّيج^(٨) والتحرّيش ، فلو أن الذى يأتى صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العَبث - والصبيان أقسى الخلق وأقلهم رحمةً - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زرارة وحِصن بن حُدَيْفة ، نَحْرَجُوا^(٩) إلى أقبح ممّا يخرج إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضيا الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهبّيج » ، والوجه : « التهبّيج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقره من تلقاء نفسه ، وإنه ليرددُ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضم ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما است صاحبه ، ولا في الأرضِ مجوسى يموت فيحزن على موته ويحمل إلى النأوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنه لا يخفى عليه في شمه عندهم ، أحى هو أم ميتٌ ؛ للطافةِ جسّه ، وأنه لا يأكل الأحياء^(١) . فأما اليهود فإيهم يتعرفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر^(٢) وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميتٌ مسحوا استه بدهنٍ وحفوا حوله بقرامٍ

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جنایاتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنایاتِ الديكة أعظمُ من جنایاتِ الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفان ، ابن بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ مما تستعظمونه من جنایاتِ الكلاب . وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حَسَكَةَ بنِ عَتَّاب^(٣) ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما في اللسان (حم) . وقبل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكر لشم بنى الطماح أهلِ حِمام

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

وقد تفر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهد فاعورٌ ، ثمَّ ضربته الحُرَّة فمات .

ووثب ديك فظعن بصيصته عين^(١) بنتٍ لثمّامة بن أشرس ، قال ثمّامة : فأتاني الصريح ، فوالله ما وصلتُ إليها حتى كمد وجهها كله واسودَّ الأنفُ والوجنتان وغارت العينان . وكان شأنُ هذا الديك - فيما زعم ثمّامة - عجباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك ، فرغم أنه قد وجّه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا في ذلك . فلم أبرحُ حتى اشتريتهُ ؛ وكنتُ أصونه وجعلته في مكنة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحةٍ وأقبلت بنتي هذه لتتنظر إليه ، فكان هذا جزأى منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتى وطئ في ذؤابته ثمَّ أقبلَ ينقرُّ دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان تطأه اللجاج^(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإنَّ له يداً تشج^(٣) وأخرى تأسو ، بل ما يدفع الله بحراسته ويُجلب من المنافع بصيده^(٤) أكثرُ وأغمر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .
(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً مثوراً . وانظره في الكامل ٧١٠ ليسك . وفي الاصل أيضاً « لانطؤها » وتصحيحه من الكامل ،
(٣) في ط : « تسبح » وهو تحريف ماني من س .
(٤) ط : « بعده » وتصحيحه من س وم .

الغامر لا الغمور، والفاضل لا المفضول . والديك يفقأ العيونَ وينقرُ الأدمغة
ويقتل الأتفس، ويشجُّ ولا يأسو؛ فشرُّه صرف وخيره ممزوج . إلاَّ أن
يزعموا أنه يحرس من الشيطان، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى
البرهان . و[من] ^(١) عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من
الصوص، ومنع السباع من الماشية، وموضع نفع الكلب في المزارع -
وذلك عيان ونفعه عامٌ وخطبه عظيم - بما يدعى من حراسة الديكة
للشيطان؛ لم يكابيل ولم يُوازن ولم يعرف المقايسة، ولا وقف قطُّ على معني
المقابلة ^(٢) ودلَّ بذلك على أن مبلغ رأيه لا يجوز رأى النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة ^(٣) :

ألم أكُ جارَكم فتركتُموني لِكَلبي في دياركمُ عواءُ ١٨٦
وقال الشاعر:

وإني امرؤٌ لا تتشعرُّ ذؤابتي من الذئب يعورى والغراب المحجل
وقال الشاعر ^(٤) :

ومستنبح تستكشيط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصمٌ

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت في ديوانه بشرح السكرى من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بنى عوف بن كعب وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِيْتَانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرَّمَّةِ :

بِهِ الذُّئْبُ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ عَوَاءُ فَصِيلِ آخِرِ اللَّيْلِ مُخْتَلٍ
وَقَالَ آخِرُ :

وَمِنْهُلِ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ يَعْوِي بِهِ الذُّئْبُ وَتَزُقُو هَامَهُ
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ .

لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذُئْبٌ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْحَصَى حَوْلَ زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلْمَةَ (١) :

وَمَعْرُسٌ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ (٢)
قَدْ بَثَّهُ وَهِنًا وَأَرْقَى ذُئْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جِدْلٌ
فَقَرَّتْهُ يَعْوِي بِقَفَرْتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلٌ
بِتَنُوقَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ (٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيْطٍ (٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذُئْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمَهَا (٥)

(١) كان من حكماء العرب في الجاهلية وحكامهم. انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .
(٢) كذا في الأصول .
(٣) يجزعها : يقطعها ، وفي ط : « لب » وصوابه بالحاء كما في س و م .
(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة في الخزائن ٢ : ٤١٩ بولاق .
(٥) ط : « مستشار » .

إِذَا هُنَّ لَمْ يَلْحَسْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمَا هُلِسَتْ أَجْسَادُهَا وَلِحُومُهَا^(١)
وقال الأحيمر السعدي^(٢) :

١٨٧

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوتَ إنسان فكِدتْ أُطيرُ

وقال آخر^(٣) :

وعاوى عوى واللَّيلُ مستحلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَجْمِ^(٤)

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائراً ، أو مَن يلمس القرى ،
ولم ير بالليل ناراً ، عوى ونبح ، لتجيبه الكلاب ، فيتهدى بذلك إلى
موضع الناس .

وقال الشاعر :

وَمُسْتَنْبِحِ أَهْلِ الثَّرَى يَلْمَسُ الْقَرَى

إلينا وممسه من الأرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوِّ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طُرُوقُ

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

(١) في معجم المرزباني ٣٩١ :

إِذَا هُنَّ لَمْ يُولَعْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمَا هُلِسَتْ أَبْدَانُهَا وَلِحُومُهَا

(٢) ط : « الأجر » وصوابه في س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما في البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه في س . وفي الأصل : « مستحلس الندى » وصوابه في البخلاء

٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

(ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وجبه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطثرية (١) :

يا أمَّ عمرو أنجزى الموعدا وارعى بذلك أمانةً وعهودا
ولقد طرقت كلابَ أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رُقودا
يضربن بالأذنانِ من فرحِ بنا متوسداتٍ أذرعاً وحدودا
وقال الآخر (٢) :

لو كنتُ أجملُ خمراً يومَ زرتكم لم يُنكرِ الكلبُ أنى صاحب الدارِ
لكن أتيتُ وريحُ المسكِ يفعمنى والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النارِ (٣)
فأنكر الكلب ريمى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزرق والقار
وقال أبو الطمّحان القينى في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار
الشمخى (٤) :

سأمدحُ مالكاَ قى كلِّ ركبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رذلٍ

- (١) في الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ما أثبت . والشعر في البخلاء ٢٠٣ .
- (٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال في العرب . ترجم له أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .
- (٣) فعمه الطيب وفعمه : ملا خياشيمه . وفي الأصل : « ينعمى » ، وصوابه في البخلاء ٢٠٢ . وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغنى » بالنين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .
- (٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

فها أنا والبقارة من مخاضٍ عظامٍ جِلَّةٍ سُدْسٍ وُزْلٍ
وقد عرَفْتُ كلابَهُمُ ثيابي كأنتي منهم ونسيتُ أهلي
تمت بك من بني شَمَخٍ زِنَادٌ لها ، اشئت من فرعٍ وأصل

١٨٨

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا :

عنيف بتسواقِ العِشارِ ورَعِيها ولكن بتلقامِ الثريدِ رفيقُ
سَنيد يظلُّ الكلب يَمْضَعُ ثوبه له في ديارِ الغانيات طريق
وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشْمُهُ وسرت بأبيض كالهلل على الطوى
وقال ذو الرمة :

رأنتي كلابُ الحى حتى أَلْفَنِي ومُدَّت نُسوج العنكبوت على رحلي^(١)

وقال حسان بن ثابت :

أولاد جَفَنَةَ حولَ قبرِ أبيهم قبرِ ابنِ ماريةِ الكريمِ المُفضِّلِ
بيض الوجوهِ نقيَّةٌ حُجراتهم شَمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ^(٢)
يُغشونَ حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السوادِ المقيلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وبوأت^(٣) بيتك في معلمٍ رَحيبٍ المَباءِ والمسرحِ
كفيت العُفاةَ طِلابَ القرى ونَبَحَ الكلابِ لِمَسْتَنِيحِ^(٤)

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيتي » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « أنتي » .
وفي ط : « على رحل » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأت في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه في الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطْيِ أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ
ولو كُنْتَ فِي نَفَقِ زَانِعٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ (١)

وفي مثل ذلك ، وليس في ذكر إلف السكلاب ، ولكنّه مما ينبغي أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أمية بن أبي الصلت :

لَا الْغِيَايَاتُ مُتَسَوِّكٌ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُوفِ ذَرَاكَا
وقال البزار الحلبي ، في المعنى الأول :

أَلِفَ النَّاسِ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفِ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرَّ (٢)
وقال عمران بن عصام :

١٨٩ إِبْعِدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ (٣)
فَبَابِكَ أَلِينُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ آهَلَةُ عَامِرَةٍ
وَكَلْبُكَ آنَسَ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابِنْتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيَةَ نِ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
فَهِنَّكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

وقال هلال بن خثعم (٤) :

إِنِّي لَعَفٌُّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « ولو كنت في نفع » والوجه ما في س و م .

(٢) في الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه في البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحماني .

(٣) للشعر في الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .

(٤) كذا نسب الشعر في البخلاء ٢٠٢ . ويروي لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة

في عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجري في الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكن لها زَمْجوراً ولم تأنسِ إلى كلابها
وما أنا بالدَّارِي أَحاديثَ سرِّها ولا عالمٍ من أيِّ حوكٍ ثيابها (١)
وإنَّ قِرَابَ البطنِ يكفيك ملؤه ويكفيك سوءاتِ الأمور اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفانة ، وكان
أسره ثوب بن شحمة العنبريُّ مُجبر الطير (٢) :

إذا ما بجيلُ الناسِ هَرَّتْ كلابُه وشقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عقورُها
فإنِّي جبانُ السكلبِ بيتي موطاً جواد إذا ما للنفسِ شَحَّ ضميرُها
ولسكن كلابي قد أقرتْ وعودت قليل على من يعترها هريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب السكلب : إن كثيراً من هجاء السكلب ، ليس يراد به
السكلب ، وإنما يراد به هجاء رجلٍ ، فيجعل السكلب وُصلةً في الكلام
ليبلغ ما يريد من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناسُ به من أسباب
السكلب . ولذلك قال الشاعر (٣) :

من دونِ سيبك لونٌ ليلِ مظلمٍ وحَقِيفِ نَافجةٍ وِكلبِ مُوسدٍ (٤)
وأخوكَ محتملٌ عليك ضغينةٌ ومُسيِفٌ قومكِ لائمٌ لا يَحمدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبية رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان

٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجيء بقوة . وفي الأصل : « نافخة » وإنما الخفيف للريح . وتصحيحها
من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضيفُ عندك مثلُ أسودَ سالخ لا بلُ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ في من عيبٍ فإني جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فهو لم يرد مدح الكلب بالجن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

١٩٠

* وحفيف نافجة وكلب موسى (١) *

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهله ، فإنما اللومُ على من أسرَه . وإنما

هذا الضرب كقوله (٢) :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلهمُ قالوا لأُمَّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حقرَّ أمرهم وصغرَّهم .

وقال ابن هرمة :

وإذا تنورَ طارقٍ مستنبحٍ نبحتُ فدلتُّه على كلابي (٣)

وقال ابن مهية :

جلبنا الخليلَ من شعبي تشكياً حوافرها الدوابرَ والنسورا

فلما أن طلَّعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا

ولم يكُ كلبهم ليفيق حتى يُمارشَ كلبهم كلبنا عقورا

ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافجة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما هجيننا بشعر هو أشد علينا

من هذا البيت ! » . ديوان المعاني ١ : ١٧٥ .

(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يَحْسِبُ الْمَجْدَ فُرْصَةً إِلَى أَهْلِهِ أَوْ ذِمَّةً لَا تُخَفَّرُ
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ نَبَاحُهُ كَرِيهٌ إِلَى الْكَوْمَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلاب الحى يتبعها شحم يزف به الداعى وترعيب
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ
دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِتْمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ^(١)
وقال الآخر :

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الْحَىِّ مِنْ خَشِيَةِ الْقَرَى
وَنَارُكَ كَالْعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ^(٢)
وقال أعشى بن تغلب :

إِذَا احْتَلَّتْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو عَلَى الْإِطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا
فَالسَّابِ مَرَّةً مَكْعُومٌ^(٣) ، وَمَرَّةً مَخْنُوقٌ ، وَمَرَّةً مُوسَدٌ وَمَحْرَشٌ ، وَمَرَّةً
يَجْعَلُهُ جَبَانًا ، وَمَرَّةً وَثَابًا ، كَمَا قَالَ الرَّاعِي فِي الْحَطِيئَةِ :

أَلَا قَبِيحَ اللَّهِ الْحَطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ
وَقَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِتْمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ
وقال أعشى بن تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه في م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) في الأصل : « وتطمع » صوابه في اللسان (كم) .

(٣) في الأصل : « مطعوم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَبِيثٍ قَرِيبَتَهُ أَأَكَلُ عَبَسَى عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ^(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى قتي إذا ما أبى أن ينبح الكلب أوقدا

(وقال الآخر :

* دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ *

وقال الآخر :

* أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ نَابِحٌ *

وقال الفرزدق :

* إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْقَدًا^(٢) (*

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أنهم يتشفون بذكر

الكلب ، ويرتفقون به ، لا على أن هذا الأمر الذى ذكروه قد كان

على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير^(٣) :

ولو كنت فى نَجْرَانَ أو بَعْمَايَةَ إِذْ نَأْتَانِي مِنْ رَبِيعَةٍ رَاكِبٌ^(٤)

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليسا البيت السابق ، برواية :

* أَأَكَلُ عَبَسَى عَلَى الزَّادِ نَائِحٌ *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ما وضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئین . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُثِيرُ الْكَلَابَ آخَرَ اللَّيْلِ وَطَوَّهُ كَضَبَ الْعَرَادِ خَطْوُهُ مِتْقَارِبٌ^(١)
فَبَاتَ يُمَسِّنِينَ الرَّبِيعَ وَضَوْبَهُ وَيَنْظُرُ مِنْ لُقَاعَةٍ وَهُوَ كَاذِبٌ^(٢)
فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار^(٣)
الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها
ودقَّة حسِّها .

وفيا ذكروا من حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذي يلقي ،
وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وَأَجْحَرَ الْكَلْبَ مُبَيِّضُ الصَّقِيعِ بِهِ

وَأَلْجَأَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الْحَجَرُ^(٤)

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا
وردا ، فقال :

أصبح قلبي صردا لايشهى أن يردا

إلا عرادا عردا وصليانا بردا

وعنكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت
في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس :
« وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على
شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الحجر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحى
يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الخزانة ٢ :
١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الحطيئة :

إذا أبحر الكلب الصَّقِيعُ اتَّقَيْنَهُ

بأباجٍ لا خورٍ ولا قفِراتٍ (١)

وقال ابن هرمة :

وسلى الجارَ والمعصَّبَ والأضَّ يافَ وهنأَ إذا تحيَّوا لدياً (٢)

كيف يلقونني إذا نبَّحَ الكلا بٌ وراءَ الكُسُورِ نبَّحاً خفياً

ومثى الخالبُ المُبِسُّ إلى النَّا بٍ فلم يقرَّ أصفرَ الحى رياً

لم تكنْ خارجيةً من تراثٍ حادثٍ ، بل ورثتُ ذاكَ علياً

وقال الأعشى :

وتبرِّدَ وبرِّدَ رداءُ العرو

س في الصَّيْفِ رَفَرَقَتَ فيه العبيرا (٣)

وتسخن ليلةً لا يستطيعُ معُ نبأحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلي (٤) :

وليلةٍ يصطلى بالفَرثِ جازرُها يختصُّ بالنَّقَرى المثرينَ داعيها

لا ينبحُ السكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشَّتاءِ ولا تسرى أفاعيها

(١) أبحره وجحره : أدخله في الجحر . وفي ط : « أبحر » وصوابه في س ، والبيت من قصيدة في ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » ، وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصَّب : الذي يتمصَّب بالخرق جوعاً ، والرجل الفقير . وفي الأصل : « الجار المعصَّب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفي الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهي على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه في س و م .

(٤) انظر ماسياتي من تعليق في ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق (١) :

إذا اجمر آفاق السماء وهتسكت

كسور بيوت الحى نكباء حرجف

وجاء قريع الشول قبل إفالها يزف وجاءت خلفه وهى زحف (٢)

هتكت الأطناب كل ذفرة لها تملك من عاتق النى أعرف (٣)

وباشر راعيها الصلى بلبانه وكف لحر النار ما يتحرف

وقاتل كلب الحى عن نار أهله ليربض فيها، والصلا متكنف (٤)

وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النيب قطن مندف (٥)

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعرف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يدفته ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفع . وفى الأصل :

« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع التلاج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . وىروى : « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .

(٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .



معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهي توافق رواية ل ، وهي الصواب . والطابن : الخداع الحُبّ .
	٨	: « شوك العضاه » .
	١٣	: « قد ابتلى أيضا بأن أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
	١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .
	١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١٢-١١	: « ويجعلونها متخيرة غير مسخرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما في ل . وجاء في لسان العرب [حرر
		(٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جُمَيْل حُرّ » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد [والذئب والأسد » .
	٧	: « ما يكون سلاحه سُلَاحَه » ، كما في ل .

	ص	س
« واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد » :	٣٠	٢
« مشهوران بالحبل » :	١١	
« والبند » بدل « البينب » :	١٦	
« والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .	٣١	١
« ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .	١٠	
« ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .	١٠	
« وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .	١١	
« ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت في الحواشي .	١١	
« إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأبنة النوعين ذكرا » .	٣٢	١ ، ٢
« خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .	٨	
« والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما	٣٤	٥ - ٦
كما يخبر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق		
السمن والنضرة » .		
« المتقدم في الأمور » :	٣٦	٦
« ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .	١٠	
« وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » :	١٢	
« وعلى الاتعاظ والانزجار » :	٣٧	٥
« وجعل الفكر تنشيء » :	٦	
« مارأيت في أثنائه من مزح » :	١٢	
« لأن يكون علّةً للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .	١٦	

- | ص | س | |
|-------|-------|---|
| ٣٨ | ١ | : « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصلح » . |
| ٥ - ٦ | | : « إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه على حسب ما يورث . |
| | | الطول من الكد » ، مع إسقاط ما في أثناء الكلام . |
| ١٤ | | : « ونعم الجليس والقعدة » . |
| ٣٩ | ٢ - ٣ | : « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهدتك بوادره » . |
| ١٣ | | : « أروضة تتقلب » . |
| ٤٠ | ١ | : « ويترجم كلام الأحياء » . |
| ٦ | | : « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقنصم » . |
| ٧ | | : « فهى أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه . |
| ٨ - ٩ | | : « حين هذه الخصال لم يلبس جديدها ، ولم يقل غربها » . |
| | | وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب لبس ، |
| | | إذا كثرت لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » . |
| ٤١ | ١ | : « بعد الذى أبصرت من يسه » . |
| ٥ | | : « أدبت عرسى » . |
| ٨ | | : « فى طلبها ليلة » . |
| ١٢ | | : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة . |
| ٤٢ | ٢ | : « أحسن مواتاة » . |
| ٨ | | : « والمذاهب القديمة » . |
| ١٩ | | : « لازمة لطبائعهم » . |
| ٤٣ | ١ | : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بهم » . |

- ص س
- ٣ : « معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق . »
- ٤ - ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحيال متقيدة . »
والتكلمة التي في س٧ لم ترد في النسخة :
- ٤٤ ٤ : « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
- ١٠-١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبيت . »
- ١٥ : « ومعرفاً لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة . »
- ١٦ : « الأشباح المثل . »
- ٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
- ١٤ : « تكمل بجنسه الذي . »
- ١٧ : « والساكنة الثابتة التي لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك . »
- ٤٦ ٤ : « والذائق [في ذلك] نصيباً . »
- ١٠ : « هذه الآلة لكان . »
- ٤٧ ٢ : « مجرى البيان ؛ وألحق البيان [بالقرآن] . »
- ١٠-١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها ، وهو الوجه . »
- ٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء . »
- ٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط . »

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطل الطَّرب كلّه » .
	١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نهبت في الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لا يستزيدك » .
	١٢-١١	: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفائيات » ، بدل « الفكاهات » .
	٩ - ٨	: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
	١٥	: « ذهب المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قبّله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القينى » بدل « العتبي » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: « كذا [وكذا] » ، في الموضعين .

و

الوزغ : قتل المائة له ٣٠٤

٣ - ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

ا

إبليس : (علم حنّي) صديقه ١٩٠

أخزم : قولهم « شَنِشِنَة أعرَفها من أخزم » ٣٣٥

الأخفش : أبو الحسن

أرسطو : زعم له في التتاج المركب ١٨٣

ب

بلقيس : ما زعموا فيها ١٨٧

ت

أم تأبّط شرّاً : قولها في ولدها ٢٨٦

ج

جُرهُم : نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ١٨٧

جرير : هو والراعى ٢٥٨

الجمّاز : هو وجارية آل جعفر ١٧٤

ح

الحجّاج : ما ابتدعه من الشُّنن والحامل ٨٢ أهون من تبالّة

على الحجّاج ٣٢٣ هو والمنجم حينما حضرته الوفاة

أبو الحسن الأخفش : استغلاق كتبه ٩١
أبو حنيفة : كتبه ٨٧ رأى في فقهه ٣٤٧

خ

خرافة المذريّ : حقيقته ٣٠١
الخليل بن أحمد : غروره ١٥٠

د

ديسيموس اليونانيّ : نوادره ٢٨٩
ديمقراط : قوله في تأليف كتب العلم ١٠١

ذ

ذو القرنين : مازعموا فيه ١٨٧

ر

الراعي : هو وجريه ٢٥٨

س

سلمويه : عصبتيه ٢٤٦
سنار : قصته ٢٣
أبو سيّارة : غيره ١٣٩

ص

صحر العبدىّ : قوله في الإيجاز ونقده ٩٠

ع

عبد الأعلى القاصّ : من طرائفه ١٠٧
عبد الله بن الحارث : هو وعبد الملك بن مروان ١٣٤

ص	س
٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
٦	: « إذا تذكرت منى » .
٧	: « الحزين في الأرض » .
٦٤	١ : « يخططن » .
٥	: هذا البيت الثاني ساقط من النسخة .
٦	: « وقال الحزين الكندي » .
١١	: « ماتنقضى عبراتي » .
١٤	: « في نواح » ، و « لم تَعَلَّلْ لهم » ، أى لم تتعلَّلْ بعلة .
١٥	: « تنلقت الحصى » .
٦٥	٧ : « يمتدح فيها » .
١٠	: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١ : « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
٢	: عجزه في النسخة : « فهو الصواب به على استنباهه » .
٨	: لم يرد هذا البيت في النسخة في هذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١	: « حده لحسامه » .
١٣	: « في الخط [والقلم] : » .
٦٧	١ : « يرقل عامدا » .
٢	: « مخلولف السن » .
١١	: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

- ص ١٥ س : « إذا استغزرت ذهن الجلي » ، وهو تحريف سمعي مخالف لما في ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٦-٤ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذي ذكر فيه الجاحظ البحترى في كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى في رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو النائي » .
- ١٠ : « هو النائي » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التكملة ليست في النسخة .
- ٦٩ ٣ - ٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [حق] الحلف والمُهدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .
- ٧٠ ٧ - ٦ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معاني ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع الجنون الوعيد والتهديد » .

- ص س
- ٨ : « أو بها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ،
وحصر مناقبها » .
- ٤ - ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمدح ،
وفضيلة السيد المرغوب إليه المدح به . قال : وذهبت
العجم » .
- ٦ : « مثل كردینذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد وما رد » .
- ٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام
خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار
مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٧٥ ٢ - ٣ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنشور » مع
سقوط « والكلام المنشور » بعده .
- ٤ : « المنشور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعاشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧٦ ٧ - ٦ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٥ - ٤	: « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٧-١٦	: « لم يجد المعين والرافد [بدأ من] التقصير » .
٧٩	٢ - ١	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	٢ - ١	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه المدهر » ، وهو للوجه .
	١٤	: « في سير البُخْتِيَّة » ، كما في ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدوا من معرفة ذلك شدوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مثوتهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألجئنا »

	س	ص
: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .	٢ - ١	٨٦
: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .	٦	
: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .	١٢	
: « وليس يجد الإنسان في كل حال إنسانا يدرسه » . صواب	٢	٨٧
ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ، كما في اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويُدْرُسهم مناقبهم » .		
: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .	٧	
: « فتنظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .	١٥	
: « يدع كتابه يغب ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .	٤	٨٨
: « وتوقف عند فصوله » .	٦	
: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله في النسخة عبارة لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .	٩	٩٣
: « ودربة العلماء »	٣	٩٤
: « إلى النواويس فالماخور » :	١٢	
: « علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همته » .	٩	٩٥
: « بخلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .	١٣	
: « يكون منه إذا مامات يُكتسب » .	١	٩٦
: « فيعلمها أهل البصرة » .	١	٩٧

	ص	س
: « التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا	٣	
إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد		
نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم		
يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١		
س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية		
س ٦ من صفحة ١٢١		
: « وصاحب المال بعرض فساد »	٨	٩٩
: « تسكن النفس ويثلج الصدر »	١٦	
: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة .	١٧	
: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »	١٠	١٠٠
: « مابعد كلمة « حظاً » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .	١	١٠١
: « طريق تد نهج له »	٤	
: « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .	٧	١٢١
: كلمة « المرى » ليست في النسخة .	١١	
: كلمة « الحنثين » ساقطة من النسخة .	١	١٢٢
: « كأنها تمررة فقال البيطري » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .	٣ - ٢	
: « إلا بالخصاء دون الإحصاء »	٥ - ٤	
: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب »	١٣	
: « وقال يوما »	١	١٢٣
: « لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه	٣ - ٢	
لا يحمل إلا الخلال »		

	ص	س
: « والحصى » بدل « والخصيتين » .	٦	
: « وقد زعم لنا ناس »	١١	
: « إنما ولدوا له بعد أن نزعتم بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .	١٢	
: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة .	١٨	
: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :	١	١٢٤
ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه		
« محرز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .		
: « فقد يزعمون أنهم »	٧	
: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .	٨	
: « بفرط قوته » .	٩	
: « و [من] رقة الكبد والقلب »	١٢	
: « وإن كان الحصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .	٢	١٢٥
: « بطرسوس وبادية » ، تحريف	٣	
: « قد أرميت على المائة » ، وأرنبى وأرمى بمعنى .	٦	١٢٦
: « وهى الكبرة »	٧	
٩ - ١٠ : « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهراً »		
: « هجرانى للملابسة النساء »	١٢	
: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .	١٥	
: « موت الحاطر »	١	١٢٧
: « وفيما تحويه من النساء »	٢	

- ص س
- ٨ : « من الخطار »
- ٩ : « والدواعى لاتطوره »
- ١ ١٢٨ : « ولم تمتلئ عروقي »
- ٥ : « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
- ١٨ : « وقد كان عثمان بن مطعون »
- ٣ ١٢٩ : « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
- ٤ : « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
- ٥ : « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل » .
- ٦ : « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
- ٧ : « فإذا برأ وهو محبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .
- ٩ : « موضع الخاص من بيوتهم » .
- ١٠ : « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] وخصب العيش منعما » .
- ١١ : « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم » .
- ١٢-١٣ : « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان محرجا
مطردا »
- ١ ١٣٠ : « قتلة سريحة » ، كما فى ل
- ٤ : « مجامع [جلد] الخصية » .
- ٦ : « وتتحشّف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
- ٩ - ١٠ : « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل » .
- ١٥ - ١٦ : « [و] قال أبو زيد : خصيت الدابة أخصيه خصاء ، ووجأته
أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

- ص ١٣١ س ١ : «أما الخصاء فهو سئل الحصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والحُصيانِ». يقال حُصِيُّ كما يقال حُصِيَّة.
- ٢-٣ : «حتى تسقط الحصيتان والحُصيان . الواحد حُصِيَّة . ويقال ملست الحصيتين أملكهما» .
- ٨ : «وقَدِيًّا غَدِيًّا» . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١-١٢ : «وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال» .
- ٧ ١٣٢ : «وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه» .
- ١٤ : «وإذا كمنوا الكمان»
- ٣ ١٣٥ : «عادات» بدل «عادة»
- ٥ : «الهرمي» موضع «الهرمين» .
- ١ ١٣٦ : «على طول الركوب» .
- ١٨-١٩ : «من أهل التجربة المميزين، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس»
- ٣ ١٣٧ : «ولم يجدوا مع طول العمر فيهم»
- ٦-٧ : «قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة» .
- ٥ ١٣٨ : «إلارديا قصير العنق» .
- ٧-٨ : «تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب»
- ١١ : «وهزلا» بدل «وهزالا»

- ص س
- ١٥ : « [وهى الصرصرانية] «زيادة كلمة «هى» على ما فى ل :
- ٧ ١٣٩ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً »
- ٩- ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ،
وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
- ١٤٠ ٤- ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن تباد طلب حماراً أنخدريا
فطاوله ، فليجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من
ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
- ١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست »
- ٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .
- ٥ : « حب إلى هذا »
- ٦- ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون
من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط
كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا
ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
- ٧ ١٤٢ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس
مع شدة غلمته »
- ١٠ : « فضلا على أن يكون بينهما نتائج »
- ٢ ١٤٣ : « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

- ص س
- ٩ : « اشتر مرك »
- ١٠ : « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
- ١٣ : « للناقة من الحوش فيسقلها »
- ١٦ : « فمنهم من جعل البتة أن تسكون الزرافة » . ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزرافة والزرافة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »
- ٣ ١٤٤ : « من شأن الوردانى والراعى »
- ٥ : « بسماع الغرائب »
- ٥ - ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوحى حظا سلمت الكتب »
- ٩ ١٤٥ : « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
- ١ ١٤٦ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
- ٨ : « أراد هو التبعيد به » بدل « بعينه »
- ١٤ : « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تسكون] حواء السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أولم تعلم » .

- ص ١٤٧ ص ٧ : « ولا يتقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
- ٩ : « عظاما كان أم غيره ، [و] مصممتا كان أم أجوف » .
- ١١ : « في شدقه شفرته وناره » .
- ١٤ : « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ،
تحريف .
- ١ ١٤٨ : « الخمار » بدل « الخمارين » .
- ٢ : « لبعض من [نسكره] ذكره » .
- ٤ : « بعده في النسخة » يعنى عبد الرحمن بن يزيد !
- ٩ : « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت
لا والله لأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
- ١٥ : « زناها وسحقها » .
- ٢ ١٤٩ : « بضروب » موضع « ضروبا » .
- ٤ : « في تركيبه و [في] إنساله » .
- ٧ : « لهاعظيم » .
- ١٣ : « المحاش » موضع « المحانيق » ، كما في ل .
- ١ ١٥٠ : « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبخوا واشتوا
و [ملَّوا ، و] ملَّحوا وادَّخروا » .
- ١٥-١٤ : « قليل الإناث ، ولا يكدن أيضا يجمعن البيض » .
- ١٥١ ١٣-١٢ : « وادَّ قالوا في الزُّرافة ما قالوا فلا نأمنهم » .
- ١٦ : « الذى دعا إلى القول فى الزُّرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا
تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

	س	ص
: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .	١	١٥٢
: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .	٢	
: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحلوا الكلام] على غير » .	١١	
: « تغنت شياطيني وحن جنونها » .	١٣	
: « إذا كانت داهية شيطانا » .	٤	١٥٣
: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .	٨	
: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .	١٤	١٥٤
: « فإن لجّ خبلته »	١	١٥٥
: « وأما الذين زعموا »	٢	
: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في « منايع »	٥	
: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .	٧	
: « وهو الذي يخلق » بدل « يتخلق »	٢	١٥٧
: « وجدوا طول أعمار الناس »	١٢	
: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .	١٣	
: « وبذال » بدل « ويزال » .	٨ ، ٢	١٥٨
: « الموقوفين على النبيذ »	٥	

- ص س
- ٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
- ٩ : « فقد كانا من المعمرين »
- ١٠ : « وتميز الصدق فيه من الكذب »
- ١٦ : « إيثار المخفس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
- ١٥٩ ١ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
- ٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .
- ٩ : « والحبي الشريف » .
- ١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
- ١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »
- ٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهي القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتل .
- ١٣ : « ومن جنس البط »
- ١٦١ ٤ : « فتؤدى ، وتصاب في الهواشة فرد » .
- ٦ : « أن نعمها بالحرق بالنار » .
- ٧ - ٨ : « من ألف بغير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك في جميع عمره إلى شربة واحدة » .
- ١٥ - ١٦ : « فيما يرد على المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

- ص ١٦٢ س ٣ : « لا تملك الشيء » ، كما في ل .
- ١١-١٢ : « فإن [كان] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب في ذلك معروف .
وهو الصواب
- ١٦٣ س ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
- ١٧ : « ثم زاده على قيمته » .
- ١٦٤ س ١-٢ : « المعروفين بابتياح متاع اللصوص » .
- ٢ : « من شهد السعانيين » ، وهو تصحيح ماورد في ل :
« السعانيين » . والسعانيين : عيد من أعياد النصارى .
- ٣ : « وأصحاب الخارجيات » كما في ط .
- ٧ : « وخطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
- ٩ : « قد قبل من المقوقس [الخصى] كما قبل مارية ، و [أنه]
استخدمه » .
- ١٨ : « أجمل منه وأشرف وأخدم لم يزد »
- ١٦٥ س ٣ : « لا يحل اطراده ونفيه » .
- ٦-٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
- ٩ : « تدبيراً أو حكمة » .
- ١٦٦ س ٦ : « مطرداً » مكان « مطروداً »
- ٧-٨ : « فالفاجر لا يكون المبغي عليه » ؛ وهو الوجه .
- ٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك المساء لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

- ص س
١٦٧ ١ : « شئء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
- ٧ : « وتعظيم البعولة »
- ٩ : « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمرت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ما عندها »
- ١٦٨ ٥ : « الصاحب السوء »
- ١١ : « ومتى ألقى إلى الفتيات شئء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
- ١٢-١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شئء من أمور الغلمان » .
- ١٥-١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة »
- ١٦٩ ١ : « داعية إلى الميراثية !! »
- ٢-٤ : سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
- لا تحقرن من الأشرار ذا صغر فالذئب ليس بأمون على الغم
ولا عجوزا على أهل فتفسدها ولا خصيًّا على مال ولا حرَم .
- ٩ : « فصادف قلبي فارغا فتمكنا » .
- ١٧٠ ١-٢ : « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولائي وسيدتي ، أثمرت ليلى » .
- ١٤ : « أشد لها إشغالا » .
- ١٥ : « ملهى في النساء » .
- ١٦ : « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

- ص س
١٧١ ١ : « غير متكشف »
- ٧-٦ : « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمان مؤونة » .
- ١٧٢ ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التي بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
- ١٠-١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط في يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
- ١٣ : « ممن كان يخلفه »
- ١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية في هذا السطر .
- ١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة
- ٦ : « الماشى المعبي »
- ٩ : « من الشنو والبغضة »
- ١٢ : « وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .
- ١٤-١٥ : « إذا بدا لأحدهم في النزوع وفي ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
- ١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب للتشفي شدة الاعتزام على قتالهم »
- ٢ : « أن يحج [البيت] » .
- ٩ : « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
- ١١ : « ولرضى منهم بالمسألة » .
- ١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

	ص	س
: التكملة ساقطة من النسخة .	٣	
: « أليس زان خصي » .	٥	
: « فلا سنان ينيك ولا يدعني أنيك »	١٢	
: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .	١	١٧٦
: « ولا والله لا والا ولا أقلع أو أخصى »	٧	
: « بلغتنى ركب النساء » ، وهو الوجه .	١٠	
: « حين تلقى » .	١١	
: « عجّل بالخضاء » .	١٢	
: « عثرة وجدود » .	٣	١٧٧
: « أرى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .	١١	
: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .	٣	١٧٨
: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .	١٤	
: « ولا يخص ويعم بالقصود »	٧	١٨٠
: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .	١٣، ١١	
: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .	٣، ١	١٨١
: « وعمرو ويونس عن الحسن » .	٥	
: « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السَّمع » .	٢، ١	١٨٢
: « عن عرضِ بذى سيب » ، وهو الوجه .	٦، ٥	
والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضرّيون الناس عن عرض ، أى عن شق وناصية لايبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .		

	س	ص
: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .	٨	
: « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .	١٥	
: « كأن شبا طرفه » .	٦	١٨٣
: « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .	١١	
: سقط الكلام من أول السطر لإكلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .	٦	١٨٤
: « لا يَلْقَن ولا يَأْلَف » ، وهو الوجه .	٧	
: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يصئى . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تصئى به » .	٣	١٨٥
: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .	١٥	
: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .	٤	١٨٦
: « منون قالوا سراة الجن » .	٥	
: « ولم تقل جى » .	١٤	
: « أو ملك الأعجم » .	١٥	
: « عمرا وقابوس » .	٢	١٨٧
: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .	٤	

	ص	س
: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »	١٢	
: « وأبوه غيرى » .	١	١٨٨
: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين ، فقال : فرغتم » .	٣	
: « على جهة العشق » .	١٠	
: « تركب من الناس والنسناس » .	٥	١٨٩
: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .	٦	
: « يَهَنَّأ » بدل « مهنا » .	١٦	
: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيِّنَنَّة » .	١	١٩٠
: « ذكرت [لك] كثيرا » .	٦	
: « وزعم ابن ميثم » .	٨	
: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .	٢	١٩١
: « حاجب بن ذبيان » .	٧	
: « إذا أسلمَ الحبل » .	٨	
: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال	١٠	
: « فيهزل أهل البيت » .	٦	١٩٢
: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .	٧	
: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .	٨	
: « كثير الجنابة على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارقى » .	١٠	

	س	ص
: « وتركوا طرادة » .	١١	
: « إلا وخطمه في الأرض [أبدأ] يتشم » .	٤	١٩٣
: « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ . وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات : « وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .	١٣	
: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .	١	١٩٤
: « ثم كان مما لا يزواج » .	١٢	
: « وحرّم هذا النسب »	١٣	
: « ولا يَنازِعُ إلى دجاجِهِ وطروقتِهِ »	١٣	١٩٥
: « ولو لم يُخَلِّقْ » .	١	١٩٦
: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .	٨-٧	
: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .	٩	
: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .	١٢	
: « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .	١٥ و ١٤	
: « إذا اصطيدت أو قتلت » .	٢	١٩٨
: « إذا اصطيدت أو قتلت » .	١٠-٩	١٩٧

	س	ص
: « وأنشدوا قول السكيت » .	٣	
: « لدى الحبل » .	٤	
: « عام جاحد » .	١١	
: « وقدحى بكفى » .	٤	١٩٩
: « صغار ومن ديك تنوس غبا غبه » كما في ل .	١٨	
: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .	١	٢٠٠
: « فتجعل في حبالك » كما في ل .	٣	
: « سقطت كلمة » فإن » .	٥	
: « والأجناس » بدل « والخشاش » .	١١	
: « وألسنتهم لا تنطق » .	١٧	
: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه	١٨	
: « وقلت وهذا باب » .	١	٢٠١
: « من طرق المراء » .	٢	
: « ولكل طعام آكل » .	٦	
: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان فقيه » .	٨	
: « في البدن ، وكما ينمى العرق » .	١١	
: « من الحركة » .	١٢	
: « ولا بد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .	١٥ و ١٤	
: « لا بد للمصدر من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .	١٦	
: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .	٤	٢٠٢

	ص	س
: « فوجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفا ، وآخر يطلب الملك » .		٦-٧
: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يسخو ، وَسَخًا يَسْخُو ، لغات ثلاث .	٢٠٣	٣
: « والمكروه بالمحبوب » .	٢٠٤	٤
: « ومتى بطل التخيّر ذهب التمييز » .		٦
: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .		١٣
: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .		١٥
: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .	٢٠٥	١
: « ولأهل التمييز والروية » .		٤
: « والسبع من لطم الدم » .		٥
: « والملمس اللين » .		١٠
: « منافعها هنيئة » .	٢٠٦	٣
: « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .		١١
: « والأسباب المتقيدة » .		١٣
: « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .		١٥
: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .		١٦
: « أعز عليه من الهدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .	٢٠٧	١
: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .		٣-٤
: « وإن أتى بالغيث » .		١٠ و١١

	س	ص
: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .	١٣	
: « وما نعرف »	٥	٢٠٨
: « وأنه صالح لصاحب السِّلِّ »	٧	
: « شئ من الخلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .	٩	
: « وليسهل مخرج »	١١	
: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » ، أى الائتدام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصبغ به من الإدام ، وفي قوله تعالى « وصَبْغ لِّلآكِلِينَ »	١٢	
: « والوقود بشجرتيها و [على] ما أشبه ذلك » .	١٣	
: « بقتلها وإطرادها »	٥	٢٢٢
: « وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكلمة التي بعدها	٧	
: « وأخذنا في ذكر أسماؤها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »	١٤	
: « حفظها وإتقانها »	٤	٢٢٣
: « وإهانة اللثام »	٥	
: « وذكر [طول] ذمائها » ، وهو الوجه .	٦	
: « وشدة مُنْهَا ومعاقدة الذمار ! »	٦	
: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »	٩ - ٨	
: « وفهمها وخدمتها » :	١١	

	ص	ص
« وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها » :	١٤	
وعدد أجزاءها ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزاءها » صوابها « أجزاءها » بالراء المهملة		
« وسياستها ، والتي لاتلقن منها » :	١	٢٢٤
« فمن يك عنه » :	٦	
« تظل الكلاب العاويات » :	٧	
« من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .	٨	
١٢-١٣ : « وقال الخريبي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب بغداد » .		
« ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] » :	٥	٢٢٥
« حلقى بلقى كاهن » :	٧	
« فقال الحسن : أيا عجبى ممن يبلغ » :	١١	
١٣-١٢ : « فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج الجنون ، فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .		
« وكصنان عرقها » :	٣	٢٢٦
« وضرب بالكلب في ذلك مثلا فقال » :	٦	
« إنها امرأة حسناء » :	٩	
« بذى لسانها » :	١٠	
« وقال [في] مثل ذلك » :	١٧	
« بغير البيد » :	١	٢٢٧
« مثل الفرخ أعظمه » :	٣	

- ص س
- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعِقى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،
وقد أورد الخبر في اللسان (ققق) وقال : « القَقَّة :
العِقى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّة ، إني لأنزع يدي من
جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدده تلقاء خيشومه » .
- ٢ ٢٢٨ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغض الغريض »
- ١١-١٢ : « هو أشد من الأسد ، وهو أجرى من الليث الغادى » .
- ١ ٢٢٩ : « وبأن أنفه فى أسلوب »
- ٧ : « نماء لمجد أب أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [مسلوخ] التمسكود وبين المصلوب اليابس
كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسكود هو المملح
- ٣ ٢٣٠ : « فسماك بالقحر » .
- ٤ : « ويمذى فى لبان »
- ٧ : « ولو أنى أشاء قد ارفأنت » نعمته ويفهم ما أقول » ، وهو
الوجه ، ارفأنت : سكنت

	س	ص
: « فإ نعلم صنيع العنز » .	٨	
: « وقال ابن أحرمر » فقط .	٩	
: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .	١	٢٣١
: « وحشيتها وإنسيها » .	٦	٢٣٢
: « حيضاً بيئنا » ، وهو الوجه .	٧	
: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحتة من تصحيح .	١٠	
: « ما قد قبَّ ظاهره » . وقبَّ بمعنى يبس .	١٢	
: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .	١٤	
: « القذر » بدل « العذرة » .	١٥	
: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقاً لما أثبتته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .	١٦	
: « والعُنُق الحمر » ، والأعُنُق والعُنُق كلاهما جمع للعناق ، وهى الأثني من المعز ، ومثلهما « العنوق » .	١٣	٢٣٣
: « ١٣-١٤ : « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الذجاج لحيث الأطعميات .		
: « سباطة » بدل « سبوطاً » .	١٧	
: « القريس النشوط والشبوط » .	١	٢٣٤
: « لأذناها [محسياً] » كما في ل .	٨	
: « قال أبو كلدة : آدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .	١٠	

ص	س
	١٣
٢٣٥	١
٣	٣
	٥
١١	١١
١٤	١٤

« ليعض البدع » .

« هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .

« يلتقم العذرة ، وزهما لا استطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .

« لا يطيب مالاً ولا ممقوراً » .

« وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رعوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشبهتها للعذرة .

« رزق الأنوقين قرناً وجعل » .

وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	س	ص
من البيان	من البنيان	١٠	٤٥
لا يعتقه	لا يعتقه	٦	١٦٥
من حمى ركبته	من حمى كبته	٢	١٧٣
ولا ذات	ولا ذات	١	٢٣٤
أكلباً	أكلباً	١٣	٢٥٤
تَرَاحُ	تَرَاحُ	٣	٢٧٧
لِلنَّبِيِّ	النَّبِيِّ	٢	٣٣٥
ولا كرماً	ولا كرماً	٩	٣٦٠
مُضِرٌّ	مُضِرٌّ	١	٣٦١

استدراك وتذييل

ص ٧٤ س ١١
في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أواراة الثاني، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أواراة) .

١١ ١٤٩
(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت في صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إحصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .
كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

	صفحة
مقدمة الكتاب	٣
باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء	١٠٦
ذكر ما جاء في خصاء الدواب	١٧٧
باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق	٢٢٠
باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها	٢٢٢
باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس	٢٦٧
